عاطف السيد

البحر الأحمر والعالم المعاصر



تقديم الأستاذ الدكتور

صلاح العقاد

الطبعة الثانية

عاطف السيّد

البحر الأحمر والعالم المعاصر

دراسة تاريخية سياسية استراتيجية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

احتل البحر الأحمر منذ العصور القديمة مكانة رئيسية بين طرق الملاحة ، ففى العصر القديم وحينما كان الاتصال البحرى أيسر للمسافرين من الطرق البرية أفاد البحر الأحمر فى تحقيق الاتصال بين قدماء المصريين والصومال فى وقت كانت التجارة بين الأمم محدودة للغاية .

ثم كان البحر الأحمر الطريق الذى اكتشف اليونان من خلاله الموارد الطبيعية فى اليمن وشرق أفريقيا ، اتخذه الرومان طريقا لحملاتهم العسكرية انطلاقا من مصر الى بعض سواحل شبه الجزيرة العربية .

أما فى العصر الاسلامى فقد هاجر المسلمون الأوائل عبره الى الحبشة فى مطلع البعثة النبوية لكى يجدوا فيها الملجأ والمأوى . ومنذ ذلك الحين عنى العرب بشئون الملاحة ثم ازداد حرصهم على أمن البحر الأحمر بعد أن انتشرت الدعوة الاسلامية على كلا جانبى البحر فحظر المسلمون فى بداية العصر الحديث الملاحة فيه على الدول الأوروبية الغازية على خلاف الخليج الذراع الثانى للمحيط الهندى الممتد نحو أوروبا . وهكذا ظل البحر الأحمر مغلقا ولم يفتح للأوروبيين مرة أخرى الا عندما تصارعت الحضارات وتخلفت الحضارة الشرقية ولم تقو على مواجهة الحضارة الأوروبية بوسائلها التكنولوجية الحديثة .

لذلك يمكن القول ان الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ فتحت أبواب مرحلة جديدة فى تاريخ البحر الأحمر ، فالى ذلك العهد يرجع التنافس الدولى بين فرنسا التى احتلت مصر وبريطانيا القادمة من الهند الى باب المندب والتى استخدمت البحر الأحمر فى ارسال حملة جانبية شاركت فى اخراج الفرنسيين من مصر .

وعندما تم لمحمد على تأسيس دولة مصر الحديثة وتمكن من مد نفوذه الى السودان وشبه الجزيرة العربية دخل البحر الأحمر عهدا جديدا يمكن تسميته بالعهد المصرى اذ رجحت كفة مصر وبذت الدول الأخرى كأكبر قوة بحرية فى منطقة البحر الاحمر ، وقد تأكد هذا الرجحان فى عصر الخديو اسماعيل الذى شهد حدثا فريدا يعد انقلابا فى تاريخ البحر الأحمر الا وهو افتتاح قناة السويس فى ١٨٦٩ .

وبذا أصبح البحر الأحمر طريقا رئيسيا ان لم نقل أهم طريق للملاحة البحرية الدولية بين الشرق والغرب .

وكان طبيعيا أن ينشأ عن هذا الوضع الجديد تنافس دولى أوسع نطاقا ، اشتركت فيه عناصر جديدة مثل ايطاليا . وباحتدام هذا التنافس وجد مؤلف هذا الكتاب مجالا خصبا للبحث والتعمق اذ تناولت دراسته بتركيز هذا الجانب الهام من التاريخ المعاصر للمنطقة .

والحق ان العميد اركان حرب عاطف السيد مؤلف هذا الكتاب ليس بغريب عن القارىء العربى فقد عرف فى مجالات عديدة وبرز فيها . عرف كشاعر واديب كما أنه اكتسب فى مراحل حياته ثقافات متعددة : عسكرية وتاريخية وسياسية واستراتيجية ولغوية ، حظيت بالنصيب الأوفى من اهتمامه ، لذلك فان هذه الدراسة هي حصاد تلك الثقافات المتنوعة والمتشعبة .

ولا غرو فان موضوع البحر الأحمر فى حد ذاته متعدد فى قضاياه متشعب فى طريقة تناوله ، ومن يقتحم هذا الموضوع يجد نفسه حائرا بين أنماط معقدة من الشعوب لكل منها اهدافها وطموحاتها وان كان الشعب العربى فى نهاية الأمر هو صاحب النصيب الأكبر من سواحل هذا البحر .

ثم اخذت المحن تتوالى على الشعب العربى فى العصر الحديث واصبح يعانى آفة التفكك ومن ثم تعددت الدول العربية المطلة على البحر الأحمر حتى أن اليمن انقسم الى دولتين شمالية وجنوبية .

وكان على المؤلف ان يتابع كل هذه التطورات بعين المؤرخ تارة

وبعين عالم الجغرافيا السياسية تارة اخرى حتى اذا انتهى الى الاحداث التي اعقبت قيام دولة اسرائيل استخدم ثقافته العسكرية ليتناول انعكاسات الصراع العربي الاسرائيلي تناولا علميا دقيقــا ربط فيه بين مدخلي البحر الأحمر الشمالي والجنوبي بنظرة الفاهم للاستراتيجية المحلية والعالميــة على الســـواء .

فهو يلاحظ على سبيل المثــال كيف أثر حصــــار مصر لباب المندب على مجرى الأحــداث كعامل ضغط هام في حــرب الســادس من اكتوبر سنة ١٩٧٣ . وبذلك اثبت أن مصر في ظروف معينة تستطيع أن تمســك بدفتي البحر الأحمر .

ومن خــلال ابراز دور مصر في المواجهة العربية الاسرائيلية تطرق الكاتب الى موضوع أمن البحر الأحمر الذي يوليه عناية كبيرة ، فهو يعتبر هذا الأمن جزءا من الأمن العربي بصفة عامة ، لذا ينبغي استبعاد نفوذ الدول الكبرى سواء أكانت الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفييتي من هذا الممر الدولي . فتحييــد المنطقة دوليا وتكامل شعوبها اقتصاديا وعسكريا هو أفضل أداة لتحقيق الأمن بعيدا عن ضغوط الدول الكبرى . وقد أشار ابحاث الى عدة مواثيق عقدت بين بعض الدول المطلة على البحر الأحمر وبين كيف أنها لم تتخذ سبيلا الى حيز التنفيذ .

وقد كان من البدهي أن يغريه التوسع في موضوع الأمن بعقد مقارنة بين أمن البحر الأحمر وأمن الخليج وعلاقة التأثير المتبــادل القائمــة دواما بين ذراعي المحيط الهنــدي .

فالى قراء العربية أقدم هــذه الدراســة راجيا أن تنــال ما تستحقه من انتشار وفائدة للمهتمين بالتاريخ والعلوم السياسية .

صــلاح العقــاد

يناير ١٩٨٣

المقدمة

ان البحر الاحمر بحكم موقعه الجغرافي الهام كان على مسار التاريخ وما زال قبلة انظار العالم بصفة عامة ومصر والدول العربية المطلة على مياهه بصفة خاصة . وكان افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية ايذانا بتحويل البحر الاحمر من بحيرة مغلقة الى شريان بحرى حيوى هو جزء من اقصر واسرع طريق بين الشرق والغرب توافرت له سمات خاصة جعلته دائما محورا رئيسيا تتحرك عليه صراعات الدول الكبرى تحقيقا لمصالحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية وتتلاطم فيه أمواج النزاعات الاقليمية حول الحدود والمطالب القومية .

وبتفجر البترول فى منطقة الخليج العربى اكتسب البحر الأحمر قيمة استراتيجية متزايدة جعلته حلبة للتنافس بين القوى العظمى كما جعلت منه موضوعا اثيرا للكتاب والباحثين .

والذى لا ريب فيه أن البحر الأحمر يؤثر تأثيرا عميقا فى مصالح ومصاير جزء كبير من العالم ومن ثم فقد حظى باهتمام جل اخطاره وقدرت اهمية معظم بلدانه .

وبالرغم من أن الدول العربية التى تطل على البحر الأحمر تجمعها وحدة المصير والكفاح المشترك فضلا عن وحدة الدين واللغة والثقافة وعلى الرغم من ادراكها الأكيد للمخاطر والتحديات التى تهدد المنطقة فلا توجد حتى الآن استراتيجية عربية موحدة لتأمين هذا البحر الهام .

ولما كان البحر الأحمر يلقى بظلاله الوارفة على قضية الأمن القومى المصرى والأمن العربى فقد شاقنى أن ابحر فى مياهه واتسمع من احداثه العاتية موضوع هذا البحث الذى القيته خيوطا لم تمتد اليها يد لتحرك منها نسيجاً يستر صدر هذا القرن ويغطى مشارف ثمانينياته وهى حقبة شكلت قسمات وجه هذا العالم المعاصر .

تبدأ هذه الدراسة من سنة ١٩١٨ وهي تواكب انتهاء الحرب العالمية الأولى التي أحدثت تأثيرات هائلة في شتى مجالات الحياة وتنتهي في سنة ١٩٧٣ الذي شهد حرب أكتوبر وقد امتد هذا البحث في بعض مناحيه الى سنة ١٩٨١ ليلاحق انعكاسات هذه الحرب المظفرة على العالم المعاصر .

وتشمل هذه الدراسة احدى حلقات تاريخ منطقة البحر الأحمر الحافل بالصراعات والزاخر بعبء المخاطر والتحديات وحيث أن البحث يتناول فترة زمنية طويلة تناهز خمسا وخمسين سنة كما أنه يتفرع ليشمل شعوب واقطار حوض البحر الأحمر والقوى الأجنبية التي اتصلت بها اتصالا متشعبا ومتنوعا فقد رأينا أن نتبع منهجا مركبا من طريقتين : الطريقة الموضوعية بحيث تخصص دراسة لكل دولة كان لها دور بارز في المنطقة وفي اطار هذا التقسيم اتبعنا أسلوب الترتيب الزمني واهتدينا الى أن نقسم موضوع البحث الى ثلاث مراحل زمنية لكل منها دلالة ومغزى خاص . فالمرحلة الأولى تشمل فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، والمرحلة الثانية تتضمن فترة الحرب العالمية الثانية . اما المرحلة الثالثة فتمتد الى سنة ١٩٧٣ . وقد أفضى هذا التقسيم الى تعميق دراسة كل مرحلة على حدة والخوض في تفاصيلها .

الا أن هذه المراحل الثلاث تشكل أجزاء من جسد واحد مما جعل البحث بقسميه الزمنية والموضوعية وحدة بقدر المستطاع ذلك أن البحر الأحمر تطل على مياهه عشر دول بالاضافة الى القوى الكبرى المتصارعة فيه وقد كان هذا كافيا لكي يقود الباحث الى متاهات ، الا انني ادركت ذلك وبذلت غاية جهدي لاستخراج صورة شاملة .

وقسمت هذا البحث الى مقدمة وستة فصول وخاتمة .

يتضمن الفصل الأول « الملامح الجغرافية السياسية للبحر الأحمر » ويبرز أهمية هذا الفصل في أنه حدد ملامح الشخصية الجغرافية السياسية لحوض البحر الأحمر ، تلك الشخصية التي تحددت أساسا في موقعه الذي جعله همزة وصل بين البحار الشرقية والبحار الغربية .

ثم تناولت فى الفصل الثانى موضوع « السياسة البريطانية فى البحر الأحمر » وترجع أهمية هـذا الفصل الى أنه يسط السياسة الاستعمارية البريطانيـة فى حوض البحر الأحمر ، تلك التى نجحت فى مواجهـة أنواء التحديات وعواصف الصراعات العالميـة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ثم أصابها الوهن فأخذ نفوذها يتضاءل شيئا فشيئا حتى انحسر نهائيـا بعد انسحاب بريطانيا سنة ١٩٧١ من شرقى السويس تاركة عبء الدفاع عن المنطقة للولايات المتحدة الأمريكية .

أما الفصل الثالث فيختص دراسة موضـوع « التوسـع الايطالى فى البحر الأحمر » وقد بينت فيـه تأثير نتائج الحرب العالمية الأولى على السياسة الايطالية فى البحر الأحمر وكيف حفزتها على السعى للحصـول على مكاسب فى افريقيا مستغلة غيوم الجو السياسى فى أوروبا فى أعقاب تولى هتلر السلطة فى المانيا حيث تحولت بريطانيا ثم فرنسا عن معارضة الخطط التوسعية الايطالية . ذلك التحول الذى بلغ ذروته باتفاق هور — لافال الذى مهـد لغزو ايطاليـا للحبشة . وقد تناولت الحرب الحبشية الايطاليـة من الوجهتين السياسية والعسكرية ونتائجهـا الاستراتيجية . ثم عرضت سياسة ايطاليا بعد غزو الحبشة ثم ابان الحرب العالمية الثانية التى تمخضت عن تقويض الامبراطورية الايطالية فى شرق أفريقيا .

وقد شمل الفصـل الرابع موضـوع « الصراع العربى الاسرائيلى والبحر الأحمر » وذلك منذ تفتحت أنظار زعماء الصهيونية العالمية فى ثلاثينيات هذا القرن على أهمية الحصول على منفذ الى البحر الأحمر حتى تم لهم ذلك باستيلائهم على قرية « أم الرشراش » فى مارس سنة ١٩٤٩ ثم تحويلها الى ميناء ايلات . وقد أبرزت الصراع فى البحر الأحمر بين اسرائيل والعرب لا سيما مصر التى تحملت الجزء الأعظم من هذا الصراع الذى اتخذ محورين فى البداية هما خليج العقبة وقناة السويس ثم تضمن محورا ثالثا فى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ الا وهو باب المندب .

ونظرا للصراعات الدولية والاقليمية حول البحر الأحمر فقـد اقتضى الأمر تخصيص فصـل « أمن البحر الأحمر » الذى تناولت فيـه المخاطر

التى تهدده وأسلوب مواجهة هـذه الأخطار وتأمين البحر ضد الأخطار الخارجيـة .

ولما كان البحر الأحمر يقع فى قلب العـالم الاسلامى كان من المحتم أن أتناول فى الفصل السادس موضوع « القيمة الاستراتيجية للبحر الأحمر ومؤثراتها فى العـالم الاسلامى » . وقد ابرزت القيمة الاستراتيجية للبحر الأحمر والأبعاد الاستراتيجية للعالم الاسلامى وكيف اسهمت الأولى فى دعم القيمة الإستراتيجية للعالم الاسلامى .

واجد لزاما على أن اشير الى مصادر البحث المتعددة والمتباينة .

اعتمدت على مجموعة من الوثائق البريطانية - منها ما يختص بسياسة بريطانيـا فى البحر الأحمر ابان الحرب العالمية الأولى وهى غير منشورة ومحفوظ أصولها بمكتبة وزارة الهند البريطانية بلندن وموجود صورة منها بدار الوثائق القومية بالقـاهرة وبمكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس . ومنها ما يختص بسياسة بريطانيا فى مصر والسودان اثناء الحرب الحبشية الايطالية وهى ايضا غير منشورة ومحفوظ أصولها بدار المحفوظات البريطانية بلندن وموجود صـورة منهـا بمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعـة عين شمس كما اعتمدت على بعض الوثائق العربية غير المنشورة والمنشورة فيما يختص بالسياسات فى حوض البحر الأحمر وبشأن حرب اليمن وحرب يونيو سنة ١٩٦٧ .

وقد كانت للمصادر المنشورة بالعربية والانجليزية المتعلقة بموضوع البحث اثر كبير فى مولده واستوائه .

واستعنت كذلك بالدوريات العربيـة والانجليزية فى ربط الأحداث بعضها ببعض وتوضيح ما خفى منهـا .

وبذلك اكون قد اشرت الى أهميـة البحث ومنهج اعداده ومحصوله والمصادر الأصلية والثانوية التى استعنت بها .

ولا يسعنى فى هـذا المقـام الا أن اوجه أعمق شـكرى وأخلصه

الى أستاذى العـــالم الفاضل الأســـتاذ الدكتور صلاح الدين العقـــاد ، فقد حبانى علمه الغزير الذى انتظمت به محاسنه اصابة فى الرأى وسدادا فى القصـــد اذ بصرنى بما يجب ونبهنى الى ما لا يجب فاســـتقامت الأمور بما اضفاه من درر كالنور .

وآمل أن أكون بهـــذا البحث قد أسهمت فى تجلية حقبة من التـــاريخ المعاصر لحوض البحر الأحمر .

والله ولى التوفيق .


خريطة
حوض البحر الأحمر سنة ١٩١٨
البحر المتوسط
القاهرة
مصر
الجزيرة العربية
نجد
السودان
الخرطوم
عسير
اليمن
خليج عدن
عدن
الصومال الانجليزي
الحبشة
اديس أبابا
هرر
الصومال الإيطالي
مقديشيو
براوة
قسمايو
المحيط الهندى
مديرية خط الاستواء
بحيرة فكتوريا
خريطة رقم -١-

الفصل الأول

الملامح الجغرافيــة السياسية للبحر الاحمر

نظرة جغرافية سياسية على البحر الأحمر :

البحر الاحمر حوض شريطي الشـــكل ينصل بين كتلتين من القشرة الأرضية هما شـــبه الجزيرة العربية وكتلة شمال افريقيا . وهو يتصـــل من الشمال بالبحر الابيض المتوسط عبر قناة السويس ومن الجنوب بالمحيط الهندي عبر مضيق باب المندب . وتبلغ مساحته نحو ٤٣٧٩٦٩ كيلو متر مربع وطوله من السويس الى باب المندب حوالى ١٩٠٠ كيلو مترا ويتراوح عرضه بين ٤٠٢ كيلو مترا فى النصف الجنوبى الى ٢٠٩ كيلومترا عند خط ٢٧/٤٥ شمالا حيث ينقسم الى قسمين هما : خليج السويس وخليج العقبة اللذان تفصلهما شبه جزيرة سيناء (١) . ويطل على مياهه عشر دول ــ باضافة خليج عــدن ــ وهى على التوالى : اسرائيـــل ، الأردن ، الســـعوديه ، الجمهورية العربية اليمنية ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، جيبوتى ، الصومال ، اثيوبيا ، السودان ، جمهورية مصر العربية . ويضيق حوض البحر الاحمر كلما اتجهنا شمالا وجنوبا حيث يزداد ضغط اليابس على الماء فتبرز نقط الاختناق تجاه الأطراف ، وهى تتمثـــل شـــمالا فى مضيقى تيران وجوبال وجنوبا فى مضيق باب المندب . ويتميز البحر الاحمر بطول سواحله بالنسبة الى مساحته مما يفقده ميزة الملاحة فى العمق بينما يكسبه امكانية السيطرة على المجرى الملاحى من المواقع الساحلية الحاكمة (٢) .

وسواحل البحر الاحمر انكسارية شـــديدة الاستقامة . وهى عبارة عن مناطق صحراوية مقفرة يمتد على طول ظهيرها حوائط صخرية عاليـــة

---

(١) Encyclopaedia Britannica, Vol, 19, 1972. P.P. 32 — 3

(٢) محمود توفيق محمود ، البحر الاحمر فى الاستراتيجية الدوليـــة ، السياســة الدولية ، العدد ٥٧ ، يوليو ١٩٧٩ ، ص ٢٩ .

يتراوح ارتفاعها بين ٢٠٠٠ — ٣٠٠٠ قدم على الساحل الغربى ، ٣٠٠٠ — ٧٠٠٠ قدم على الساحل الشرقى مما يشكل عقبة بين البحر والداخل . وقد ادت تلك الطبيعة الجغرافية للساحل الى قلة كثافة السكان ومراكز العمران والطرق الرئيسية التى تربطها بالداخل كذا قلة الموانئ الرئيسية التى يتطلب انشاؤها تكاليف باهظة لا تقدر عليها الا الدول الكبرى (٣) .

ويمتد على طول سواحل البحر الاحمر رصيف قارى يتميز بالضيق بصفة عامة حيث يتراوح اتساعه بين ستة أميال ومائة ميل . وهو يعد — من الناحية الاقتصادية — اهم اجزاء البحر بالنسبة للاستغلال البشرى للموارد الطبيعية ، ولا ريب أن ضيق الرصيف القارى يؤثر فى التقليل من درجة ارتباط السكان بمياه البحر الاحمر وثرواته لا سيما أن الشعاب المرجانية تغطى أجزاء كبيرة منه .

وقد عرف البحر الاحمر منذ اقدم العصور بصعوبة الملاحة فيه لكثرة شعابه المرجانية وشدة رياحه الشمالية والتيارات المائية على اختلاف أنواعها وارتفاع درجة الحرارة فيه وزيادة نسبة الرطوبة وتأثير ذلك على سواحله (٤) . وقد صبغت هذه الشعاب المرجانية البحر الاحمر بطابع الخطورة كما ادت الى ضيق المجرى الصالح للملاحة لا سيما فى مناطق الاختناق ، مثال ذلك مضيق باب المندب الذى لا يتجاوز عرضه الحقيقى تسعة أميال (٥) وهو المجرى الصالح للملاحة عبر المضيق الغربى الكبير . وبالاضافة الى ما سبق فان ارتفاع نسبة ملوحة مياه البحر الاحمر وتضرس قاعه الشديد وعدم انتظام اعماقه ثم جدب سواحله وقلة موانيه قد جعل من الملاحة فى هذا البحر مغامرة خطرة محفوفة بالكثير من الصعاب وبالرغم من ذلك فقد ظل البحر الاحمر يؤدى دوره كممر ملاحى بحرى هام .

---

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(٤) جامعة الاسكندرية : تاريخ البحرية المصرية ، ١٩٧٥ ، ص ٣٤ـ٥٠ .

(٥) U.S. Navy De Partment, Red Sea and Gulf of Aden, Pilot, No. 157, 1921, P. 42.

المضايق والخلجان البحرية والجزر والموانىء الرئيسية

اولا ـ المضـــايق :

يوجـــد فى البحر الأحمر ثلاثة مضايق رئيسية : هى مضيق **جوبال** ، مضيق تيران ، مضيق باب المندب .

يتحكم مضيق جوبال فى مدخل خليج الســـويس الذى يعـــد الذراع الشمالية الغربية للبحر الأحمر ، ولا يتعـــدى عمقه ٣٣٠ قدما بينما يزيد اتساعه حتى يبلغ فى المتوسط نحو ٢٠ ميلا عند مدخله . توجد به مجموعة من الجزر الهـــامة مثل جزر جوبال وطويلة وجزيرة شدوان وهى صخرية جرداء لها بعض الألسنة الصخرية والمرجانية المتكلمة .

وينحصر المضيق بين راس محمد وجزيرة شدوان وجزر جوبال (٦) .

أما مضيق تيران فيقع عنـــد مدخل خليج العقبة الذى يعـــد الذراع الشمالية الشرقية للبحر الأحمر . ويصـــل عمقه الى أكثر من ٣٣٠٠ قدم بينما لا يتجاوز متوسط اتساعه عشرة أميـــال ويضيق الى ثمانية أميـــال عند المدخل الذى تتحكم فيه جزيرتا تيران وصنافير اللتان تقسمان المضيق الى ثلاثة ممرات لا يصلح منها للملاحة ســـوى المر المحصور بين جزيرة تيران وساحل سيناء والذى لا يتجاوز عرضه ٣ر٧ ميل (٧) .

بينما يقع مضيق باب المنـــدب فى جنوب البحر الأحمر حيث تحـــده من الشرق الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ومن الغرب اثيوبيا وجيبوتى ، ولا يزيد اتساع المضيق على عشرين ميـــلا ويتحكم فى مدخله جزيرة بريم « اميون » وتبلغ مساحتها نحو خمسة أميـــال مربعـــة وتعتمـــد بريم فى كل احتياجاتهـــا على عـــدن والساحلين العربى والأفريقى . وتقســـم جزيرة بريم مضيق باب المنـــدب الى ممرين : شرقى

---

(٦) عبد الغنى عبد الرحمن محمد ، البحر الأحمر والأطماع الدوليـــة ، القـــاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٤٠ .

(٧) محمود توفيق محمود . المصدر السابق ، ص ٢٨ .

ويسمى باب الاسكندر وعرضه نحو ثلاثة كيلو مترات وعمقه نحو ٢٦ مترا وغربى ويبلغ اتســـــاعه نحو ١٦ كيلومرا وعمقه حــوالى ٣٠٠ مترا (٨) وهو المر الرئيسى ولا يستخدم المر الشرقى غالبـــا لضيقه خاصة اثنـــاء الليل حيث تنتشر الشـــعاب المرجانية . ويعتبر المضيق بوابة البحر الاحمر التى تصله بخليج عدن وبحر العرب والمحيط الهندى . وتتحكم فى المضيق قاعدة عدن البحرية على الساحل الآسيوى كذا ميناء جيبوتى على الساحل الأفريقى .

ومفاتيح باب المندب موزعة على عدد من الجزر والنقاط الاستراتيجية وتعتبر جزيرة بريم أهمهـــا جميعا . ولعل قول كوجـــلان المقيم البريطانى فى عدن فى العقد السادس من القرن التاســـع عشر يصيب بعض الحقيقة عندما حرض حكومته على الاســـتيلاء على هـــذه الجزيرة للمرة الثانيـــة عام ١٨٥٧ « انهـــا ستتيح للبريطانيين فرصة التحـــكم فى موانىء الساحل الأفريقى مثل زيلع وتاجورة وزنجبـــار بينما لا نحتـــاج الا الى قوة بحرية صغيرة لمراقبة المضيق وتفتيش أية سفينة تمر به » (٩) . وقد دفعت اهمية هـــذه الجزر قوات الاحتـــلال البريطانى الى السيطرة عليهـــا باعتبارها ركائز هامة .

ثانيـــا ـ الخلجان البحرية :

وتتمثل فى خليجى العقبة والسويس ، يقع خليج العقبة شمال البحر الأحمر وشرق شبه جزيرة سيناء ، فاصـــلا بذلك بين كل من الســـعودية والأردن ، واسرائيل وجمهورية مصر العربية ويبلغ طول ساحله ٢٣٠ ميلا يمتد منها ١٢٥ ميلا فى جمهورية مصر العربية ، ٩٥ ميلا فى المملكة العربيـــة السعودية ، ٤ أميال فى المملكة الاردنية الهاشـــمية ، ٦ أميال فى اسرائيل

---

(٨) د. أجيه يونان جرجس ، البحر الأحمر ومضايقه بين الحق العربى والصراع العالمى . مكتبة غريب . القاهرة . ١٩٧٧ ، ص ١٨ .

(٩) مصطفى نيل ، المضايق العربية التى تحكم العالم ، باب المندب ، مجلة العربى ، العدد ٢٦١ ، اغسطس ١٩٨٠ ، ص ٧٨ .

ويتراوح عرضه بين ١٢ — ١٧ ميــلا (١٠) ويصــل أقصى عمق له نحــو ٤٢٠٠ قدما عند خطى ٣٩ / ٢٨° شمالا ، ٤٣ / ٢٤° شرقا (١١) .

يقع على خليج ميناء ايلات الاسرائيلي والعقبة الأردني عــلاوة على عدة مراسى كثيرة على شاطئيه الشرقى والغربى .

كما يشكل خليج العقبة اهمية خاصة للدول الذى تطل عليه بصفة عامة ولمصر بصفة خاصة للدور الذى لعبه خلال الصراع العربى الاسرائيلي .

وتسيطر منطقة شرم الشيخ على مدخل خليج العقبة وتتناسب أهمية هذه المنطقة تناسبا طرديا مع اهتمام اسرائيل بميناء ايلات .

تشتمل منطقة شرم الشيخ على الأهداف الحيوية الآتية :

١ — منطقة راس نصرانى لكونها أضيق منطقة يمكن منها فرض السيطرة الكاملة على ممر خليج العقبــة البحرى بالإضافة إلى وجود مطــار حربى بها حاليــا .

٢ — مرسى شرم الميــة ومرسى شرم الشــيخ وترجع اهميتهما العسكرية الى ما يأتى :

(أ) وجودهما فى نتوء داخل المنطقة الجبليــة مما يهيىء لهما ميزات دفاعية طبيعية .

(ب) محاطان بسلسلة من الجبال والمرتفعات من جميع الجهات تعتبر بمثابة حاجز طبيعى لحماية السفن من ســوء الأحوال الجوية ومن الغارات الجوية .

(جـ)سهولة السيطرة على طرق الاقتراب اليهما بواسطة الجماعات التى يمكن انشاؤها فوق سلسلة الجبال .

(د) طاقتهما تسمح باستيعاب عدد كاف من السفن والعائمات .

---

(١٠) د. نبيل احمد حلمى ، الحدود الدوليــة — السياسة الدوليــة ، العدد ٥٧ ، يوليو ١٩٧٩ ، ص ٢٠ .

(١١) Encyclopae dia Britannica, op. cit. P. 33.

٣ — مرسى البريكة : وكانت ترسو فيه زوارق الابرار الاسرائيلية .

اما خليج السويس فيمتد من مدينة السويس شمالا الى مدينة الغردقة جنوبا بطول ٢٨٠ كيلو مترا ويتراوح اتساعه بين ٢٠ — ٥٠ كيلو مترا ومتوسط عمقه حوالى ٥٠ مترا ولا يزيد اقصى عمق له على ١٠٠ متر ويعتبر قاع الخليج جزءا من امتداد الرصيف القارى للبحر الأحمر (١٢) .

ويشكل خليج السويس اهمية كبرى بالنسبة لمصر حيث انه المر الوحيد المؤدى الى المدخل الجنوبى لقناة السويس فضلا عن وجود ميناء السويس ومعظم منابع البترول المصرية على سواحله .

ثالثا — الجزر واهميتها الاستراتيجية :

يقدر عدد جزر البحر الأحمر بنحو ٢٧٩ جزيرة مما يزيد من سيطرة اليابس على الماء الا أن معظمها متناهى الصغر بينما يتضاءل عدد الجزر الكبيرة التى تتجاوز مساحتها ثمانية اميال مربعة فهى لا تعدو جزرا مثل دهلك والحنيش الكبيرة ودهلك الكبيرة وفراسان الكبيرة وقمران (١٣) وتزداد اهمية الجزر كلما اقتربنا من نقط الاختناق الرئيسية فى البحر الأحمر مثل جزيرتى بريم ومويلية اللتين تتمان داخل مضيق باب المندب . وتقل أهمية الجزر كلما اتجهنا شمالا . ومن امثلة ذلك جزر الحنيش وزقر وارخبيل جزر اريتريا لا سيما دوميرا وحالب وفاطمة . كذلك تقل اهميتها كلما اتجهنا الى القطاع الأوسط . ثم تدرج اهمية الجزر كلما اتجهنا شمالا نحو نقط الاختناق مثلجزر صنافير وتيران وجوبال (١٤) .

رابعا : الموانىء الرئيسية : (١٥)

يتميز البحر الأحمر بصفة عامة بقلة الموانىء الجيدة العميقة القادرة على استقبال السفن الكبيرة .

---

(١٢) عبد الغنى عبد الرحمن محمد ، المصدر السابق ، ص ٤٢
د. انور عبد العليم : البحار والمحيطات ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٥٧
(١٣) محمود توفيق محمود ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .
(١٤) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

وبالنسبة لمصر توجد مجموعة من الموانئ الرئيسية اهمها السويس ويعتبر الميناء الرئيسي لمصر على البحر الأحمر فى وقت السلم . وتتوافر به جميع الخدمات الفنية والادارية ويكمل ميناء السويس ميناء حربى اسمه « الادبية » . ثم يأتى ميناء الغردقة الذى لا يسمح بدخول السفن الكبيرة . ويحتوى الميناء على منطقة كبيرة للاستقبال على المخطاف الا انها محفوفة بالمخاطر الملاحية مما يصعب دخولها ليلا . وتتوافر بالميناء إمكانيات كبيرة للامداد بالمياه والوقود ويعتبر ميناء سفاجا بديلا لميناء السويس عند غلق الملاحة فى القناة . وترجع اهميته الى انه ميناء تصدير الفوسفات . تتوافر به منطقة كبيرة للاستقبال على المخطاف تصلح لجميع انواع السفن نهارا وليلا وبه امكانات ادارية كافية .

اما ميناء القصير فلا يوجد بهأرصفة للسفن الكبيرة وإمكاناته الإدارية والفنية ضعيفة . ثم ميناء برنيس " رأس بناس " وهو ميناء حربى يشتمل على منطقة كبيرة لإلقاء المخطاف .

ويقع على ساحل جمهورية السودان ميناءان هامان هما بور سودان وسواكن ويعتبر ميناء بور سودان الميناء التجارى الرئيسي حيث يتم من خلاله عمليات الاستيراد والتصدير الا أن امكاناته محدودة من حيث التحميل والتفريغ اما ميناء سواكن فهو الميناء التجارى التبادلى لميناء بور سودان غير أنه مجهز تجهيزا كاملا .

ويعد كل من ميناءى مصوع وعصب منفذ أثيوبيا الى البحر الاحمر ويستقبل الأول جميع انواع السفن على المخطاف ويربطه بداخل البلاد طريق برى يعبر خلاله اكثر من مليون طن سنويا من تجارة أثيوبيا الخارجية كما يستقبل ميناء عصب السفن على المخطاف وبه خدمات فنية وادارية متوسطة (١٥)

أما ميناء جيبوتى فيستقبل جميع انواع السفن وبه خدمات ادارية وفنية كبيرة ويعبر خلاله ٦٠٪ من تجارة اثيوبيا الخارجية .

---

(١٥) أكاديمية ناصر العسكرية العليا .

والميناء قاعدة بحرية للأسطول الفرنسي فى المحيط الهندى .

ويعتبر ميناء بربرة أهم موانىء الصومال وقاعدته الرئيسية حيث كانت تتمركز به بعض قطع البحرية السوفيتية حتى عام ١٩٧٨ . وهو مجهز ملاحيا وبه امكانات ادارية وفنية كبيرة .

وننتقل الى اليمن الجنوبية حيث ميناء عدن . وهو يستوعب الناقلات حتى حمولة ٥٠ الف طن وبه امكانات ادارية وفنية كبيرة كما انه محطة تموين للسفن حيث يوجد مصفاة لتكرير البترول .

ويطل ميناء الحديدة على ميناء البحر الأحمر فى الجمهورية العربية اليمنية . ويعد القاعدة البحرية الوحيدة فيه وجارى توسيعه وتزويده بالمعدات الفنية بواسطة الاتحاد السوفيتى .

أما ميناء جدة فهو الميناء الرئيسى فى المملكة العربية السعودية ويتسع لاستقبال السفن فى منطقتين : داخلية للسفن المتوسطة وخارجية للسفن الكبيرة . يتمتع الميناء بامكانات ادارية وفنية عدا المياه . ثم يأتى ميناء ينبع فى المرتبة الثانية الا ان الحركة فيه ضعيفة لقربه من ميناء جدة وهو يستقبل السفن المتوسطة .

كما يعد ميناء العقبة الميناء الوحيد فى الأردن . وهو يستقبل السفن المتوسطة أما السفن الكبيرة فيستقبلها على المخطاف . به تسهيلات ادارية وفنية متوسطة .

وتمتلك اسرائيل ميناء ايلات الذى يقع على خليج العقبة وهو ميناء تجارى وحربى وميناء للبترول . يعبر خلاله نحو ٩٠٪ من البترول الوارد لاسرائيل . والميناء مقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية . به تسهيلات ادارية وفنية متقدمة ويربطه بداخل اسرائيل طرق برية وخط انابيب

البحر الأحمر طريق تجارى هام :

يتميز البحر الأحمر ببعض السمات كطريق هام للملاحة وذلك بحكم الشكل الطولى والاتساع المحدود والموقع الوسيط . وقد فرض البحر الأحمر شخصيته كطريق عالمى للملاحة على الرغم من الخصائص السلبية التي تقلل من كفاءة الطريق والتى أصبحت لا تشكل عقبة أمام الطفرة الهائلة فى التقنية الملاحية البحرية لاسيما بالنسبة للملاحة الطولية على أن تأثير هذه الخصائص السلبية يمكن أن تظهر بصورة أوضح بالنسبة للملاحة العرضية . ونظرا للأهمية الفائقة للبحر الأحمر كطريق ملاحى ممتاز فقد كان دائما قبلة أنظار القوى المختلفة .

وقد برزت أهمية البحر الأحمر فى أعقاب شق قناة السويس وتحقيق الاتصال بين البحرين الأبيض المتوسط والأحمر حيث شكلا معا طريقا بحريا من الدرجة الأولى هو أقصر وأسرع طريق بحرى بين الشرق والغرب . اذ يوفر المرور للسفن والناقلات البترولية عبر قناة السويس حوالى من ١٧ — ٥٩٪ من المسافة ، ٥٠ — ٧٥٪ من الوقود تبعا للحموله والسرعة . وكل ذلك ينتج للسفن والناقلات زيادة عدد الرحلات وسرعه الامداد بالوقود والسلع مما يؤثر على مستويات الأسعار (١٦) .

ويوضح هذا البيان أن قناة السويس هى أقصر طريق مائى يربط بين الشرق والغرب مقارنا بطريق رأس الرجاء الصالح حيث أنها الطريق الوحيد الذى يرسم خطا مستقيما مباشرا بين أى نقطتين فيه كما يتضح من هذا الجدول .

---

(١٦) محمد فيصل عبد المنعم : قناة السويس شريان الرخاء للعالم ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٣٢ .

الرحلة	المسافة بالأميال		وفر المسافة	نسبة الوفر ٪	عدد أيام الرحلة		عدد السفن اللازمة للرحلة	
	بالسويس	بالراس			بالسويس	بالراس	بالسويس	بالراس
من بريطانيا الى الهند (بومباى)	٦٢٠٠	١٠٥٠٠	٤٣٠٠	٤١	٢١	٣٥	٥	٩
من بريطانيا الى ايران (عبدان)	٦٥٠٠	١١٣٠٠	٤٨٠٠	٤٣	٣٧	٦٥	٥	٩
من بريطانيا الى سنغافوره	٨١٠٠	١١٤٠٠	٣٣٠٠	٢٩	٢٧	٣٨	٣	٤
من بريطانيا الى هونج كونج	٩٥٠٠	١٢٨٠٠	٣٣٠٠	٢٦	٢٢	٤٣	٣	٤
من اليابان الى هولندا	١١٥٠٠	١٣٠٠٠	١٥٠٠	١٠	—	—	—	—

ويبين الجدول أن المسافات اقصر فى كل الحالات عن طريق قناة السويس وهذا لا يعنى وفرا فقط فى عدد أيام الرحلة ولا فى عدد السفن اللازمة لنفس الرحلة الواحدة وبالتالى فى عدد الرحلات التى يمكن للسفينة الواحدة أن تقوم بها فى العام الواحد وانما أيضا فى نفقات التشغيل من وقود وتموين وصيانة وتأمين .

وبالاضافة الى ذلك فلطريق قناة السويس ميزات تجارية وعمرانية وملاحية تتفوق على طريق الراس . فالأول اغنى بالموانىء الصالحة المجهزة ومحطات التموين والتشحيم المنتشرة على طوله كما انه غنى بمناطق الانتاج والأسواق والنشاطات التجارية التى تجتذب السفن التجارية . كما أن طريق السويس — ملاحيا — طريق محمى وآمن اكثر لانه طريق يجتاز بحارا داخلية شبه مغلقة أو هوامش محيطات ، اخطار التيارات والعواصف والانواء البحرية فيهما اقل . على عكس طريق راس الرجاء الذى هو « محيطى » اكثر حيث تشتد العواصف الهوجاء فى البحار الجنوبية (١٧) .

ولا ريب أن طريق البحر الأحمر قد أسهم جليا فى الطفرة الصناعية والحضارية الحديثة التى شهدتها اوربا الغربية . فهذا الطريق البحرى قرب المسافة بين هذه الدول وبين مصادر المواد الخام وأسواق التصدير فى آسيا وافريقيا بأرخص التكاليف وأقل الأوقات ويكفى أن هذا الطريق استقطب نحو ٧٤٪ من حمولة الأسطول العالمى عام ١٩٦٦ (١٨) .

وببداية تفجر البترول فى الخليج العربى تحول طريق البحر الأحمر من مجرى مائى الى شريان نفطى بالدرجة الأولى نمر به أهم سلعة استراتيجية فى عالم اليوم اذ بلغت حركة البترول نحو ٧٢٪ من الحمولة الكلية عام ١٩٦٦ . لذلك فقد تحملت تجارة نقل البترول الخام عقب اغلاق قناة السويس فى يونيه سنة ١٩٦٧ زيادة فى التكاليف بلغت ما يعادل ٦٥٪ من اجمالى زيادة تكلفة النقل البحرى (١٩) .

---

(١٧) د. جمال حمدان . قناة السويس نبض مصر . القاهرة . ١٩٧٥ . ص ٦٠ — ٢

(١٨) الأهرام الاقتصادى ، العدد ٤٧٨ ، ١٥ يوليو ١٩٧٥

(١٩) الأهرام الاقتصادى ، العدد ٤٦٩ ، ٦ مارس ١٩٧٥

السفن / الجنسيات / الحمولات / الموانىء المرتبطة :

لا شك أن تطور حركة الملاحة فى قناة السويس يعطى مؤشرا على أهمية البحر الأحمر كطريق للملاحة العالميــــة ولعل فى ذكر بعض البيانات الاحصائية قبل غلق القناة عام ١٩٦٧ وبعد افتتاحها فى عام ١٩٧٥ ما يوضح هذه الأهمية .

أولا : تطور حركة الملاحة قبل الغلق الثانى للقناة :

عبرت القناة ١٩١٤٦ سفينة فى عام ١٩٦٣ ، ١٩٩٤٣ سفينة فى عــام ١٩٦٤ ، ٢٠٢٨٩ سفينة عام ١٩٦٥ بينما عبرت ٢١٢٥٠ سفينة فى عــام ١٩٦٦ .

ولو أخذنا عام ١٩٦٥ كمثال لاتضح لنا أن السفن التى عبرت القناة خلاله بلغت حمولتها الصـــــافية ٢٤٦٨١٧٠٠٠ طن بينما كانت الايرادات ٨٥٧٩٢٠٠٠ جنيه مصرى فى حين كان المتوسط اليومى لعدد الســـفن هو ٥٥ر٦ سفينة ومتوسط الحمولة الصافية ٦٧٦٠٠٠ طن . وبينما بلغ عــدد الناقلات ٩٦٦٣ ناقلة مجموع حمولتها الصـــــافية ١٨٣١٩٦٠٠٠ طن وهى تمثل ٧٤٪ من مجموع حمولة السفن التى عبرت القناة فى عام ١٩٦٥ كان عدد السفن التى عبرت القناة بخلاف الناقلات ١٠٦٢٦ ســـفينة مجموع حمولتها الصافية ٦٢٦٢٢٠٠٠ طن (٢٠) .

أما عن جنســـيات الســـفن العابرة فى ذات العــام فكان ترتيبهـــا كما يلى : (٢١)

(٢٠) نشرة قناة السويس عام ١٩٦٥ ، ص ص ١٠٩ — ١١٢ .
(٢١) نفس المصدر ، ص ١١٥ .

ترتيب الـــدول	نسبة الحمولة الصافية الى المجموع
ليبـيريا	١٩٫٦ ٪
انجلترا	١٦٫٨ ٪
النرويج	١٥٫٢ ٪
فرنســـا	٥٫٦ ٪
ايطاليـــا	٥٫٨ ٪
اليونـــان	٥٫١ ٪
هولنــــدا	٣٫٦ ٪
روســـيا	٣٫٥ ٪
المانيا الاتحادية	٣٫٣ ٪
بنمـــــا	٣٫١ ٪
الولايات المتحدة الأمريكية	٢٫٨ ٪
الدانمرك	٢٫٤ ٪
اسبانيا	١٫٣ ٪
اليابان	١٫٣ ٪
دول أخرى	٦٫٩ ٪
المجمـــــوع	١٠٠٪

وبالنسبة لحركة البضائع فقد سجلت كميات البضائع التى عبرت قناة السويس خلال عام ١٩٦٥ زيادة قدرها ١٤٤٦١٠٠ طن اى بنســـبة ٦٫٩٪ على تلك التى عبرت خلال عام ١٩٦٤ . وبينما بلغت كميات عـــام ١٩٦٥ (٢٢٢٥٤٤٢٠٠) طن بلغت كميات عـــام ١٩٦٤ (٢١٠٩٨١٠٠٠) طـــن .

وقد شملت تلك الكميات ١٦٢٩٩٤٠٠٠ طن من المواد البترولية بزيادة قدرها ١٢١٩٧٠٠٠ طن اى بنسبة ٨٫١٪ على كميات عام ١٩٦٤ .

وكان المتوسط اليومى لكميات البضائع العابرة فى السنوات الأخيرة كما يلى : (٢٢)

البيـــان	آلاف الأطنـــان			
	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥
المواد البترولية	٣٥٦ر٧	٣٧٨ر٢	٤١٢ر٠	٤٤٦ر٥
البضائع الأخرى	١٤٣ر٠	١٥٢ر٠	١٦٤ر٥	١٧١ر١
المجمـــوع	٤٩٩ر٧	٥٣٠ر٢	٥٧٦ر٥	٦١٧ر٦

وكانت كميات البضائع من والى المناطق شمال قناة السويس عـــام ١٩٦٥ كما يلى :

الموانىء المرتبطة	آلاف الأطنان	النسبة ٪
١ — شمال وغرب أوربا والمملكة المتحدة	٩٩٢٨٧	٤٤ر١
٢ — بحر البلطيق	٤١١٩	١ر٨
٣ — شمال البحر المتوسط	٦٦٦٢٧	٢٩ر٦
٤ — شرق وجنوب شرق البحر المتوسط	٤٣٠٨	١ر٩
٥ — غرب وجنوب غرب البحر المتوسط	٤٣٢٢	١ر٩
٦ — البحر الأسود	١٢٦٠٤	٥ر٦
٧ — أمريكا	٢٢٥٩٥	١٠ر٠
٨ — مناطق أخرى	١١٤٦٠	٥ر١
المجمـــوع	٢٢٥٤٤٢	١٠٠٪

(٢٢) نفس المصدر ، ص ١٢٢ .

أما بالنسبة لمناطق جنوب قناة السويس فكانت كمية البضائع متهـــا واليهـــا كالآتى : (٢٣)

الموانىء المرتبطة	آلاف الأطنان	النسبة ٪
١ ــ البحر الأحمر	٨١٢٤	٣ر٨
٢ ــ شرق افريقيا وعدن	٦١٠٧	٢ر٧
٣ ــ الهند وباكستان وسيلان وبورما	٢٤٧٢٢	١١ر٠
٤ ــ الخليج العربى	١٥١١٨٤	٦٧ر١
٥ ــ جنوب وشرق آسيا	٧٥٦٦	٣ر٤
٦ ــ الشرق الأقصى	١٦٢٣٠	٢ر٦
٧ ــ اســـــتراليا	٥٩٦٣	٢ر٦
٨ ــ مناطق اخرى	٦٥٣٨	٢ر٨
المجمــــــوع	٢٢٥٤٤٣	١٠٠٪

تم خان ٥ يونيو ١٩٧٥ يوم اعادة افتتاح القناة أمام الملاحة الدوليـــه بعد غربة طالت قرابة ثمانى سنوات ونستطيع أن نستعرض أهمية القناة من الجداول الثلاثة التالية (٢٤) التى توضح الى أى حـــد بلغت الزيادة فى الحمولة المنقولة عبر القناة وعدد السفن العابرة فضلا عن تطور دخـــل القنــــاة .

السنة	جملة الحمولة الصافية	المتوسط اليومى
١٩٧٥	٢٤ ر١١٥ مليون طن	٣٢٠ الف طن
١٩٧٦	٢١٨ر٢١٥ مليون طن	٦٠٠ الف طن

(٢٣) نفس المصدر ، ص ١٢٢ .

(٢٤) الكتاب السنوى الاحصائى لعام ١٩٧٨ .

السفن العابرة منذ عودة الملاحة :

البيان	عام ١٩٧٥	عام ١٩٧٦	عام ١٩٧٧	عام ١٩٧٨	الوحـــدة
المجموع	٥٦٤٠	١٦٩٩٤	٢٠١٢٥	٢١٩٩٩	ســـفينة
المتوسط اليومى	٢٦ر٧	٤٦ر٥	٥٥ر١	٦٠ر٣	سفينة
جملة الحمولة	٧١ر٤٥٠	١٨٧ر٧٨٥	٢٢٢ر٤٨٣	٢٤٨ر٢٦٠	مليون طن
الايراد	١٠٠ر٩	٣٧٥ر٦	٤٥٠	٥٢٠	مليون دولار
عدد الجنسيات	٧٢	٨٧	٩٨	٩٩	جنسية

تطور اجمالى دخل القناة

السنة	اجمالى الدخل بالمليون دولار
١٩٧٥	١٠٠ ملئون دولار
١٩٧٦	٣٧٥ مليون دولار
١٩٧٧	٤٥٠ مليون دولار
١٩٧٨	٥٢٠ مليون دولار
١٩٧٩	٦٠٠ مليون دولار
١٩٨٠	٦٨٠ مليون دولار

ويتضح مما سبق أن حركة الملاحة فى القناة حققت زيادة مطردة منذ اعادة فتحها للملاحة العالمية فبينما بلغ عدد السفن العابرة فى يونيو ١٩٧٥ (٢١١) سفينة بمتوسط يومى ١١ر٩٦ ســـفينة فقد أصبح فى مايو ١٩٧٦ (١٤٣٧) سفينة بمتوسط ٤٦ر٤ سفينة وهذا يمثل ٣٩٠٪ اذا قورن بشهر يونيو ١٩٧٥ . كما زادت الحمولة الصافية العابرة للقناة منذ عودة الملاحة من ٣ر٢ مليون طن فى يونيو ١٩٧٥ الى ٥ر١٥ مليون طن فى مايو ١٩٧٦ ، وبتحليل حركة الملاحة منذ اعادة فتح القناة لخدمة التجارة العالمية يتضـــح أن المتوسط اليومى لاعداد الســـفن العابرة بخلاف الناقلات ارتفع من ٢١

سفينة يوميا فى عام ١٩٦٦ وهى السنة السابقة على اغلاق القنـــاة الى ٣٩ر٢ سفينة يوميا فى مايو ١٩٧٦ وهو يمثل ١٢٧٪ من متوسط عام ١٩٦٦ بالاضافة الى إن المتوسط اليومى لحمولة قناة السويس الصافية من السفن زادت من ٦٢٠ر١٨٦ طنا صافيا يوميا فى عام ١٩٦٦ الى ٣٠ر٢٩٦ طنـــا صافيا يوميا فى مايو ١٩٧٦ وهو يمثل ١٦٠٪ من متوسط الحمولة العـــابرة عام ١٩٦٦ .

ويمثل هذا الجدول بيانا مقارنا لأعداد الســـفن والركاب والحمولة الصـــافية : (٢٥)

السنة	عدد السفن والناقلات	عدد الركاب بالألف	الحمولة الصافية بالألف طن	حركة البضاعة بالألف طن
١٩٦٤	١٩٩٤٣	٢٧٠	٢٢٧٩٩١	٢١٠٩٨١
١٩٦٥	٢٠٢٨٩	٢٩١	٢٤٦٨١٧	٢٢٥٤٤٢
١٩٦٦	٢١١٢٥٠	٣٠٠	٢٧٤٤٦٦	٢٤١٨٩٣
١٩٧٥	٥٥٧٩	٣	٥٠٤٤١	٢٧٦١٩
١٩٧٦	١٦٨٠٦	١٤٠٢١	١٨٧٧٥٩	١١٧٦٥٣
١٩٧٧	١٩٧٠٣	١٦٤٧٩	٢٢٠٤٧٧	١٢٨٦٢١

وهكذا أخذت القناة تستعيد اهميتها الحيوية فى حركة التجارة العالمية بما يتضمنه ذلك من آثار اقتصـــادية هامة تؤكد أهمية البحر الأحمر كطريق عالمى للملاحة .

وقد اوضحت بعض الدراســات الاقتصادية أن اعادة افتتاح القنـــاة حقق للاقتصـــاد العالمى حتى عام ١٩٨٠ وفرا قدره ٧٢٠٠ مليون دولارا فى

---

(٢٥) محمد فيصل عبد المنعم ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .

تجارة نقل البترول و ٩٣٢ مليون دولارا فى مجال نقل البضاعة الجافة (٢٦).

كما اشارت آخر تقديرات هيئة قناة السويس الى أن ايراد القناة سيصل عام ١٩٨١ الى ١٢٠٠ مليون دولارا بزيادة قدرها ٢٠٠ مليون دولارا عن المعدل الذى كان متوقعا وأن هذه الزيادة فى دخل القناة هى نتيجة لتزايد اعداد السفن العابرة واستيعاب القناة للسفن العملاقة بعد التطورات الجديدة فيها . كذلك صرحت مصادر هيئة القناة بأن عدد الدول التى استخدمت القناة فى عام ١٩٨١ وصل الى ١٠٩ دولة بعد ان كان ١٠٤ دولة فى عام ١٩٨٠ ، ٦١ دولة قبل حرب عام ١٩٦٧ واعلنت ان متوسط عدد السفن العابرة للقناة قد وصل الى ٩٤ سفينة يوميا مقابل ٩١ سفينة عام ١٩٨٠ وأن عدد السفن التى عبرت القناة فى عام ١٩٦٦ كان ٢١٢٥٠ سفينة بمتوسط يومى ٥٨ر٢ سفينة وقد ارتفع هذا المعدل الى ٢٢ر٠٠٠ سفينة عام ١٩٧٨ بمتوسط يومى قدره ٦٠ر٣ سفينة .

وقد بلغ مقدار الحمولات التى عبرت القناة خلال عام ١٩٨٠ الماضى ٢٨١ر٣ مليون طن بمتوسط ٧٦٩ر٠٠٠ طن يوميا بينما بلغت اكبر الحمولات التى عبرت القناة فى عام ١٩٦٦ نحو ٢٧٤ مليون طن بمتوسط ٧٥١ر٠٠٠ طن يوميا . كما أشارت مصادر هيئة قناة السويس الى أن البترول الذى يعبر القناة حاليا يمثل حوالى ٤٠٪ من جملة الحمولات الصافية العابرة بينما تمثل البضائع ٦٠٪ وذلك بعكس النسب التى كانت قبل حرب ١٩٦٧ اذ كانت نسبة البترول العابر فى القناة ٦٥٪ من جملة الحمولات العابرة سنويا وأرجعت المصادر ذلك لأسباب عديدة منها احلال الناقلات العملاقة محل الناقلات القديمة كما اضافت أن ايراد القناة قد بلغ فى عام ١٩٨٠ ٦٦٠ مليون جنيه وذلك مقابل حوالى ٩٥ مليون جنيه — أى ٢٣٧ مليون دولارا — فى عام ١٩٦٦ (٢٧) .

---

(٢٦) نفس المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(٢٧) الاهرام فى ١٦ اغسطس ، ١٩٨١ ، العدد ٣٤٥٨٠ ، ص ٩ .

الأهمية العسكرية للبحر الأحمر :

اكتسب البحر الأحمر اهميته العسكرية من موقعه حيث كانت قاعدتا عدن وقناة السويس العسكريتان محور السياسة الاستراتيجية والعسكرية البريطانية فى الشرق الاوسط حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ومن كونه ممرا للقطع البحرية العابرة من والى البحر المتوسط والمحيط الهندى لاسيما بعد أن اصبح الاخير مجالا للتنافس بين القوتين العظميين . غير أن هناك عاملا يؤثر فى هذه الأهمية العسكرية الا وهو مدى ملاءمة مسرح عمليات البحر الأحمر الساحلى والبحرى للأعمال القتالية .

واذا كان البحر الأحمر يمتاز بطول سواحله وبالتالى قدرتها على التحكم فى البحر فانه ينتقص من قيمتهاكونها ذات طبيعة صحراوية قاحلة تفتقر الى طرق المواصلات والموانىء العميقة الجيدة فضلا عن صعوبة اتصالها بالداخل بسبب الحوائط الصخرية العالية التى تمتد على طول ظهيرها .

كما يفتقر البحر الى وجود جزر ساحلية لتسهيل عملية الانتقال من الملاحة الساحلية الى الملاحة البحرية .

وقد أدى ضعف تجهيز مسرح العمليات وعدم توافر العمق الكافى للدفاع الى الحد من القدرة على المناورة بالقوات وامكانية مد خطوط المواصلات لا سيما السكك الحديدية وبالتالى الى ضعف امكانية تنظيم دفاع جيد عن تلك السواحل .

كما أن طول سواحل الدول المطلة على البحر الاحمر يجعل هذه الدول شديدة الحساسية لكل ما يمكن ان يؤثر فى التوازن فى هذا البحر ويحتاج منها الى امكانات دفاعية كبيرة فوق طاقتها مما قد يدفعها الى الالتجاء الى دولة كبرى لسد النقص فى قدرتها الدفاعية أو قيامها بتوفير الأمن لها .

هذا بالاضافة الى ان اعتماد معظم هذه الدول على جبهة البحر الاحمر كمنفذ للعالم الخارجى من شأنه ان يعرض أمن وسلامة هذه الدول للخطر اد يمكن شل حركة هذه البلاد باحتلال الساحل الذى ينتهى اليه كل طرق المواصلات الاستراتيجية تقريبا أو بالسيطرة على نقط الاختناق

الثانوية والرئيسية التى تتحكم فى تنظيم حركة الملاحة فى البحر الأحمر .

وبالرغم من ذلك فان الجبهة البحرية للبحر الأحمر تعد ذات أهمية كبيرة من الناحية الحربية حيث أن البحر الأحمر بحر مفتوح تنساب مياهه طوال العام ولا يعيب طول جبهته البحرية الا صعوبة الدفاع عنها الا ان وجود الشعاب المرجانية يقف فى جانب المدافع حيث يحد من المناطق الصالحة للابرار البحرى .

اما بالنسبة لمسرح العمليات البحرى فان افتقاره الى الموانىء ذات ، الخدمات الادارية والفنية الكافية يحد من تأمين عمل القوات البحرية باستثناء موانىء عدن وايلات والأدبية وجيبوتى ومصوع ثم بربرة بعد ان حوله السوفييت الى قاعدة بحرية لخدمتهم ابتداء من عام ١٩٧٤ .

كما أن الطبيعة الجيوبوليتيكية للبحر الاحمر لا تجعل منه ميدانا مثاليا للقتال البحرى فهو لا يصلح لتمركز القطع البحرية الكبيرة مثل حاملات الطائرات والبوارج الحربية والطرادات الثقيلة انما يصلح لتمركز سفن السطح الصغيرة مثل لنشات الطوربيد ولنشات الصواريخ والزوارق البحرية بأنواعها فضلا عن صلاحيته لتمركز الغواصات بأعداد قليلة وذلك فى الاتجاهات العميقة (التى يزيد عمقها على ٧٥ مترا) .

الا أن تضاريس البحر الأحمر القاعية تلعب دورا هاما فى الاخفاء والتمويه البحرى لا سيما بالنسبة للغواصات حيث يمكن لهذه التضاريس الحد من الموجات الصوتية أو فوق الصوتية المرسلة من أجهزة الاستكشاف لرصد الغواصات . ولكن يقلل من قيمة هذا العامل أن أعماق البحر الأحمر ضحلة فى أجزاء كثيرة فضلا عن شدة ملوحة مياهه التى تزيد من سرعة اختراق الموجات الصوتية للوسط المائى (٢٨) مما لا يجعل من قاع البحر الأحمر ومياهه ميدانا جيدا لنشاط وعمل الغواصات ويمكن استخدام الغواصات فرادى أو فى مجموعات (المجموعة من ٢ — ٣ غواصة) .

وعلى هذا فان البحر الأحمر لا يصلح للعمليات البحرية واسعة النطاق

---

(٢٨) محمد توفيق ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .

وانما يصلح للأعمال القتالية المحدودة مثل اعتراض مواصـــلات العدو البحرية وبث الألغام والقيام بالعمليات الخاصة ضـد موانىء العدو ونقط تمركز قواته البحرية .

كما ادى وجود بعض الجزر الاستراتيجية التى تتحكم فى مضايق البحر الأحمر الى زيادة قيمته العسكرية .

اما بالنسبة لموقف المطارات فيتوفر للساحل الشرقى للبحر الأحمـــر شبكة من المطارات فى السعودية واليمن الشمالية تؤمن عمل القوات الجوية بدرجة كبيرة . كما توفر مطارات مصر على ساحله الغربى تأمين الجـزء الشمالى من البحر الا ان ضعف مستوى كفاءة المطارات فى السودان جعل المنطقة من راس بناس الى حدود اثيوبيا تشكل نقطة ضعف (٢٩) . كما انهـا نقطة ضعف ايضا بالنسبة لاحتمالات العمل فى اتجاه اثيوبيا . هذا بالاضافة الى عدم توفر مطارات على ساحل الصومال الشمالى حيث توجد أراضى هبوط اما مطار هرجسيا فـ لايصلح للنفاثات .

النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية حول البحر الأحمر :

اولا — دول الساحل الشرقى للبحر الأحمر :

وتشمل خمس دول هى على التوالى : اسرائيل ، الأردن ، السعودية ، اليمن الشمالية ، اليمن الجنوبية .

ولنبدأ باسرائيل . تلك الدولة التى تقوم على أساس الدين الواحد ، ويسيطر امنهـا على سياســتها ومن ثم أصبحت المؤسسة العســكرية الاسرائيلية محور السياسة وصانع القرار . ولضمان هــذا الأمن تسعى دائما الى الارتباط بقوى كبرى كحليف مضمون هو الآن الولايات المتحـدة الأمريكية . لها رئيس دولة ورئيس وزراء وبرلمان .

ويقوم النظـام الاجتماعى فى اسرائيل على طبقــة اليهود الغربيين

---

(٢٩) قبل التسهيلات الأخيرة للقوات الأمريكية .

وهم الصفوة والطبقة الحاكمة وطبقة اليهود الشرقيين وهم فئة العمال والفلاحين بالاضافة الى الاقليات غير اليهودية . والمجتمع الاسرائيلى ذو مستوى مرتفع .

اما نظامها الاقتصادى فهو راسمالى غربى مرتبط بأوروبا وأمريكا لوجود حصار

ثم نتناول الاردن وهو مملكة دستورية وراثية يمارس فيها الملك السلطة السياسية والعسكرية ويتخذ سياسة موالية للغرب حتى بعد استقلاله عن بريطانيا (٣١).

والمجتمع الأردنى بدوى — حضرى مستواه منخفض .

ويتبع الاقتصاد الاردنى النظام الراسمالى ويعانى عجزا فى الميزان التجارى مما يجعله يعتمد اساسا على المنح والمساعدات والقروض الاجنبية .

ثم تأتى المملكة العربية السعودية التى يقوم نظامها السياسى على الملكية التى تنهض على الشريعة الاسلامية ولا تعرف السعودية البرلمان أو الأحزاب السياسية ويمثل الملك كلا من السلطة الزمنية والروحية . ولا يوجد دستور فى السعودية حيث يقوم القرآن والسنة مقام الدستور (٣٢) .

والسعودية معروفة بميلها الى الغرب وترتبط بصلات قوية مع الولايات المتحدة والكتلة الغربية ، وهى تتبع سياسة اسلامية محافظة وتعادى

---

(٣٠) محمود توفيق ، الجغرافيا السياسية لاسرائيل ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٣٠٦ — ٣٠٨ .

(٣١) محمد كمال عبد الحميد ، الشرق الأوسط فى الميزان الاستراتيجى ، ط ٤ ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ص ٣١٤ .

(٣٢) توماس كوزنونسكى - البحر الأحمر والتوازن الاقليمى ، السياسة الدولية ، العدد ٥٩ ، يناير ١٩٨٠ ، ص ٤٢ .

الشيوعية . والنظام الاجتماعي السائد في السعودية هو النظام القبلي . والمجتمع السعودي متخلف بالرغم من ارتفاع مستواه الاقتصادي .

ويقوم الاقتصاد السعودي على المنتج الواحد وهو مندمج في الاقتصاد الدولي والسمة الأساسية للاقتصاد السعودي تتمثل في غياب الأبنية الاقتصادية المعقدة من جانب وغياب اية درجة من الاستقلالية في مواجهة النظام الاقتصادي من جانب آخر (٣٣) .

اما عن الجمهورية العربية اليمنية فقد ظل نظامها السياسي يقوم على الملكية المطلقة حتى سبتمبر سنة ١٩٦٢ حيث كان الامام الزيدي يمثل السلطة الزمنية والروحية .

وبعد ثورة سبتمبر سنة ١٩٦٢ قام نظام جمهوري وحصلت اليمن على دستور لأول مرة واصبح البرلمان هو الأداة التي تعكس سلطة رؤساء القبائل الا ان تزايد نفوذ القبائل وما يصاحبه من اضعاف للحكومة يمثل عائقا رئيسيا أمام تطور اليمن الى دولة حديثة (٣٤) .

ولذلك فان نظامها السياسي غير مستقر بسبب الصراع على السلطة ونعداتها مع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

والنظام الاجتماعي في اليمن الشمالية اساسه النظام القبلي حيث تشكل القبائل اقاليم مستقلة نسبيا وتحاول الحفاظ عليها في مواجهة السلطة المركزية .

ويعاني المجتمع اليمني حالة من التخلف الشديد .

أما الاقتصاد اليمني فيقوم على النظام الرأسمالي . وهو اقتصاد ضعيف لا ينهض على اسس سليمة ويعتمد على المساعدات الاقتصادية التي تقدمها السعودية والكويت .

---

(٣٣) روبرتو ، اليوني ، استراتيجية التنمية الاقتصادية في السعودية ، السياسة الدولية ، العدد ٥٩ ، ص ٥٠ .

(٣٤) توماس كوزنوفسكي : المصدر السابق ، ص ٤٤ .

وبالنسبة لليمن الجنوبية فيعتبر نظامها السياسى — وفقا لدستور سنة ١٩٧٠ — ديمقراطيا شعبياً حيث تنبع السلطة فيها من الطبقة العاملة وهى ذات نهج ماركسى والسلطة فى الدولة تمارسها الجبهة القومية والجهاز التشريعى والدستورى هو مجلس الشعب الأعلى (٣٥) .

ويعتمد النظام الاجتماعى على التركيب القبلى والعادات القبلية فى ظل مجتمع متخلف . اما النظام الاقتصادى فقد كان قبل الاستقلال يتمثل فى اقتصاد الخدمات الذى يتكون من أوجه نشاط الخدمات وقد ظل الاقتصاد بعد الاستقلال بدائيا وغير متوازن . ويتبع اليمن الجنوبى حاليا سياسة اقتصادية اشتراكية .

ثانيا — دول الساحل الغربى للبحر الأحمر

وهى خمس دول : جيبوتى ، الصومال ، اثيوبيا ، السودان ، جمهورية مصر العربية .

ونتناول جيبوتى التى ظلت مستعمرة فرنسية لمدة ١١٥ عاما ثم استقلت فى ٢٧ يونية ١٩٧٧ بيد انه يربطها بفرنسا معاهدة دفاع مشترك تحتفظ بموجبها بنحو ٦٥٠٠ جندى للمعاونة فى أمن جيبوتى .

ويسود جيبوتى النظام القبلى فى مجتمع متخلف . نظامها الاقتصادى راسمالى قائم على اقتصاد الخدمات وعلى المعونة الفرنسية التى تبلغ ستين مليونا من الدولارات سنويا .

ثم ننتقل الى تلك الأمة الممزقة المشتتة بين خمسة اقاليم ، الا وهى الصومال ، الدولة الضعيفة سياسيا واقتصاديا (٣٦) .

والصومال جمهورية ديمقراطية برلمانية على عداء سياسى مع اثيوبيا وتعانى مشاكل داخلية . والنظام الاجتماعى فى الصومال أساسه النظام

---

(٣٥) توماس كوزنوفسكى ، نفس المصدر ، ص ٤٧

(٣٦) د. جمال حمدان ، افريقيا الجديدة ، ص ٢١٥

القبلي الذى يعتمـــد على قبائل الصمالى والصلب . والمجتمع الصـــومالى متخلف جــداً .

اما نظامها الاقتصادى فبدائي ، راسمالى ضعيف النواة .

ثم نصل الى جارة الصومال اللدود ــ اثيوبيا .

وكان نظامها السياسى القائم حتى سنة ١٩٧٤ مستمداً من دســـتور عام ١٩٥٥ ولعــل الظاهرة البارزة فيــه هى تأكيد نظرية الحق المقدس فى الحكم (٢٧) . التى تعطى للامبراطور حقوقا وسلطات واسعة كان يملك بمقتضاها السيادة الكاملة فى الامبراطورية دون منازع . ولكن وقع انقلاب عسكرى فى سبتمبر سنة ١٩٧٤ اطاح بالامبراطور هيلاسيلاسى واتى بنظام جديد يقوم على الماركسية ويتبع النظام الاقتصادى الاشتراكى ــ بعد النظام الاقطـــاعى .

يعتمد النظام الاجتماعى فى اثيوبيا على قوة القبلية والنزعات المحلية مما تسبب فى تفكك المجتمع الاثيوبى الذى يعانى تخلفا شديدا .

ثم نتحدث عن جنوب وادى النيل ــ السودان ــ فنقول ان السودان جمهوريه برلمانية مستقله . نظامه السياسى غير مستقر حيث يعانى مشاكل انفصالية كامنة (مشاكل الجنوب) كما تحتوى عناصره الجنسيه على قدر كبير من التنافر واهمه بين الشـــمال والجنوب بالاضافة الى كثرة الجيوب القبلية فى الأطراف الشرقية والغربيـــة وقد حدثت محاولات كثيرة لتغـــذية الانفصالية على هذه الأسس او الدعوة الى دوله انجنسيه لا موحده (٢٨) .

يعتمد النظـــام الاجتماعى على القبائل واهمها البجـــه والنوبيون . والمجتمع السودانى متخلف . اما نظامه الاقتصادى فرأسمالى ضعيف .

ثم أخيرا جمهورية مصر العربية . وهى دوله مستقلة ذات نظام سياسى

---

(٣٧) د. راشـــد البراوى ، الحبشه بين الاقطـــاع والعصر الحديث ، النهضة المصريه ، القاهره ، ١٩٦١ ، ص ٩٤ .

(٣٨) د. جمال حمدان ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .

جمهورى ديمقراطى ، ينهض نظامهـا الاجتماعى على تحالف قوى الشعب العاملة من عمال وفلاحين ومثقفين وجنود ورأسمالية وطنيـة ويقوم هـذا التحالف على السلام الاجتماعى والوحدة الوطنية .

وهى كتلة جنسية متجانسة جنسيا وحضـاريا ومتماسكة سياسيا وتمثل نواة جغرافية بشرية سياسية شديدة التبلور (٣٩) .

تتبع جمهورية مصر العربية النظام الاقتصادى الاشتراكى مع الانفتاح على البلاد الراسمالية المتقدمة فى السنوات الأخيرة .

نخلص من هـذه الدراسة الى تحديد ملامح شخصية البحر الأحمر الجغرافية السياسية فنقول ان شخصية البحر الأحمر قد تحددت أساسا فى موقعه الذى جعله ممرا بحريا بالدرجة الأولى وهمزة وصل بين البحار الشرقية والبحار الغربية وشريانا لاهم سلعة استراتيجية فى العالم وطريقا تجاريا قرب المسافة بين الدول الصناعية ومصادر المواد الخام وأسـواق التصـدير . وتقول الحقائق ان الموقع الجغرافى السـياسى للبحر الاحمر يلاصق الساحل الشرقى لأفريقيا — قارة المستقبل — التى تنوء بالصراعات الاقليمية لا سيما فى منطقة القرن الأفريقى ثم قناة السويس كبوابة للبحر المتوسط . كما أنه يلاصق الساحل الغربى لشبه الجزيرة العربيـة ذات الثروة البترولية الكبيرة ثم باب المندب كمدخل للمحيط الهنـدى ، فضـلا عن أنه يجاور منطقـة الخليج العـربى مورد النفط الهـائل . بالاضافة الى توسطه قلب المناطق الحساسة (الشرق الأوسط — العالم العربى) مما أضفى عليه أهمية استراتيجية كبرى .

ثم ان الطبيعة الجغرافية للبحر الأحمر التى جعلت التحكم فى مضايقه ومداخله سببا الى السيطرة عليه قد فتحت البـاب أمام التنافس الدولى بغية الاستيلاء على مفاتيحه الاستراتيجية . فقد استولت بريطانيا على عدن سنة ١٨٣٩ بهدف السـيطرة على مضيق باب المنـدب لتأمين مواصلاتها الامبراطورية مع الهنـد كما احتلت مصر سنة ١٨٨٢ لتسيطر على المدخل

---

(٣٩) المصـدر السابق ، ص ٢١٨ .

الشمالى للبحر الأحمر . بينما احتلت فرنسا جيبوتى لتشارك بريطانيا السيطرة على باب المندب . كما سعت ايطاليا الى اقتسام النفوذ معها عندما أستولت على ارتريا والصومال .

ولم يقف الصراع الدولى عند حد التنافس على مضايق البحر ومداخله بل امتد ايضا الى الجزر الراقدة فى جنوب البحر الأحمر التى اكتسبت — بحكم موقعها وتحكمها فى مضيق باب المندب — اهمية استراتيجية كبرى . ثم انتقلت عدوى الصراع الدولى الى القوى الاقليمية فى جنوب البحر الأحمر التى تتنازع ملكية هذه الجزر . ونتيجة لطبيعة ساحل البحر الأحمر الصحراوية القاحلة لم يصبح البحر مقرا مناسبا وانما اكتسبت بعض الدول المطلة عليه أهميتها بسبب تحكمها فى مضيق استراتيجى أو وقوعها بالقرب منه او نتيجة موقعها الجغرافى الهام أو بسبب وجود ثروة بترولية فيها .

وبالرغم من وفرة اقتصاديات البحر نتيجة الثروات الموجودة فى قاعه فانها لم تكسبه أهمية كبرى حيث انها لم تستغل بعد بالدرجة التى تدفع بالبحر الى الأهمية المرجوة . هذا بالاضافة الى أن خصائص البحر الأحمر لا تجعل منه ميدانا مثاليا للعمليات البحرية كما تتطلب من الدول المطلة على مياهه امكانات عسكرية كبيرة للدفاع عن سواحله الطويلة . وقد اقتصرت أهميته العسكرية على موقعه كنقطة وثوب على المناطق الحساسة فى الشرق الأوسط وأفريقيا ووجود بعض القواعد العسكرية الهامة مثل قاعدتى عدن وقناة السويس وكونه ممرا للقطع البحرية الحربية الى المحيط الهندى .

كما أن ضعف وتعدد النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمعظم دول البحر الأحمر فضلا عن المشاكل الاقليمية التى خلفها الاستعمار قد أدى الى ضعف امكاناتها وقدراتها على توفير الأمن لها أو انتهاج سياسة مستقلة عن الدول الكبرى فضلاً عن تبديد طاقاتها فى صراعات محلية .

الفصل الثانى

السياسة البريطانية فى البحر الأحمر

تمهيد

الاستعمار البريطانى فى حوض البحر الأحمر :

أدت الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ الى ان تمد بريطانيا بصرها عبر البحر الأحمر فاستولت على جزيره بريم فى ٣ مايو سنة ١٧٩٩(١) لمواجهة التهديد الفرنسى للمواصلات البريطانية مع الهند ولو انها انسحبت منها بعد بضعة أشهر .

كما انها احتلت عدن فى يناير سنة ١٨٣٩ واتخذت منها قاعدة لايقاف التوسع المصرى جنوبى الجزيرة العربية وللاشراف على بلاد الصومال وعلى مداخل البحر الاحمر لتأمين طريق مواصلاتها مع الهند .

ثم اصبحت عدن بموقعها الممتاز منطلقا لتنفيذ سياسة بريطانيا التى استهدفت السيطرة على منطقة البحر الأحمر . فاستولى البريطانيون على جزر كوريا موريا سنة ١٨٥٦ واعادوا احتلال جزيرة بريم فى ٢٦ يناير سنة ١٨٥٧ (٢) كما احتلوا مصر فى سبتمبر سنة ١٨٨٢ ثم اجبروها على اخلاء أملاكها فى السودان وساحل البحر الأحمر والصومال وهرر فى عامى ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ واستولوا على موانىء بربرة وزيلع وبلهار وجعلوا منهما أساس مستعمرة بريطانية تشمل كل الساحل الجنوبى لخليج عدن حتى المحيط الهندى اسموها الصومال البريطانى (٣) . وقد وضعت بريطانيا

---

(١) Play Fair, R.L. History of Arabia, FeLix or Yemen, P. 123

(٢) د. فاروق عثمان اباظة ، عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر (١٨٣٩ — ١٩١٨) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٣٠٨ .

(٣) د. زاهر رياض ، الاستعمار الأوربى لأفريقيا فى العصر الحديث ، مكتب الجامعات للنشر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٢٩ .

امكانيات الساحل الصومالى فى خدمة قاعدتها الحربية البحرية الاستعمارية فى عــدن .

ولما تحولت سياسة بريطانيا فى مصر من احتــلال مؤقت الى احتلال مستديم رأت ضرورة استرجاع السودان بغيـــة تأمين سلامة مصر وأمنها فاتخذت منها قاعدة لاسترجاع السودان فى سبتمبر سنة ١٨٩٨ تحت ستار التبعية للخديوى ، ثم وطدت نفوذها فيه بعد اتفاقية الحكم الثنائى مع مصر سنة ١٨٩٩ .

وفى تلك الحقبة لم يكن البحر الأحمر لقمة سائغة لبريطانيا بل كان نهبا للتنافس الدولى المشتعل بينها وبين فرنسا وايطاليا الا أن بريطانيا تعاطفت مع ايطاليا حتى كونت مستعمرة أرتريا سنة ١٨٩٠ (٤) للحيلولة دون امتداد النفوذ الفرنسى المتمركز فى أوبوك وتاجورة الى ان طوت اتفاقية ٢ فبراير سنة ١٨٨٨ بين بريطانيـــا وفرنسا صفحة من صــفحات التنافس الدولى فى البحر الأحمر .

موقف بريطانيا من القوى العالمية فى البحر الأحمر قبل الحرب العالمية الاولى :

كانت لبريطانيا اليد العليا فى البحر الأحمر بحكم احتلالها عدن ومصر والسودان وسيطرتها على شـــمال الصومال ولعلاقاتها الودية الوطيـــدة بايطاليا . أما فرنسا فلم تعد خطرا على المصالح البريطانية فى البحر الأحمر منذ عقد الاتفاق الودى بينهما سنة ١٩٠٤ ، فى حين كانت الدولة العثمانية تسيطر على الســـاحل الشرقى لهـــذا البحر فيما عـــدا مستعمرة عــدن الا أن نفوذها كان آخذا فى الأفول فى مواجهـــة النفـــوذ الأجنبى المتسلل الى الجزيرة العربية (٥) .

وقد اضطرت بسبب الثورات الناشبة ضدها فى اليمن ونتيجة لحروبها مع ايطاليا سنة ١٩١١ ومع دول البلقان سـنة ١٩١٢ الى الاعتراف بالنفوذ

---

(٤) د. السيد رجب حراز ، التوسع الايطالى فى شرق افريقيا وتأسيس مستعمرتى أرتريا والصومال ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٣٧٢ .

(٥) حافظ وهبة ، جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ج ١ ، ص ١٧٠

البريطاني في جنوب اليمن وتوقيع اتفاقية مع بريطانيا سنة ١٩١٤ تتضمن التخطيط النهائي للحدود بين اليمن والمناطق المحتلة في الجنوب (٦) .

وعلى الرغم من أن ميزان القوى البحرى كان يميل بشـــدة لصالح بريطانيا في مواجهة القوى البحرية لكل من فرنسا وايطاليا والدولة العثمانية مما اتاح لها السيطرة الكاملة على سواحل هذا البحر وعلى طرقه التجارية فقد ظلت الدولة العثمانية المنافس الوحيد لبريطانيا في البحر الأحمر .

سياسة واستراتيجية بريطانيا في البحر الأحمر ابان الحرب العالمية الأولى :

اولا — سياسة واستراتيجية الدولة العثمانية :

كانت سياسة الدولة العثمانية في البحر الاحمر ترمى الى استقطاب الزعماء العرب وضمهم الى جانبها ضد بريطانيا وطرد البريطانيين من عدن ومصر مع الحفاظ على ولاياتها في الشرق العربى .

وبانضمام الدولة العثمانية الى المانيا في الحرب العالمية الأولى اتفقتا على تنفيذ خطـــة عســـكرية للسيطرة على مضيق عـــدن ومداخل البحر الأحمـــر (٧) .

وبناء على ذلك اصبحت استراتيجية الدولة العثمانية في البحر الاحمر تهدف الى الاستيلاء على قناة السويس وعدن (٨) مع تأمين وجودها في شبه الجزيرة العربيـــة والبحر الأحمر ومن ثم ارتكزت خطتهـــا العسكرية على دعامتين اساسيتين : الوجود العسكرى في الحجاز وعسير واليمن المتمثل في أربع فرق والاستفادة من النفوذ الدينى للسلطان العثمانى . وقد سعى العثمانيون بدأب الى حشد الحكام العرب لصالحهم باسم الدفاع عن الدين ، وكانوا يأملون في انضمام الشريف حسين اليهم حتى تتاح لهم حرية المناورة بجانبيتهم فضـــلا عن امدادهم بقوات من العشـــائر لمحاربة البريطانيين

---

(٦) د. حسين فوزى النجار ، بريطانيا والجنوب العربى ، ص ٦ .

(٧) د. جاد طه ، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، دار الفكر العربى ، القـــاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٣٣٩ .

(٨) أمين الريحاني ، ملوك العرب ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ .

فى منطقــة قناة الســويس (٩) بيد أن العثمانيين لم ينجحوا الا فى اجتــذاب آل الرشيد فى امارة شمر أما الامام يحيى فى اليمن فقد التزم الحياد المشوب بالعطف على العثمانيين .

وقد كانت تلك الاستراتيجية العثمانية الطموحة تحلق فى سماء الخيال حيث لم ترق القوات العثمانية البرية والبحرية الى مستواها فى التنفيذ . ومن ثم صار اقصى ما يطمح اليــه العثمانيون فى بداية الحرب هو شــغل القوات البريطانية فى عدن بالهجمات المتكررة بهدف ارغام بريطانيــا على توجيه قواتها — المزمع دفعها الى قناة السويس لصد الحملة العثمانية — الى عدن مما يساعد تلك الحملة الرئيسية على تنفيذ مهمتها (١٠)

ثانيــا — السياسة البريطانية فى البحر الأحمر :

قامت بريطانيا بدور هام وخطير للسيطرة على منطقــة البحر الاحمر مما شكل أحد عوامل النصر فى الحرب . وكان محور السياسة البريطانيه يدور حول تأمين الطريق البحرى الى الهنــد عبر البحر الأحمر . والحفاظ على ميناء عدن وضمان امداده بالمواد الغذائية من الساحل الافريقى المواجه فضــلا عن تحقيق أطماع بريطانيــا فى القارة الأفريقية (١١) . وقد نجحت السياســة البريطانية فى تحقيق أهدافها بعــد أن استقطبت معظم العناصر المعادية للعثمانيين . وكانت عدن برج مراقبة ومركز تموين وقاعدة انطلاق للبريطانيين فى منطقة البحر الأحمر .

على أن كسب الحرب فى الشرق الأوسط بوجه عام وفى منطقة البحر الأحمر بوجه خاص أصبح هدف الجانبين المتصارعين فى الحرب العالميــة

---

(٩) I O., Secret, B. 222, Carrespondense with the grand Sherif of Mecca, from 24 th September 1914 to 10 th, March 1916, No, 4, Communication from Mr. Cheetham to sherif Abdulla, P. 2.

(١٠) احمد فضل العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعــدن ، ص ٢١٠ — ٢١١ .

(١١) د. فاروق عثمان أباظة ، المصدر السابق ، ص ٥٦٠ .

الأولى ، ومن ثم ازدادت اهمية موقف العرب بالنسبة للحلفاء بصفة عامة وللمصالح البريطانية بصفة خاصة اذ كانت بريطانيا تدرك الخطر الذى يتهددها فى الجزيرة العربية من جانب العثمانيين الذين كانوا يستطيعون اتخاذ مراكز على طول سواحل البحر الأحمر لبث الألغام البحرية أمام السفن البريطانية وتهديد البريطانيين فى عدن بواسطة حاميتهم فى اليمن .

وقد استغل البريطانيون مشاعر العرب القومية فى الولايات العثمانية ولوحوا للشريف حسين أمير مكة بامكان قيام وحدة عربية تكون اساسا لخلافة اسلامية عربية جديدة ، وكانت فكرة قيام خلافة عربية قد شغلت عقول العرب زمانا بعد أن نشر الكواكبى كتابه « أم القرى » (١٢) . وقد وجد البريطانيون فى الشريف حسين ضالتهم المنشودة لمحاربة العثمانيين بنفس سلاحهم فاذا كان الخليفة العثمانى قد اعلن الجهاد المقدس ضد بريطانيا فان اعلان الشريف حسين — لما له من مركز دينى كبير — الجهاد ضد الدولة العثمانية انما يبطل تأثير جهادها على مسلمى الامبراطورية (١٣) . وتحقيقا لهذا الغرض دارت محادثات الحسين — مكماهون سنة ١٩١٥ وتوصل الجانبان الى اتفاق تحالف بمقتضاه الشريف حسين مع بريطانيا فى يناير سنة ١٩١٦ وتعهد باشعال نار الثورة العربية ضد الحكم العثمانى فى الحجاز وسوريا وعسير واليمن فى وقت واحد . وكان الشريف حسين علاوة على مركزه الدينى يتمتع أيضا بمركز ممتاز من الناحية العسكرية اذ كان يحتل منطقة وسط الخطوط العثمانية فى شبه الجزيرة العربية مما يتيح له ضرب القوات العثمانية فى بلاد العرب .

وكانت بريطانيا قد نجحت فى ٣٠ ابريل سنة ١٩١٥ فى عقد معاهدة مع الادريسى حاكم منطقة عسير مستغلة عداءه للعثمانيين ولامام اليمن . وتنص المعاهدة على تعهد الادريسى بشن الحرب ضد العثمانيين والقتال لطردهم من اليمن مع السماح للبريطانيين باستخدام جزر فراسان فى الأعمال

---

(١٢) د. حسين فوزى النجار ، المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(١٣) صالح محمود منسى : موقف اهل الشام من التبعية للحجاز ابان الحرب العالمية الأولى ، مجلة الشرق الأوسط ، العدد الثانى ، ص ٧١ .

الحربية فى مقابل تعهد بريطانيا بحماية الادريسى وبمساعدته ماديا وعسكريا وتأمين ملاحته فى البحر الاحمر وبالاتجار مع ميناء عدن الا انها حذرته من اثارة امام اليمن حتى لا يتحالف مع العثمانيين (١٤) . وقد نجحت السياسة البريطانية فى تحريك الادريسى من شمال اليمن لمهاجمة ميناء اللحية فاستولى عليه من جهة البحر بمساعدة الاسطول البريطانى ثم عقدت بريطانيا مع الادريسى معاهدة ثانية فى ٢٢ يناير سنة ١٩١٧ اعترفت فيها باستيلائه على جزر فراسان من الاتراك وبأنها قد اصبحت جزءا من ممتلكاته ومؤكدة استقلاله فى جميع الممتلكات (١٥) . كما تمكنت بريطانيا فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ من توقيع اتفاقية مع عبد العزيز بن سعود وضع بمقتضاها بلاده تحت الحماية البريطانية .

وبالنسبة لسياسة بريطانيا فى منطقة جنوبى الجزيرة العربية فقد انتقلت من دور الولاء والعطاء الى دور الحماية التى فرضت على الرؤساء العرب بموجب معاهدات عقدت بينهم وبين الحكومة البريطانية الدفاع عن عدن وقد التزمت بريطانيا التزاما تاما بعدم التدخل فى شئون القبائل الا بالقدر الذى يحقق المحافظة على مصالحها (١٦) .

وقد اثبتت معاهدات الحماية فشلها ابان الحرب لأنها لم تمنع العثمانيين من الوصول الى لحج ودق ابواب عدن والاستيلاء على مناطق اليمن الجنوبى واستمالة بعض الزعماء المحليين ، فى حين كانت سياسة بريطانيا فى الساحل الغربى للبحر الاحمر تهدف الى حماية قناة السويس بصفة اساسية ثم تأمين موانىء البحر الاحمر الخاضعة لنفوذها على الشاطىء الافريقى مع فرض سيطرة بحرية على

---

(١٤) د. محمد محمود السروجى : سياسة بريطانيا فى الجزيرة العربية اثناء الحرب العالمية الاولى ، البحر الاحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠ ، ص ٤٩٧ — ٨ .

(١٥) د. فاروق عثمان اباظة ، المصدر السابق ، ص ٥٨٥ .

(١٦) د. جاد طه ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

البحرين الاحمر والأبيض المتوسط بنـاء على اتفـاق عقدته مع فرنسـا في ١٩١٤/٨/٦ لتنسيق التعاون البحرى بين أسطولى الدولتين .

وفى الوقت الذى كانت بريطانيا تسعى فيـه لكسب ود العرب كانت تتفق مع حلفائها على اقتسام الامبراطورية العثمانية وضرب الأمانى القومية حتى تم لها ذلك فى اتفاقية « سايكس بيكو » السرية فى مايو سنة ١٩١٦ .

وقد خص البنـد (١٠) البحـر الاحمـر حيث نص على ان « تتفق الحكومتان البريطانية والفرنسية بصفتهما حليفتين للدولة (العربية) على الا تمتلكا والا تسمحا لدولة ثالثة ان تمتلك اقطارا فى شـبه جزيرة العرب او ان تنشىء قاعدة بحرية فى الجزر التى تقع على شرق البحر الأحمر » (١٧) .

وفى نوفمبر من العام التالى وعدت بريطانيا اليهود باقامة وطن قومى لهم فى فلسطين وبذلك خلقت أخطر مشكلة فى العالم العربى .

ثالثـا — الاستراتيجية البريطانية فى البحر الأحمر :

كان ميدان البحر الأحمر ثانويا بالنسبة لبريطانيا حيث كانت الساحة الأوربية ميدانها الرئيسي والحاسم الا أنه بحكم وجود قوات عثمانية متمركزة على سواحل هذا البحر وعلى مقربة من عدن فقد اتخذت بريطانيا اجراءات تكفل لها سلامة مواقعها وأمن اصدقائها .

لذلك بنت استراتيجيتها على أساس مبدأ الاقتصاد فى القوى وعـدم استنزاف جهودها فى حروب برية وذلك بدفع بعض القوى المعادية للأتراك للثورة ضدهم ، بالاضـافة الى تأمين الشريان البحـرى للامبراطـورية عبر البحر الأحمر ورعاية مصـالحهـا ومصالح حلفائهـا وتشـديد حراسـة البحرية على السـفن الصديقة والمتحالفة مع فرض حصـار بحرى على الموانىء التابعـة للعثمانيين فى البحر الأحمـر والحرص على ربط الموانىء التابعة للحلفاء على جانبى البحر الأحمر بميناء عدن (١٨) .

---

(١٧) د. مكى الطيب شبيكة : العرب والسياسة البريطانية فى الحرب العالمية الأولى ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٧٤ .
(١٨) د. فاروق أباظة ، المصدر السابق ، ص ٦١٧ — ٦١٩ .

وقد عزز من شأن هـذه الاستراتيجية البريطانية استقرار أوضاع بريطانيا فى الخليج العربى الى حد كبير فارتباطها بالكويت بمعاهدة حماية سنة ١٨٩٩ وبمشيخات الخليج ثم نجاحهـا سنة ١٩١٥ فى كسب صداقة ابن سعود واحتلالها تمران فى نفس العام ، كل ذلك جعلها فى مركز افضل من العثمانيين فى العراق (١٩) الا أن التنافس العثمانى البريطانى ظل محتدما على امارات شبه الجزيرة العربية . وتنفيذا لهذه الاستراتيجية رمت خطط بريطانيا العربية الى تحقيق أمرين جوهريين : الاول « ان تحتل راس الخليج العربى فتحمى منابع الزيت وتمنع العدو من تأسيس مراكز بحرية تهـدد المواصلات البريطانية مع الهند والثانى أن تحتفظ بهذه المواصلات مفتوحة عن طريق قناة السويس والبحر الاحمر » (٢٠) .

وقد رفع « البريجادير جنرال برايس » المقيم السياسى البريطانى فى عدن مذكرة الى حكومة الهند البريطانية فى السابع والعشرين من يناير سنة ١٩١٦ توضـح الخطوط الرئيسية للخطـة الاستراتيجية البريطانية فى منطقة البحر الاحمر كما يلى :

١ — فرض حصار بحرى محكم حول الموانىء التابعـة للعثمانيين فى البحر الاحمر بهدف منع الامدادات عنها .

٢ — تأمين وحماية ملاحة السفن البريطانية وسفن الحلفاء فى البحر الاحمـر .

٣ — حماية السفن التابعة للادريسى والمحافظة على فتح موانيـه وتأمينها لا سيما ميناء ميدى .

٤ — تأمين الملاحة البحرية للسفن الفرنسية فى البحر الأحمر خاصة بين ميناءى جيبوتى واوبوك وميناء عدن .

٥ — تأمين الملاحة البحرية للسفن الايطالية فى البحر الاحمر لا سيما بين ميناءى عصب ومصوع وميناء عدن .

---

(١٩) د. محمد محمود السروجى ، المصدر السابق ، ص ٤٩٦ .
(٢٠) حافظ وهبة ، المصدر السابق ، ص ١٧١ .

وقد أحاط البريجادير برايس فى مذكرته حكومة الهنـد البريطانيـة بأنه قد تم بالفعل اغلاق جميع الموانىء العربية المطلة على الجزء الجنوبى من البحر الأحمر والتى كانت تابعة للعثمانيين مع وضـع مصالح بريطانيا وحلفائها موضع الاعتبار (٢١) .

رابعا ــ العمليات الحربية البريطانية فى البحر الأحمر

كان حجم العمليات الحربيـة التى اشتعلت فى حوض هـذا البحر ضئيلا بحكم انه ميدان ثانوى . وكانت اقلها حجما تلك المعارك التى نشبت فى الجزء الجنوبى الغربى من شـبه الجزيرة العربيـة برغم الحجم الكبير لقوات الطرفين المتصارعين وطول مدة الحرب .

اما بالنسبة للجبهتين الشمالية والجنوبية ــ اى جبهتى مصر واليمن ــ فقد كانتا أوفر نشاطا . فعلى الجبهـة الشمالية أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر وعززت حاميتها فيها وحشدت قوات فى منطقة القناة لصد هجوم الاتراك المرتقب ، كما ضمت قبرص لكى تؤمن مدخل القناة من الشمال (٢٢) .

وقد جرى الهجوم التركى المتوقع على القناة بين سرابيوم وطوسـون ليلة ٢ ــ ٣ فبراير سنة ١٩١٥ الا انه فشـل فشـلا ذريعـا فانسحب العثمانيون الى بير سـبع (٢٣) . ثم حاولوا غزو القناة مرة اخرى فى ربيع سنة ١٩١٦ فتقدموا واحتلوا قاطية لكنهم ما لبثوا ان انسحبوا الى العريش . وعلى اثر هـذا الانسحاب قررت القيادة البريطانيـة الاستيلاء على شبه جزيرة سيناء فدانت لها العريش ثم رفح فى يناير سنة ١٩١٧ وبذلك اخليت الاراضى المصرية من العثمانيين .

---

(٢١) I. O., No. 83, Policy of his Majesty's ships the Southern Red Sea Patrol. Memorandum by C.H.U. Price. Brigadier – General, Political Resident. Aden Residency, 27 the January 1916, P. 1.

(٢٢) د. محمد محمود السروجى ، المصدر السابق ، ص ٤٩٩ .

(٢٣) د. عبـد الرحمن برج . قنـاة السـويس واهميتها السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٤٣ .

وكان الشريف حسين قد أعلن ثورته على الدولة العثمانية فى ١٠ يونية سنة ١٩١٦ وكان هذا الوقت مناسبا للبريطانيين وأدى لهم خدمة كبيرة (٢٤).

وقد استطاعت القوات العربية الثائرة أن تستولى فى أقل من ثلاثة اشهر على جميع مدن الحجاز باستثناء المدينة المنورة . ثم تقدم جيش الثورة العربية وعلى رأسه فيصل بن حسين فى أراضى الحجاز واحتل العقبة فى ٦ مايو سنة ١٩١٧ .

ثم اتخذ من العقبة قاعدة لعملياته الهجومية وتقدم منها شمالا لقتال الأتراك فى شرق الأردن مما قدم للحلفاء أكبر مساعدة (٢٥) .

وقد شجع نجاح الثورة العربية القيادة البريطانية على غزو فلسطين . فتقدمت القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبى واستولت على بئر سبع وطاردت العثمانيين فى سهل فلسطين ثم تمكنت بمعاونة عرب فلسطين وبفضل المساعدات التى قدمها المصريون من احتلال القدس فى ٩ ديسمبر سنة ١٩١٧ . وقد استغل الجنرال اللنبى نجاحه فى اتجاه دمشق وتمكن بمعاونة قوات الثورة العربية من الاستيلاء عليها فى أول اكتوبر سنة ١٩١٨ (٢٦) . ثم واصلت قوات الثورة العربية زحفها شمالا فاحتلت حمص وحماة وحلب وبذلك حررت سوريا كلها من النفوذ العثمانى وانتهى تماما التهديد التركى للقناة .

أما بالنسبة للميدان الجنوبى فقد دعمت بريطانيا قواتها البرية والبحرية فى منطقة عدن وفى جزيرة بريم واشتركت مع الادريسى فى الاستيلاء على ميناء اللحية فى اليمن فى يونية سنة ١٩١٥ فرد العثمانيون بضرب معسكر

---

(٢٤) جرانت وتمبرلى : أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

(٢٥) د. محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربى (١٥١٤—١٩١٤) الانجلو المصرية ، القاهرة ، ص ٢٩٨ .

(٢٦) شكرى محمود نديم : حرب فلسطين (١٩١٤ — ١٩١٨) ، ص ص ١٠٤ — ٩ .

« دير حسين » التابع للادريسي ونهبه والاستيلاء عليه (٢٧) .

وقد عاني الجيش والأهالي الكثير تحت وطأة الحصار الشديد الذي فرضته بريطانيا على اليمن ولم يكن امامهم من مخرج الا الاندفاع الي سلطنة لحج الواقعة تحت النفوذ البريطاني للاقامة فيها والتزود من خيراتها كذا الاقتراب من عدن وتهديدها وقد تم لهم ذلك في يوليو سنة ١٩١٥ ولم تفلح محاولات بريطانيا لاخراجهم منها الا بعد انتهاء الحرب (٢٨) .

وقد هدات جبهة القتال تماما بعد الاستيلاء على لحج الا من بعض المناوشات بين الجانبين .

وعندما انهارت مقاومة دول الوسط في اوربا طالبت الدولة العثمانية بالهدنة فوقعت هدنة موندروس في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٨ وكان من بين شروطها استسلام الحاميات التركية في الحجاز وعسير واليمن وسوريا والعراق واستلام الموانيء التركية في شمال افريقيا (٢٩) .

الا أن محمود نديم والي اليمن العثماني حاول ابراز شخصية الامام كوريث شرعي للحكم العثماني في اليمن ولكن المقيم السياسي البريطاني في عدن رفض قبول توسط محمود نديم للاتصال بالامام يحيى بحجة ان الأخير لم يكن طرفا في الحرب . وجدير بالذكر ان ذلك الاختلاف بين وجهتي النظر البريطانية والعثمانية كان سببا مباشرا في المشاكل التي اثيرت فيما بعد بين الامام يحيى والبريطانيين حول تحديد الحدود لفصل مناطق نفوذ الطرفين .

وقد زاد من تعقيد الأمور استيلاء البريطانيين على ميناء الحديدة ليكون في يدهم ورقة رابحة يساومون بها الامام يحيى ثم يسلمونها

---

(٢٧) محمد بن احمد عيسى العقيلي : المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

(٢٨) د. محمد محمود السروجي ، المصدر السابق ، ص ٤٩٩ .

(٢٩) د. فاضل حسين : محاضرات في مؤتمر لوزان وآثاره في البلاد العربية ، ص ٩ .

الى منافسه الادريسى وكان هدف بريطانيا من مساعدة الادريسى فى أعقاب الحرب الكبرى وبعد جلاء العثمانيين عن اليمن هو الابقاء عليه حليفا لهـا ومنافسا للامام حتى لا يقوى الأخير بالدرجة التى تشكل خطرا على المصالح البريطانية فى عدن وجنوب اليمن (٣٠) .

وفى نهاية المطاف اضطر البريطانيون الى تسليم ميناء الحديدة للادريسى فى ٣١ يناير سنة ١٩٢١ بعد أن فشلت محاولاتهم للتفاوض مع الامام يحيى الذى امر قواته بالزحف على النواحى التسع المجاورة لعدن لاتخاذها رهينة مقابل ميناءى اللحية والحديدة (٣١) .

غير ان حكم الادارسة قد اعتراه الضعف والانهيار بعـد وفاة محمد الادريسى فى ٢٠ مارس سنة ١٩٢٣ مما مكن الامام يحيى من طرد الأدارسة من الأراضى اليمنية وحصرهم فى امارة عسير فقط وبذلك تهيأت له الظروف لكى يسترد ميناء الحديدة دون حرب كذلك الموانىء التى على ساحل البحر الأحمر مثل « ابن عباس » و « الصليف » و « اللحية » و « ميدى » (٣٢) .

وقد تمخضت الحرب العالميـة الأولى عن انفراد بريطانيا بفلسطين والعراق مما اتاح لها خط دفاع عميق للقناة فى فلسطين اولا وجسرا متصلا عبر « الهلال الخصيب » بين راس البحر الأحمر وراس الخليج العربى . وهكذا أصبح المشرق العربى حلقة من الاستعمار البريطانى لا يتوسـطها الا جزيرة هزيلة مستقلة فى السعودية واليمن .

---

(٣٠) د. فاروق اباظة ، المصدر السابق ، ص ٦٦٠ — ١ .

(٣١) Survey of International Affairs, 1928, P. 311.

(٣٢) عبد الواسـع يحيى : تاريخ اليمن المسمي فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، ط ٢ ، ص ٣٢٨ .

السياسة البريطانية فى البحر الاحمر فى فترة ما بين الحربين العالميتين (١٩١٨ — ١٩٣٩) :

دخلت بريطانيا الحرب وهى تسيطر على السواحل الغربية للبحر الأحمر بالاضافة الى عدن وخرجت منها وقد اشتدت قبضتها بتعميق وجودها فى الشرق باستيلائها على سيناء وفلسطين .

وقد بنت بريطانيا سياستها العامة فى العالم العربى على اساس الاستفادة من حالة الانقسام بين دول البحر الاحمر وتعميق سياسة التجزئة والتقسيم فى الدول التى كانت تحت الحكم العثمانى واستغلال فشل الرابطة العربية الاسلامية فى جمع شمل هذه الدول والعمل على تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين .

وفى هذا الاتجاه رأت بريطانيا أن تبدأ أولا بتنسيق سياستها فى الشرق الأوسط فعقدت مؤتمرا فى القاهرة والقدس فى الفترة من ١٢ — ٢٠ مارس سنة ١٩٢١ برئاسة المستر ونستون تشرشل وزير المستعمرات . وقد وضع هذا المؤتمر الى حد بعيد خطوط السياسة البريطانية فى الشرق الأوسط للفترة التالية الممتدة لعشر سنوات الى خمس عشرة سنة (٣٢) .

وكان ان حدثت تغييرات جوهرية فى المصالح البريطانية اثناء الحرب العالمية الأولى انعكست جليا على موقف بريطانيا من المشروع الصهيونى فى فلسطين ، واهم تلك التغييرات تدهور موقف الحلفاء تدهورا كبيرا ازدادت حدته بخروج روسيا من الحرب مما دفع بالساسة البريطانيين الى دعوة الولايات المتحدة الأمريكية لدخول الحرب وقد استلزم ذلك تعديل موقف بريطانيا الفاتر من المشروع الصهيونى لارضاء مراكز الضغط الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية . وتمشيا مع السياسة البريطانية الجديدة ارسل ملك بريطانيا رسالة الى شعب فلسطين بمناسبة انتداب بريطانيا عليها وقد اذيع البيان فى القدس فى ١٧ يوليو سنة ١٩٢٠ واهم ما جاء فيه

---

(٣٢) م . ف سيتون وليمز : بريطانيا والدول العربية (مترجم) ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٨ .

ان الدولة المنتدبة ستنفذ ما عليهـا من الواجبـات بدون محاباة مطلقاً كما ان فى عزم الحكومة البريطانيـة أن تحترم حقوق العناصر والمـذاهب على اختلافهـا .

ولا يخفيكم ان الدول المتحالفة والمشتركة قد قررت أن تتخذ التدابير لتضمن تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين بالتدريج . وهـذه التدابير لن تؤثر قطعيا على حقوق الأهالى الدينية والمدنية ولن تنقص من الرقى المعنوى لعموم طبقات الشعب الفلسطينى » (٣٤) .

وقد تضمنت المادة الثانية من الانتداب شروط اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين حيث ذكرت « ان الدولة صاحبة الانتداب مسئولة عن ان تهيىء للبلاد الظروف السياسية والادارية والاقتصادية التى تضمن انشاء وطن قومى لليهود » .

كذلك وضع شرق الأردن تحت الانتداب البريطانى . وفى ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٨ عقد اتفاق بين الحكومة البريطانية والأمير عبد الله أمير شرق الاردن جاء فيه « ان صاحب الجلالة ملك بريطانيا مستعد للاعتراف بوجود حكومة مستقلة فى شرق الأردن بشرط أن تكون هذه الحكومة دستورية » وفى سنة ١٩٣٤ عدلت الاتفاقيـة سالفة الذكر حيث اصبح للأمير سلطة تجنيد قوات عسكرية والاحتفاظ بها (٣٥) .

وقد نتج عن الانتداب البريطانى على فلسطين وشرق الأردن أن أصبح لبريطانيا جبهـة بحرية على خليج العقبـة أحد منافذ البحر الأحمر بما له من أهمية استراتيجية وتجارية كما مكنها من السيطرة على مضيق تيران .

اما عن سياسة بريطانيا فى شبه الجزيرة العربية فقد تعددت اتجاهاتها وتباينت فعلى الرغم من ان بريطانيـا كانت قـد كافأت الشريف حسـين

---

(٣٤) د . عبد العزيز محمد الشناوى وآخر : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٥٨ .

(٣٥) م . ف سيتون وليمز ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ — ٧ .

باعترافها به ملكا على الحجاز فى ٣ يناير سنة ١٩١٧ (٢٦) الا انها — بعد انتهاء الحرب — لم تف بوعودها التى قطعتها له أثناءها فأخذ الشريف حسين يندد بها فى كل مكان حتى تخلت عنه واعطت الضوء الأخضر لغريمه ابن سعود أمير نجد ليخلصها منه .

وقد مهد انتصار ابن سعود على قوات الحسين الطريق للزحف على الحجاز التى دانت له فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٤ ثم أصبح عبد العزيز ابن سعود ملكا على الحجاز بعد مبايعة أهلها له فى ديسمبر سنة ١٩٢٥ .

اتضح لبريطانيا ان معاهدة سنة ١٩١٥ الموقعة بينها وبين ابن سعود لم تعد صالحة للتطبيق فوقعت معه معاهدة فى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ التى اعترفت فيها باستقلال حاكم الحجاز ونجد وبالاراضى التى ضمها ثم جددت المعاهدة فى عامى ١٩٣٦ ، ١٩٤٣ . وقد يكون أهم ما صاحب المعاهدة مجموعة المذكرات المتبادلة حول وضع العقبة ومعان التى ظلت خاضعة لامارة شرق الأردن وبالتالى لبريطانيا بالرغم من أن ابن سعود لم يتنازل عنها نظريا كما تعهد ابن سعود فى المادة الخامسة من المعاهدة بعدم التدخل فى شئون امارات الخليج الخاضعة للحماية البريطانية (٢٧) .

وننتقل من الحجاز الى جنوب شبه الجزيرة العربية حيث اليمن لنجد الامام يحيى قد اعلن استقلال بلاده فى أعقاب الحرب العالمية الاولى وطالب البريطانيين برد المناطق التى استولوا عليها فى الجنوب ، ولما كان الامام اثناء الحرب قد اتخذ موقف الحياد المتسم بالعطف على العثمانيين بحكم الرابطة الدينية فقد وجد البريطانيون ان الفرصة سانحة للانتقام منه بالاغارة على القرى والمدن اليمنية (٢٨) . ولما رأى الامام الا قبل له بمواجهة بريطانيا رأت الاخيرة ان الوقت صار ملائما لتتفاهم مع الامام — بعد استرداده الحديدة والأراضى التى كان يطالب بها فى تهامة وبعد أن عقد فى سبتمبر

---

(٢٦) Antonious, G. The Arab awakening, London, 1938, P. 214.

(٢٧) د. صلاح العقاد : جزيرة العرب فى العصر الحديث ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٥٥ .

(٢٨) نفس المصدر ، ص ص ٦٢ — ٣ .

سنة ١٩٢٦ معاهدة مع الحكومة الايطاليـة قد تزيد من النفوذ الايطـالى فى تلك المنطقة — اوفدت بعثة سياسية الى اليمن برياسة السير جلبرت كليتن لاقامة علاقات طيبـة مع الامام ولكنهـا فشلت فى مسـعاها (٣٩) فشـن البريطانيون هجوما جويا على اليمن شماله وجنوبه نجم عنه خسائر فادحة فى الأرواح والممتلكات كما دفعوا بحملة برية قوية هاجمت الضالع والدمنة والمركولة والشعيب اكدت للامام يحيى أن لا عهـد له بطغيان البريطانيين فركن الى مهادنتهم (٤٠) خاصة بعـد نجاح بريطانيا فى تجميـع السلاطين والأمراء ومشايخ القبائل فى الجنـوب تحت رعايتهـا واحساسه بضعف موقفه فيه . وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٣ قدمت الى صنعاء بعثة بريطانية برياسة حاكم عدن آنذاك وكانت الظروف الدولية والمحليـة تشجع على التفاهم بسبب اتجاه ايطاليا نحو الحبشة وبسبب الحرب السعودية اليمنية فوافقت اليمن على عقـد معاهدة صـداقة وحسن جوار مع البريطانيين فى ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ وأهم ما جاء فيها هو اعتراف بريطانيا باستقلال اليمن استقلالا كاملا وتأجيـل البت فى مسألة الحدود اليمنية الى مفاوضات أخرى تجرى قبل انتهاء مدة المعاهدة (٤٠ سنة) (٤١) وهـذا يعنى عمليا الاعتراف بالوضع القائم فى منطقة الحدود الجنوبية . الا أن معاهدة صنعاء الموقعـة سنة ١٩٣٤ لم تضـع نهاية فورية للمناوشات التى كانت تكدر العلاقات البريطانية اليمنية اذ حاولت سلطات عدن البريطانية أن تتوغل الى الداخـل فى مناطق غير واضحة الحدود . ثم اشـتعل النزاع ثانيـة بين البريطانيين واليمنيين سنة ١٩٣٧ على اثر صـدور القانون البريطانى الذى يحـدد ما اسمته حكومة لندن « محمية عـدن » . وقد ازداد الموقف اشتعالا سنة ١٩٣٨ اثر احتلال بريطانيا لمنطقة شبوه فى الشـمال الغربى من محمية عدن الشرقية اعتقادا منها بوجود بترول فى تلك المنطقـة (٤٢) .

---

(٣٩) أمين سعيد : اليمن ، ص ٧١ .

(٤٠) محمد كمال عبد الحميد : الاستعمار البريطانى فى جنوب الجزيرة العربية ، ص ٢٣ — ٤ .

(٤١) نفس المصدر ، ص ٢٥ .

(٤٢) جان جاك بيربى : جزيرة العرب (مترجم) ، ص ١٣٨ — ١٤٠ .

غير أن احتلال ايطاليا للحبشة وتجديد معاهدة الصداقة الايطالية — اليمنية في سبتمبر سنة ١٩٣٧ واستعداد الحكومة الايطالية للنهوض بمرافق اليمن قد جعل الهدوء الاضطراري يشيع في المحميات . وهكذا أفادت اليمن من وجود ايطاليا في الجهة المقابلة للبحر الأحمر .

أما بالنسبة لجنوب اليمن فمن المعروف ان بريطانيا في أعقاب احتلالها لعدن قد ركزت على عدم تطوير المناطق الداخلية فيما وراء عدن لكي تكون منطقة قبلية عازلة لحماية الميناء . ولكن بعد ان أتمت بريطانيا اتفاقها مع امام اليمن بموجب معاهدة سنة ١٩٣٤ اخذت تنفذ خطة التغلغل في المناطق الداخلية في المحمية فابتدعت لذلك معاهدات الاستشارة لاحكام قبضتها على الجنوب وقد ساعدت هذه المعاهدات بريطانيا على تدعيم نفوذها في السلطنات والمشيخات والامارات بشكل أكثر قوة من ذي قبل مما مكنها من مواجهة القوى الاستعمارية الأخرى المناوئة في البحر الأحمر مثل ايطاليا ومجابهة احتمالات الصدام مع الامام ومطالبة بالسيطرة على المنطقة .

والجدير بالذكر أن معاهدات الاستشارة هذه لا تخرج في مضمونها عن معاهدات الحماية الا أنها تلزم السلاطين والشيوخ بقبول نصيحة حاكم عدن أو القائم البريطاني في المحمية أو المعتمد البريطاني في الامارات المتعددة . وكانت أولى المعاهدات الثنائية مع سلطان القعيطي في حضرموت سنة ١٩٣٧ .

ولما كانت عدن تتبع مباشرة لوزارة المستعمرات فقد أصبح لها حاكم يقود القوات البريطانية (٤٣) . وقد أخذت بريطانيا في تشديد قبضتها على الجنوب وبعد ان أعلنت في أول ابريل سنة ١٩٣٧ أن عدن مستعمرة بريطانية تابعة للتاج البريطاني قسمت امارات الجنوب الى قسمين : محمية عدن الشرقية ومحمية عدن الغربية يمثل الحكومة في كل منهما قائم بريطاني يخضع مباشرة لحاكم عدن (٤٤) .

---

(٤٣) The Middle East, Asurvey and dictionary of Arabia, P. 35.

(٤٤) د. حسين فوزى النجار ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .

أما عن سياسة بريطانيا على الساحل الغربى للبحر الأحمر فكانت تهدف الى اتخاذ مصر والسودان محورا للاستراتيجية البريطانية فى الشرق الأوسط . لذلك سلكت السياسة البريطانية مسلكا يضمن لها استخدام أراضى مصر والسودان ووقوفهما الى جانبها فى أى صراع محتمل .

ففى مصر وافقت بريطانيا على مبدأ انهاء الحماية عليها الا انه منذ ذلك الحين والجدل يدور بين المفاوضين المصريين والبريطانيين حول تحديد مناطق تمركز القوات العسكرية البريطانية فبينما وافق سعد زغلول والمفاوضون من بعده على وجود عسكرى بريطانى شرق القناة فقط اصرت بريطانيا على عدم تحديد أماكن تمركز قواتها مما يدل على ان القصد لم يكن مجرد أهداف عسكرية تتوخى الدفاع عن قناة السويس بل هو السيطرة على مصر سياسيا والذى يعنينا هنا هو أن المفاوضات التالية سعت الى تحديد مناطق تمركز القوات البريطانية شرق وغرب القناة لأن المصريين اضطروا الى التراجع تحت الضغط البريطانى .

وعلى هذا الاساس تم توقيع معاهدة بين مصر وبريطانيا فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ . وقد نصت المادة الأولى على انتهاء احتلال مصر عسكريا بواسطة قوات صاحب الجلالة الملك والامبراطور بينما رخصت المادة الثامنة لبريطانيا بأن تضع فى الأراضى المصرية بجوار القناة قوات تتعاون مع القوات المصرية لضمان الدفاع عن القناة على ألا يكون لوجود تلك القوات صفة الاحتلال (٤٥) .

وقد شمل ملحق هذه المادة تفاصيل الترتيبات الخاصة بتنفيذها حيث تقضى بألا يزيد عدد القوات البريطانية التى توجد بقرب القناة على عشرة آلاف من القوات البرية واربعمائة طيار من القوات الجوية ومعهم العدد الضرورى من المستخدمين الملحقين بهم للادارة والأعمال الفنية ولا يشمل هذا العدد الموظفين المدنيين كالكتبة والصناع والعمال . كما حدد مناطق تمركز القوات البريطانية كما يأتى :

---

(٤٥) د. عبد العزيز محمد الشناوى وآخر ، المصدر السابق ، ص ٧٤٧ .

(أ) فيما يتعلق بالقوات البرية فى المعسكر ومنطقة جنيفة على الجانب الجنوبى الغربى للبحيرة المرة الكبرى .

(ب) وفيما يتعلق بالقوات الجوية على مسافة خمسة اميال . من سكة بور سعيد — السويس من القنطرة شمالا الى ملتقى سكة حديد السويس — القاهرة ، السويس — الاسماعيلية جنوبا مع امتداد على خط سكة حديد الاسماعيلية — القاهرة بحيث يشمل محطة للقوات الملكية للطيران بأبى صوير وما يتبعها من الاراضى المعدة لنزول الطائرات والميادين الصالحة التى قد يقتضى الأمر انشاؤها شرقى القناة للرماية وقذف القنابل من الطائرات .

كما يعد فى الأماكن المحددة آنفا للقوات البريطانية البرية والجوية سالفة الذكر بما فى ذلك أربعة آلاف من الموظفين المدنيين ما تحتاج اليه من الأراضى والثكنات الثابتة والمستلزمات الفنية بما فيها توفير الماء الذى قد تستلزمه الطوارىء .

كما حددت الفقرة السادسة من الملحق الطرق والكبارى والسكك الحديدية التى ستتولى الحكومة المصرية انشاءها وصيانتها وهى :

(أ) الطرق :

١ — بين الاسماعيلية والاسكندرية عن طريق التل الكبير والزقازيق وطنطا وكفر الزيات ودمنهور .

٢ — بين الاسماعيلية والقاهرة عن طريق التل الكبير .

٣ — بين بورسعيد فالاسماعيلية فالسويس .

٤ — مواصلة بين الطرف الجنوبى للبحيرة المرة الكبرى والطريق الممتد من القاهرة الى السويس على مسافة خمسة عشر ميلا تقريبا غرب السويس .

(ب) السكك الحديدية :

تزداد تسهيلات السكك الحديدية فى منطقة القنال وتحسن لسد حاجات القوات بعد زيادتها فى تلك المنطقة ولتسهيل سرعة نقل الرجال والمدافع وفقا لما تقتضيه حاجة الجيوش الحديثة .

(جـ) كذلك حددت الفقرة السابعة الطرق الاضافية التى يتعين على الحكومة المصرية انشاءها وصيانتها وهى :

١ — الطريق من القاهرة الى قنا وقوص .

٢ — من قوص الى القصير .

٣ — من قنا الى الغردقة .

وقد اشارت الفقرة الثامنة الى أنه حينما تتم المساكن وأماكن الايواء على ما يرضى الطرفين المتعاقدين وتتم الطرق المشار اليهما فى الفقرة السادسة تنسحب القوات البريطانية الموجودة فى انحاء القطر المصرى غير الجهات الواقعة فى منطقة القناة (٤٦) .

كما اختصت المادة الحادية عشرة بالسودان حيث ذكرت أنه مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل لتعديل اتفاقيتى ١٩ يناير ، ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ فقد اتفق الطرفان المتعاقدان على أن ادارة السودان تستمر مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين ويواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين . كما يوضع جنود بريطانيون وجنود مصريون تحت تصرف الحاكم العام للدفاع عن السودان بالاضافة الى الجنود السودانيين .

وهكذا ضمنت بريطانيا بفضل معاهدة ١٩٣٦ أن يكون لها قاعدة حربية فى قناة السويس تتوافر فيها المقومات الاستراتيجية مع ضمان معاونة مصر ووضع جميع امكانياتها تحت تصرفها فى حالة الحرب او خطر الحرب (٤٧) .

---

(٤٦) د. عبد العزيز محمد الشناوى وآخر ، المصدر السابق ص ٧٥٢ .

(٤٧) د. محمد عبد الرحمن برج ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

كذلك حددت معاهدة سنة ١٩٣٦ حجم القوات البريطانيـة وأماكن تمركزها وأساليب تحركها . الا أنه بنشوب الحرب العالمية الثانية أصبحت بريطانيا لا تتقيد بشروط المعاهدة مما جعـل قناة السويس نقطـة ارتكاز لبريطانيا فى البحر الأحمر واكبر قاعدة حربية لها فيما وراء البحار

كما أنه بمقتضى معاهدة سـنة ١٩٣٦ اعترفت مصر بالحكم الثنـائى فى السودان . ولما كانت بريطانيا هى الطرف الأقوى فقد بسطت نفوذها على السودان كله لأهميته الاستراتيجية والاقتصادية بوصفه ملتقى الطرق عبر القارة الافريقية من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ولوجود ميناء بورسودان الذى يطل على البحر الأحمر ولموقع السودان المتصـل بكتلة الاستعمار البريطانى فى شرق افريقيا والمسيطر على اعالى النيـل مما يعد أداة خطيرة للضغط السياسى على مصر (٤٨) .

التقـارب البريطانى الايطالى :

اذا كانت معاهدة سنة ١٩٣٦ قد اتاحت لبريطانيـا قاعدة حربيـة فى قناة السويس فانها باتت لا تطمئن على استقرار مركزها فى مصر وقناة السويس ما لم يتم اتفاق بينها وبين ايطاليـا التى استولت على الحبشة فى مايو سنة ١٩٣٦ وكونت امبراطورية فى شرق أفريقيا تنافس الامبراطورية البريطانية . كما كان محور روما — برلين يشـكل تهـديدا لأمن القنـاة التى بنت عليها بريطانيا استراتيجيتها الاقتصادية فضلا عن كونها البوابة السياسية الى الهند والشرق الأقصى (٤٩) .

وفى نفس الوقت ارادت بريطانيا انهاء التوتر الذى يسود علاقاتهـا بايطاليا ومصر الدعاية الدائبـة ضدها فى الشرقين الادنى والأوسـط فضلاً عن اهتمام بريطانيا المتزايد بجهود ايطاليـا الدائبة لاثبات وجودها

(٤٨) Halford, L. Hoskins, The Middle East problem Area, in World Politics, N.Y., 1957, P. 78.

(٤٩) L. A. Fabunmi, The Sudan in Anglo-Egyptian relations (1800 — 1956) P.P 103 – 4.

على كلا جانبي البحر الأحمر مما حــدا بها الى المبادرة بتسوية خلافاتهــا مع إيطاليــا تفاديا لصــدام محتمل بين الجانبين فى شرق البحر المتوسـط والبحر الأحمر (٥٠) .

وقد بدأت المفاوضات بين الطرفين فى شهر مارس سنة ١٩٣٨ وانتهت يوم ١٦ ابريل سنة ١٩٣٨ بالاتفــاق المعروف باتفاق روما وهو ينص على حسن الجوار وتبادل المعلومات بشأن التحركات الادارية كذا توزيع قواتهما المسلحة فى البلدان الواقعــة حول البحر الابيض المتوسط والبحر الأحمر وخليج عــدن ومصر والسودان وافريقيــا الشرقية الايطالية والصــومال البريطانى وكينيا وأوغندا وشمال تنجانيقا .

وبشأن انشاء قواعد بحرية وجوية فقد اتفق الطرفان على أن يبلغ كل منهما الآخر مســبقا عن كل قرار يتضمن اقامة قواعد بحرية أو جوية فى شرق البحر المتوسط والمناطق المذكورة آنفا .

واكد الطرفان احترامهما والتزامهما بالاتفاقية الموقعــة فى الآستانة فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨ التى تضمن استخدام قنــاة الســويس بالنسبة لكافة الدول وفى كل الأوقات (٥١) .

اما الملحق الثالث من الاتفاقيــة فتظهر اهميته لصلته الوثيقة بالبحر الأحمر وبالبلاد المطلة عليه اذ أن أهم ما جاء فيه هو ان توافق الحكومتان على الا تعقدا أى اتفاق والا تقوما بأى عمــل من شأنه أن يمس استقلال المملكة العربية السعودية أو اليمن والا تحصل أى منهما أو تسعى للحصول على مركز ممتاز ذى صــفة سياسية فى هاتين الدولتين وتعترف الحكومتان أيضــا بأن من مصلحتهما الا تبسط أى دولة اخرى ســيادتها أو تحصــل على مركز ذى صــفة سياسية فى هاتين الدولتين وفى جــزر البحر الأحمر

---

(٥٠) Sir Reader Bullard, Britain and the Middle East from the Earliest times to 1963, London, 1964, P. 90.

(٥١) د. محمد عبد الرحمن برج ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

التى تنازلت تركيا عن حقوقها فيه بموجب المادة ١٥ من معاهدة لوزان المعقودة سنة ١٩٢٣ .

وفيما يتعلق بهذه الجزر فمن المسلم بأن أحدا من الفريقين المتعاقدين لا يبسط سيادته عليها ولا ينشىء فيها تحصينات او منشآت دفاعية (٥٢)

وقد كان المقصود بعدم التدخل فى اليمن والسعودية هو اقامة توازن بين النفوذ المعنوى البريطانى فى السعودية والنفوذ المعنوى الايطالى فى اليمن بحيث لا تسعى احدى الدولتين الى كسب اى امتيازات فى منطقة نفوذ الطرف الآخر . وقد انتقدت المعاهدة فى بريطانيا من جانب المتشددين الذين راوا فى تساهل بريطانيا مع ايطاليا فى البحر الأحمر أمرا غير ضرورى وليس له ما يبرره .

سياسة واستراتيجية بريطانيا فى البحر الأحمر ابان الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) :

اولا — سياسة بريطانيا فى البحر الاحمر :

سعت بريطانيا فى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية الى تصفية الخلافات بين الدول العربية حتى يمكن حشد طاقاتها لصالحها فى اى صراع قادم . ففى سنة ١٩٣٣ عقد ابن سعود معاهدة صداقة وحسن جوار مع شرق الأردن بالرغم من نزاعهما على العقبة كما انهت معاهدة الطائف سنة ١٩٣٤ النزاع بين السعودية واليمن ، بينما وضعت معاهدة مايو سنة ١٩٣٧ بين مصر والسعودية حدا للتوتر طويل الأمد الذى ساد العلاقات بينهما . وقد استطاعت الدبلوماسية البريطانية أن تحصل من الامام يحيى على تصريح واضح أعلن فيه حياده التام أثناء الحرب العالمية الثانية بل ان امام اليمن قطع علاقاته مع دول المحور فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٣ برغم صلاته الوطيدة بايطاليا وذلك بعد تصفية الامبراطورية الايطالية فى شرق أفريقيا والبحر الأحمر فى غضون سنة ١٩٤١ . كما نجحت بريطانيا

---

(٥٢) أمين سعيد : المصدر السابق : ص ٥٤ — ٥ .

فى الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع السعودية مقرونة بكثير من الشعور الودى الذى ابداه ابن سعود نحو الحلفاء بالرغم من اتخاذه موقف الحياد . وفى غمار الحرب أجرت بريطانيا فى ١٩ يوليو سنة ١٩٤١ تعديلات أخرى على اتفاقية سنة ١٩٢٨ المعقودة بينها وبين الأردن كما بذلت له وعودها بأن تعقد معه — بعد انتهاء الحرب — معاهدة تكون أكثر ملاءمة للأوضاع الجديدة .

وقد اتخذت الأردن جانب بريطانيا فى الحرب وقدمت تسهيلات لتدريب القوات البريطانية كما شاركت الفرقة العربية فى سنة ١٩٤١ بنجاح ملحوظ فى الحملات العراقية والسورية (٥٣) .

لقد قدمت البلاد العربية المطلة على البحر الأحمر كل مساعدة لبريطانيا ووجهت مواردها الاقتصادية لخدمة المجهود الحربى البريطانى وكانت مصر قاعدة للعمليات العسكرية فى الشرق الأوسط كما كانت السودان قاعدة للهجوم على المستعمرات الايطالية فى شرق أفريقيا . ولم تكتف بريطانيا بذلك بل وجهت عنايتها الفائقة للاستفادة من المواد الخام والمنتجات الزراعية لمستعمراتها فى شرق افريقيا كما شكلت قوات أفريقية لعبت دورا هاما فى المعارك التى احتدمت فى أفريقيا الشرقية خلال عامى ١٩٤٠ ، ١٩٤١ واسهمت فى تقويض الامبراطورية الايطالية (٥٤) .

ثانيا — استراتيجية بريطانيا فى البحر الأحمر ابان الحرب العالمية الثانية :

ظفرت ايطاليا فى عهد موسولونى بنهضة عسكرية شاملة كانت بمثابة اول بادرة انذرت بالخطر الذى يهدد مركز بريطانيا وقد تفاقم هذا الخطر بغزو ايطاليا للحبشة عام ١٩٣٥/١٩٣٦ وبعقدها حلفا مع المانيا عام ١٩٣٦ اطلق عليه (محور برلين — روما) . ثم تعقد الموقف الدولى بتدخل دولتى المحور فى الحرب الأهلية الاسبانية مما ادى الى انتصار قوات الجنرال

---

(٥٣) م . ف سبتون وليمز ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(٥٤) د. السيد رجب حراز " بريطانيا وشرق أفريقيا من الاستعمار الى الاستقلال ، ص ١٩٣ .

فرانكو الفاشية وتقلده حكم شبه الجزيرة . وبذلك اصبحت دولتـا المحور تسيطران على مناطق استراتيجية هامة فى غرب ووسـط البحر الأبيض المتوسط والمدخل الجنوبى للبحر الاحمر تهـدد مراكز بريطانيا فى الشرق الأوسط تهديدا خطيرا (٥٥) . وفى نفس الوقت كانت المراكز البريطانية تطوق مراكز وقواعد دولتى المحور فى البحرين المتوسط والأحمر كما كانت لبريطانيا قواعد بحرية وقوات عسكرية فى مصر والسودان وفلسطين وشرق الأردن وفى مستعمراتها فى شرق أفريقيا وعـدن .

وقد اتبعت بريطانيـا خطتين استراتيجيتين تشـملان حوض البحر الأحمر : الأولى فى شرق افريقيا . والثانية فى الشرق الأوسط . وقد هدفت الخطة الاستراتيجية البريطانية فى شرق افريقيا الى عزل الحاميات الايطالية بقطع مواصلاتها البحرية ثم اتخاذ سياسة دفاعية حيالها حتى يتم القضاء على القوات الايطالية فى شمال افريقيا مع تأمين المواصـلات البحرية عبر البحر الأحمر . وحتى تتيسر لبريطانيـا القوات البرية اللازمة للهجوم على هذه المستعمرات توجه بريطانيا جهودا مكثفة لاثارة وتحريض الوطنيين فيها للقيام بثورات مسلحة ضـد القوات الايطاليـة المحتلة . وقد كان واجب السيطرة على البحر الاحمر حتى ميناء السويس من مسئولية الاسـطول البريطانى فى المحيط الهندى (٥٦) .

أما الخطة الاستراتيجية البريطانية فى الشرق الأوسط فقد بنيت على أساس التفوق الايطالى فى جميع الميـادين واحتمال عزل منطقـة الشرق الأوسط عن بريطانيا ودول الكومنولث . لذلك رمت الاستراتيجية البريطانية فى المرحلة الأولى الى انتظار الضربة الايطالية المتوقعة سـواء فى شمال أو شرق أفريقيا مع الاحتفاظ بخطوط المواصلات البحرية مفتوحة وآمنة . وقد اعتبرت بريطانيـا أن مصر هى مفتـاح الموقف كله فى الشرق الأوسط فركزت مجهودها الرئيسى للدفاع عنها على أن يأتى ميدان شرق افريقيـا

---

(٥٥) وزارة الحربيـة ، العمليات الحربيـة فى شمال افريقيا فى الحرب العالمية الثانية ، جـ ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٠ .

(٥٦) المصدر السابق ، ص ص ١٣ — ٤ .

الذى يشمل الصومال والسودان وكينيا فى المرتبة التالية من الاهميــة . ولتنفيذ هذه السياسة قررت بريطانيــا التخلى عن الصــومال البريطانى اذا تعرض لغزو جدى من الحبشة مع التمسك بالسودان كاسبقية اولى(٥٧) .

وقد اكدت وزارة الحرب البريطانية للقائد العلم للقوات البريطانيــة فى الشرق الأوسط فى ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٩ — تنفيذا لهذه الاستراتيجية — تعليماتها السابقة بانتهاج سياسة دفاعية على حدود مصر الغربية كما أكدت ضرورة اقتصار العمليات الحربية فى السودان على ما يحقق استمرار خط المواصلات البحرى عبر البحر الاحمر .

وقد قامت القيادة البريطانية للشرق الأوســط باعداد قاعدة ادارية فى مصر يمكنها امــداد ست فرق وقاعدة أخرى فى فلسطين يمكنها امــداد ثلاث فرق (٥٨) .

ولكى تؤمن القيادة البريطانية خط مواصلاتها البحرى عبر البحر الاحمر فقد خصصت قسما من اسطول المحيط الهندى للعمل فى ميــاه البحر الاحمر بينما كان لايطاليــا اسطول صــغير يتكون من ٩ مدمرات ، ٨ غواصات . وكانت هذه القوة كافية للتدخل بصورة مؤثرة ضد القوافل البحرية فى المحيط الهندى وعبر مضيق باب المندب فى طريقها الى السويس (٥٩) .

نشوب الحرب العالمية الثانية وتطورات الاحداث فى حوض البحر الاحمر:

نشبت الحرب العالميــة الثانيــة فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩ ضغطت بريطانيا على مصر لاصدار الأمر العسكرى رقم (٤) الذى يقضى بتفتيش السفن فى ميناءى بورسعيد والســويس لضمان سلامة القناة كما اغلقت القناة فى وجه السفن المعادية . وباستمرار الحرب اصبح المرور فى القنــاة مقصورًا على سفن الحلفــاء الحربية . وقد كان للتسهيلات الكبيرة التى

---

(٥٧) وزارة الحربية ، نفس المصدر ، ص ١٥ .
(٥٨) نفس المصدر ، ص ١٨ — ٩ .
(٥٩) نفس المصدر ، ص ٢٢ — ٣ .

قدمتها مصر للسفن البريطانية فضلا عن الحماية الجوية للقناة ابلغ الأثر فى تيسير حركة نقل القوات البريطانية من بلاد الكومنولث البريطانى الى ميادين القتال فى أوربا (٦٠) .

أما ايطاليا فقد اعلنت عند نشوب الحرب — انها ليست فى حالة حرب — ولكن فى ١٠ يونيو سنة ١٩٤٠ قررت ايطاليا دخول الحرب الى جانب المانيا — عندما اعتقد موسولينى فى قرب انتصارها — مما تسبب فى تغيير ميزان القوى البحرى فى البحر الأبيض المتوسط تغييرا شديدا وبرغم سيطرة بريطانيا على طرفى البحر الأبيض المتوسط عند قناة السويس وجبل طارق فقد أرغم وقوف ايطاليا كدولة معادية السفن البريطانية على أن تلجأ الى طريق رأس الرجاء الصالح بعد أن قامت طائرات دولتى المحور بقذف القناة باستمرار بالقنابل وبث الألغام بالمظلات . كما اغلقت الغواصات والطائرات الألمانية والايطالية البحر الأبيض المتوسط أمام سفن الحلفاء مما حد من اهمية البحر الاحمر وقلل من قيمة القناة الاستراتيجية (٦١) وكان على بريطانيا أن تواجه الخطر المحدق بالقناة سواء بتلغيمها أو تذفها من الجو أو باستيلاء هتلر عليها بمعاونة ايطاليا .

لقد هتكت السفن الحربية والطائرات والقواعد الايطالية فى شرق أفريقيا ستر أمن البحر الأحمر وهددت طريق الكاب الذى تنز الى مركز الصدارة من اهتمام بريطانيا خاصة بعد ان اخذت الامدادات العسكرية البريطانية تتدفق على القوات البريطانية عبر البحر الاحمر (٦٢) .

وقد شهد صيف ١٩٤٢ ذروة الحرب وبالنسبة للشرق الأوسط فقد كان من المعتقد أن الألمان سوف ينفذون الى القوقاز وان القوات البحرية اليابانية سوف تصل الى الخليج العربى او حتى البحر الاحمر بينما يخترق

---

(٦٠) د. محمد عبد الرحمن برج ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٦١) د. أحمد عبد الرحمن مصطفى ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٦٢) HuGh. J. Schonfield, The Suez Canal in Peace and War. P.P. 101 – 102.

روميل دلتـا النيل ويسيطر على قناة السويس . ولكن بريطانيـا وضعت تلك الاحتمالات فى حسبانها (٦٣) .

قنـاة السـويس واهميتها الاستراتيجية اثناء الحرب :

لم يحترم كلا الطرفين المتحاربين اتفاقية الآستانة بشأن حرية الملاحة فى القناة وبات من الواضح ان كلا المعسكرين لم ينظر الى القناة الا من زاوية اهميتها الاستراتيجية ، وقد اثبتت الحرب الا حماية حقيقية للقناة الا فى ظل السلام الدائم ، وبدلا من أن يؤدى التهديد الجوى للقناة الى الحد من أهمية مصر الاستراتيجية بالنسبة لبريطانيا نجده يقنعها بعكس ذلك ، اذ اصبحت السويس — بعد اغلاق البحر المتوسط — الميناء الوحيد الذى يمكن لقوات الحلفاء أن تتجمع فيه — معتمدة على تفوق بريطانيا البحرى لوقف تغلغل دولتى المحور فى افريقيا ولتوفير امكانية الزحف على شرقى اوربا وجنوبيها فضـلا عن ان مصر كانت مفتـاح الجبهـة الثالثة التى ادت الى انهيار ايطاليـا (٦٤) .

وقد ظلت القناة حتى نهاية الحرب العالميـة الثانية أساسا حلقـة الوصل بين الشرق والغرب وخاصة بين آسيا وأوربا وقد أصبحت بالنسبة لبريطانيا حلقة الوصل بينها وبين الهنـد ومن ثم كانت القنـاة خط حياة الامبراطورية البريطانية واكبر قاعدة عسـكرية عبر البحار فى العـالم ، « لقد جددت القناة شباب موقع مصر الجغرافى ولكن جعلت منهـا بوابة دموية من الناحية الاستراتيجية » .

وحتى حوالى منتصف القرن العشرين: « لم تكن قناة السويس بدورها مجرد بوابة أو قاعدة امامية متقدمة انما بحق عاصـمة المنطقـة برمتهـا استراتيجيا وقطب الرحى فى هيكلها الجيوبوليتيكى » (٦٥) .

---

(٦٣) HuGh. J. Schon field. IBid, P. 109.

(٦٤) د. احمد عبد الرحيم مصطفى : مشكلة قناة السويس (١٨٥٤ — ١٩٥٨) ، ص ٧١ .

(٦٥) د. جمال حمدان : قناة السويس ، نبض مصر ، ص ٢٦ — ٢٧ .

اذا كانت هذه هى أهمية قناة السويس المدخل الشمالى للبحر الأحمر فان عدن فى المدخل الجنوبى لعبت دورا اساسيا فى الحرب العالمية الثانية كقاعدة للحلفاء فى حملتهم على المستعمرات الايطاليـة فى شرق افريقيـا عام ١٩٤١ ، كما انتقلت اليها حكومة الصومال البريطـانى عندما استولى عليه الايطاليون سنة ١٩٤٠ ، اما ميناء بورســودان فكان دوره محدودا بصفة عامة ولم تبرز اهميته الا اثناء القتال فى شرق افريقيا .

العمليات الحربية فى شرق افريقيـا :

بينما كانت تدور المعارك التمهيدية فى ميـدان البحر الأبيض المتوسط وعلى حـدود مصر الغربية شنت القوات الايطاليـة هجوما على مستعمرة الصومال البريطانى فى الخامس من اغسطس سنة ١٩٤٠ . ولما اتضـح عدم قدرة الحامية البريطانية على الصمود صودق لها بالانسحاب الى عدن فى ١١ اغسطس سنة ١٩٤٠ .

اما فى جبهـة السودان فقد احتلت القوات الايطالية كسلا والقلابات وكرموك واصبحت فى موقف يسمح لهـا بمواصلة التقدم الى الخرطوم ، ولكن على الرغم من المزايا الاستراتيجية التى اتاحها احتـلال تلك المـدن فقد توقف الهجوم الايطالى تماما برغم أن جميع العوامل الاستراتيجية تدعو الى استمراره ليتزامن مع الهجوم المتوقع من برقة ضد مصر (٦٦) .

وعلى الرغـم من توقف القـوات الايطاليـة وتسليمهـا المبـاداة الى البريطانيين فقد قرر الجنرال ويفـل القائد العـام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط اتخاذ سياسة دفاعية تجاه المستعمرات الايطالية لضعف القوات البريطانية فى كينيا والسـودان ، الا ان ويفـل اضطر فى النهاية الى اتباع سياسة هجومية ازاء ضغط وزارة الحرب البريطانية .

ونظرا لوصـول امـدادات الى كينيا من جنـوب وغرب افريقيـا والى السـودان من الهنـد والصحراء الغربية فقد عقد الجنرال ويفـل

---

(٦٦) وزارة الحربية ، المصدر السابق ، ص ٤٠

فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٠ مؤتمرا فى القـاهرة حضره القائدان البريطانيان فى كينيا والسودان وانتهى المؤتمرون الى قرار بشن هجمات محدودة النطاق بهدف استعادة كسلا والقلابات ثم تسحب معظم القوات من هـذا الميدان للعمـل فى الشرق الأوسط مع التعزيز المستمر لحركة التحرير فى منطقـة غرب الحبشة لارهاق القوات الايطالية . اما فى جبهة كينيا فقد تقرر الهجوم على الصومال الايطالى بهدف الاستيلاء على المواقع الهامة الواقعـة على المحيط الهندى لتأمين خطوط المواصلات البريطانية المتجهة شمالا الى البحر الأحمر .

بدات المعارك فى السودان فى يناير سنة ١٩٤١ وقد خاضت غمارها الفرقتان ٤ ، ٥ هندية تعاونهما سـتة اسراب من الطـائرات تحت قيـادة الجنرال بلات . وفى ١٩ يناير اخلت فرقتـان ايطاليتان كسـلا والقلابات ازاء التهديد البريطانى فطاردتهما الفرقتـان الهنديتان حتى بلغتـا كيرين حيث توقفت العمليـات حتى منتصف مارس لوعورة الأرض وقوة المواقع الدفاعية الايطالية . وبعد أن أتمت القوات الهندية استعدادها شنت هجمات عنيفة على دفاعات كيرين فيما بين ١٥ ، ٢٧ مارس حتى سقطت . ثم تابعت تقدمها و حتلت سمرة فى أول ابريل ومصوع فى ٨ ابريل وازاء تدهور الموقف انسـحبت القوات الايطالية الى امبا الاجى فى الحبشـة حيث توقفت العمليات .

اما فى جبهة كينيا فقد بدات العمليات فى ١٠ فبراير سـنة ١٩٤١ بقوة مرتة ولواءين من المشـاه تحت قيـادة الجنرال كننجهام . وقـد استهلت معاركها بالاستيلاء على ميناء قسمايو ، ثم استولت على الموقـع الايطالى الرئيسى فى جيلبيت حيث خسر الايطاليون ٣٠ الف اسير . وتقدمت القوات مستغلة نجاحها فى اتجاه مقديشيو حيث سقطت فى أيديهـا فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٤١ .

وفى اوائل مارس سـنة ١٩٤١ دفعت القيـادة البريطانيـة بدوريات استطلاع من عدن الى بربرة للوقوف على قوة دفاعات الميـناء ثم أعقبهـا ابرار كتيبتين بريطانيتين بحرا من عدن فى ميناء بربرة وقد نجحتا فى الاستيلاء عليه وبذلك اصبح امداد قوات كننجهام ميسورا . وعلى اثر ذلك واصلت معظم القوات تقدمها واستولت على هرر فى الخامس والعشرين من مارس

مما أدى الى خفض الروح المعنوية للايطاليين ومن ثم أصبح سقوط اديس ابابا متوقعا بين لحظة وأخرى . وقد استغل كنجهام الموقف واستمر فى التقدم حتى دخل العاصمة اديس ابابا فى ٦ ابريل سنة ١٩٤١ (٦٧) .

بينما واصل لواء مشاه تقدمه وهاجم موقع أمبا الاجى من الخلف حتى إنهارت مقاومة الايطاليين فيه . وبعد سقول اديس أبابا انسحب الايطاليون فى ثلاث مجموعات قوية بين العاصمة وارتريا وفى جنوب جالاسيدامو حيث كانت بها قوة تقدر بأربعين الفا من الجنود ، ولكن هطول الأمطار علق تقدم القوات المهاجمة وأخر العمليات الى آخر نوفمبر حيث تم القضاء على القوات الايطالية وأسرها (٦٨) وفى ٩ ابريل — بعد استسلام أديس أبابا بثلاثة أيام — طلب تشرشل من لجنة الدفاع ان تقرر سياستها تجاه الامبراطور مؤيدا عودة هيلاسلاسى رسميا الى عاصمة بلاده فورا . وقد عاد هيلاسلاسى الى عاصمة ملكه فى احتفال مهيب كالفاتح الظافر فى اليوم الخامس من مايو وهو ذكرى دخول الايطاليين عاصمة بلاده منذ خمس سنوات (٦٩) .

استتب الأمر للقوات المتحالفة واستقر الملك على عرشه الا من بعض جيوب المقاومة الايطالية التى رفضت القاء سلاحها ولكنها استسلمت بعد تضييق الخناق عليها . كما استسلم نائب الملك الايطالى الدوق أواستا يوم ١٨ مايو . وقد كانت الحامية المتحصّنة فى قلاع مدينة غوندار آخر من ألقى سلاحه من القوات الايطالية .

وفى خلال هذه العمليات استمر البريطانيون فى اثارة القبائل الحبشية حتى قضت على ما تبقى من المقاومة الايطالية نهائيا . وبذلك سقطت الامبراطورية الحبشية فى شرق افريقيا . وبعد انتهاء الاحتلال الايطالى قامت الحبشة بالتزاماتها كحليفة لبريطانيا واشتركت الى جانبها فى الحرب فى شمال افريقيا .

---

(٦٧) George Kirk, The Middle East in the Survey of International affairs (1939–1946) P. 48.

(٦٨) George Kirk, IBid, P. 49.

(٦٩) George Kirk, IBid, P. 51.

بريطانيا والقرن الأفريقي :

بدخول القوات البريطانيـــة اديس ابابا عام ١٩٤١ وضعت أوجادين تحت الادارة العسكرية البريطانية وسرعان ما خضعت أثيوبيا ومستعمرتى الصومال الايطالي وارتريا لنظام حكم واحد هو الاحتلال العسكرى البريطانى . وكانت المفاوضات الأثيوبيـــة ـــ البريطانيـــة اثنـاء الحرب قد أسفرت عن عقد اتفاقية ٣١ يناير سنة ١٩٤٢ التى نصت علي اعتبار منطقة أوجادين جزءا منفصلا عن أثيوبيا تديره القوات العسكرية البريطانية ثم جددت فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٤ ونصت على بقاء الاحتلال البريطانى لها لمدة عشر سنوات ثم تتخلى عنها بريطانيا نهائيا لاثيوبيا .

وقد نجح هيلاسيلاسى فى توقيع اتفاقيـــة جـديدة مع البريطانيين فى ١٩٤٤/١/١ حددت بعض الالتزامات مثل قيام أثيوبيـــا بادارة الخط الحديدى بين جيبوتى واديس ابابا كما نصت على استمرار الادارة العسكرية فى الحكم مع رفع العلم الأثيوبى بجانب العلم البريطانى فوق الدوائر الرسمية ارضاء للامبراطور . كذلك نظمت المساعدات المالية البريطانية لأثيوبيا (٧٠) .

سياسة واستراتيجية بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية :

انتهت الحرب العالمية الثانية فى أول سبتمبر سنه ١٩٤٥ باستسلام اليابان بينما سبقتها المانيا فى ٧ مايو من نفس العام (٧١) .

وقد أظهرت تجارب الحرب للعـــالم أن منطقة القنـــاة لم يعد لهـــا تلك الأهمية الاستراتيجية التى كانت لها ابان الحرب العالميـــة الأولى . ذلك أن الدور الذى لعبته القوات الجوية فى الحرب العالمية الثانية قد أضعف من الأهمية الاستراتيجية لقناة الســـويس اذ حرمت طائرات دولتى المحور بريطانيا وحلفاءها من استخدام القناة لمده ثلاث سنوات كاملة .

وقد نشر الكابتن ليدل هارت رأيه فى اهميه قناة الســـويس فقال : « إن الشرق الاوسط ذو اهميـــة فيما يختص بموارده من الزيت ولكنه ليس

(٧٠) ميتاز العارف : الأحباش بين مأرب وأكسوم - ص ٢٩١ — ٥ .
(٧١) د. محمد عبد الرحمن برج : المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

حيويا بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة . فقد ظل العالم يعتقد طويلا أن قناة السويس حيوية حتى بعد الحرب الأخيرة ولكن الوقائع اثبتت ان الحلفاء استغنوا عن طريق قناة السويس ثلاث مرات هامة خلال الحرب العالمية الثانية غير أنهم استطاعوا الاحتفاظ بالشرق الأوسط مما يدل على أن مسألة حيوية قناة السويس لشئون الدفاع كان مبالغا فيها (٧٢) .

وبالرغم من ان قناة السويس قد أدت دورها بنجاح خلال الحرب الماضية كقاعدة حربية الا أنها كانت عرضة للهجوم البرى من الصحراء الغربية ، وللهجوم البحرى المتمثل فى شن الأعمال التعرضية ضد السفن القادمة من السويس أو القاصدة اليها كما كانت هدفا للهجوم الجوى أيضا . ولضمان سلامة قناة السويس لابد ان يكون لمصر او للدول المتحالفة معها التفوق الجوى والبحرى فى المنطقة الممتدة من جبل طارق الى باب المندب .

ولما كانت الحرب العالمية الثانية قد اثبتت ان قناة السويس فقدت معظم اهميتها الاستراتيجية فانها لم تشغل حيزا كبيرا فى الفكر الاستراتيجى البريطانى بعد أن اقتنعت بريطانيا بأنه لضمان سلامة القناة واستمرار استخدامها يلزم أن تمتلك قوات بحرية وجوية متنوعة وقواعد بحرية وجوية تتوافر لها الحماية والأمن داخل حوض البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر . كما يتعين عليها أن تحتفظ بقوات برية ضخمة فى مصر تكفى لها الاستقرار والأمن كما تكون قادرة على صد وتدمير اى هجوم برى يستهدف القناة (٧٣) .

هذا فضلا عن توفير حماية جوية للقناة ضد قاذفات القنابل التى يحتمل توجيهها من الاتحاد السوفيتى بعد ان اصبحت القناة والدلتا داخلتين فى مدى طيرانه مما يستلزم انشاء نظام دفاع جوى قوى باهظ التكاليف . الا انها كانت تدرك تمام الادراك اهمية القناة من الوجهة السياسية ، اذ لم

---

(٧٢) مجلة الجيش ، المجلد الثالث عشر ، العدد ٥٥ ، أكتوبر ١٩٥١م ، ص ٥٢٣ .

(٧٣) د. محمد عبد الرحمن برج ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

يخف عليها أن انسحابها منها سيحرمها مما تتمتع به من نفوذ قوى ليس ف البحر الاحمر فحسب بل وفى الشرق الأوسط كله .

ومن ثم قل اهتمام بريطانيا بمصر استراتيجيا فقط واصبح لزاما عليها ان ترسم سياستها فى الشرق الأوسط على ضوء عدائها للاتحاد السوفيتى وعلى ضوء الاستقلال الذى نالته معظم دول الشرق الأوسط .

ويمكن تقسيم السياسة البريطانية الى مرحلتين : الاولى من عام ١٩٤٥ — ١٩٤٨ عندما كان الخطر الذى يشكله الاتحاد السوفيتى بعيدا نسبيا . اما المرحلة الثانية فتأتى بعد عام ١٩٤٨ عندما كان الاتحاد السوفيتى يشكل خطرا داهما على الغرب .

وفى خلال المرحلة الأولى كانت السياسة البريطانية تسعى جاهدة الى حشد الدول العربية فى وحدة سياسية واقتصادية يمكنها بالدعم البريطانى والأمريكى وبالتعاون التركى الايرانى أن تتطور فتكون حاجزا سياسيا واقتصاديا وعسكريا فى وجه التغلغل الشيوعى فى آسيا وافريقيا . ويشكل هذا الحاجز بديلا عن الحاميات البريطانية فى الشرق الأوسط التى كانت تشكل عبئا سياسيا واقتصاديا يقف عقبة كؤودا فى سبيل تحقيق هذه الخطة حيث كانت القوى الوطنية فى تلك المنطقة تناصبها العداء فضلا عن نفقاتها الباهظة .

وطبقا لهذا المفهوم الاستراتيجى وافقت بريطانيا عام ١٩٤٦ من حيث المبدأ على جلاء قواتها عن مصر على ان تستبدل بقاعدة القناة قاعدة أخرى فى كينيا (٧٤) . وفى ٨ مايو سنة ١٩٤٦ أعلنت السفارة البريطانية فى القاهرة أن السياسة المقررة للحكومة البريطانية هى توطيد تحالفها مع مصر على أساس من المساواة والمصالح المشتركة وان الحكومة البريطانية قد قررت أن تسحب جميع قواتها البرية والبحرية والجوية من الاراضى المصرية وأن مراحل وتوقيتات الجلاء ستحدد فى المفاوضات بين الجانبين (٧٥) . غير ان بريطانيا فى مقابل ذلك هدفت الى أن تربط مصر بمعاهدة دفاعية تقدم

(٧٤) د. احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .
(٧٥) اسماعيل صدقى ، مذكراتى ، ص ٧٦ .

مصر بموجبها مساعدات أو التزامات على غرار معاهدة سنة ١٩٣٦ وذلك فى حالة وقوع اعتداء أو تهديد بعدوان على احدى دول منطقـــة الشرق الاوسط المتاخمة لمصر .

وانتهت المفاوضات الى اقرار مشروع معاهدة وقع مساء ٢٥ اكتوبر ١٩٤٦ (٧٦) ولكن مشروع المعاهدة الذى وقعه كل من صـــدقى وبيفين لم يقدر له ان يخرج الى حيز التنفيذ بسبب الاختلاف على تفســـير النص الخاص ببروتوكول السودان وعلى تنظيم الدفاع المشـــترك . وقد زعمت بريطانيا انها كانت تصر على منح السودان حق تقرير المصير بينما صممت مصر على ان يرتبط السودان بها (٧٧) . وبعد فشل مفاوضات صدقى — بيفن تهيأ الجو بعد نحو اربع سنوات لتصفية الخلافات المصرية البريطانية بعد ان تولى الحكم وزارة وفدية برياسة مصطفى النحاس فى يناير ســنة ١٩٥٠ . وقد قدمت الحكومة المصرية الى الحكومة البريطانية مذكرة طالبت فيها « بجلاء القوات البريطانية جلاء ناجزا وصيانة وحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى » . وقد أعيد فتح المفاوضـــات فى اوائل صيف ١٩٥٠. واســـتمرت المفاوضات ما يربى على عام . ولما اتضـــح مماطلة الجانب البريطانى اعلنت الحكومة المصرية فى البرلمان فى يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ على اعتبار انها عقدت فى ظل الاحتلال البريطانى ولانها تتناقض مع اتفاقية قناة السويس وميثاق الأمم المتحدة .

وفى ١٥ اكتوبر سنة ١٩٥١ وافق البرلمان المصرى على الغاء المعاهدة وكان لهذا الاجراء المصرى رد فعل قوى فى العالم العربى كله خشيت معه بريطانيا أن يغرى دولا عربية أخرى بالغاء الاتفاقيات والمعاهدات المعقودة بينها وبين بريطانيا ومن ثم أعلنت على لسان وزير خارجيتها انتونى ايدن انها تتمسك بالمعاهدة التى لم تستنفد اجلها بعد. وكوسيلة للخروج من المأزق رأت بريطانيا انه من الممكن أقناع مصر بالتحالف مع الغرب اذا اشـــتركت

(٧٦) اسماعيل صدقى ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(٧٧) Sir Reader Bullard, Op, cit; P. 146.

معها اطراف اخرى ، وبناء عليه تقدمت مع حلفائها الأمريكيين والفرنسيين والاتراك بمشروع الدول الاربع الذى ينص على انشاء قيادة متحالفة للشرق الأوسط تشترك فيها مصر على قدم المساواة ، وعندئذ توافق بريطانيا على سحب قواتها التى لا تخصص للقيادة المتحالفة وتقدم مصر فى أراضيها التسهيلات الاستراتيجية والدفاعية ، ثم تسلم القاعدة البريطانية فى قناة السويس بصفة رسمية الى مصر شريطة ان تكون قاعدة مشتركة للدول المتحالفة وان يكون لمصر نصيب فى ادارتها فى وقت السلم والحرب . ولكن مصر رفضت مقترحات الدول الأربع وأعلنت الحكومة المصرية فى السابع والعشرين من اكتوبر انهاء تحالفها مع بريطانيا وردت بريطانيا بأن المحالفة لا تزال قائمة هى والاتفاقيات الأخرى (٧٨).

ومن ثم اصبحت منطقة قناة السويس ميدانا للأعمال القتالية بين الفدائيين المصريين والبريطانيين . واذا كانت الحكومة البريطانية قد وافقت فى مشروع صدقى ــ بيفن على جلائها عن الأراضى المصرية فى غضون ثلاث سنوات منتاريخ توقيعالمعاهدة فان مرد ذلك الى شروع هيئة اركان الحرب البريطانية ــ فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ــ فى وضع استراتيجية جديدة تقوم على اساس سحب القواعد البريطانية من شرقى البحر الابيض المتوسط بما فى ذلك فلسطين الى المستعمرات البريطانية فى افريقيا (كينيا وتنجانيقا) . وفى ذات الوقت تقرر بدء العمل فى لندى جنوب تنجانيقا لكى تكون قاعدة بحرية بدلا من الاسكندرية اذ قد رات هيئة اركان الحرب البريطانية انه من الافضل السيطرة على الشرق الأوسط بجيوش خفيفة الحركة وبواسطة قواعد جوية فى قلب افريقيا (٧٩) .

وبذلك يتم نقل خط الدفاع الامبراطورى القديم من خط العرض ٣٠° المار بمالطة ومصر ٣٠° جنوبا ليمر بخط الاستواء ويربط هذا الخط عدة قواعد بحرية وجوية بريطانية وامريكية ويمر بميناء اكرا فى غانا ويتصل

---

(٧٨) د. احمد عبد الرحيم مصطفى ـ نفس المصدر ـ ص ١٠١ .
(٧٩) Kimche: Seven Fallenpillars. London. 1953, P. 66

سيجيريا والسودان وكينيا وتنجانيقا . وبعد أن كانت الســـــويس حجر الزاوية في بناء دفاع الامبراطورية حلت كينيا محلها (٨٠) .

كما قرر الاستراتيجيون البريطانيون أن عدم استقرار العالم العربى والتوسع المحتمل للاتحاد السوفيتى فى الشرق الأدنى قد يؤدى الى قفسل طريق الملاحة عبر البحر المتوسط فى اية حرب مقبلة ، وفى تلك الحالة يتحتم على بريطانيا ارسال امداداتها بحرا حول افريقيا كما فعلت فى احدى مراحل الحرب العالمية الثانية ، الا انه لحماية ذلك الطريق الجنوبى ولتأمين جنوبه الأطلنطى والمحيط الهندى يتطلب الأمر اقامة قواعد جوية وبحرية على طول الطريق ، ويمكن الحصول على المواقع المناسبة لتلك القواعد الافريقية فى كل من نيجيريا على شاطىء الأطلنطى وكينيا وتنجانيقا على المحيط الهندى. ان طريقا للنقل داخل القارة الافريقية بين لاجوس فى نيجيريا وممباســـا فى كينيا سوف يوفر طريقا داخليا عبر المنطقة الفرنسية فى افريقيا وداخـــل السودان وان هذا الطريق يمكن استخدامه فى النقل والدفاع الداخلى عند الضرورة (٨١) .

وقد اتبعت حكومة ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أســـلوبا مختلفا فى التفاوض مع بريطانيا حيث رات ان تحل أولا مشكلة السودان التى عرقلت من قبل التوصل الى اتفاق بشأن قاعدة قناة السويس وعلى هذا الاساس بادرت الحكومة المصرية بتقديم مذكرة بشـــأن الســـودان الى الحكومة البريطانية فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٢ (٨٢). وقد تضمنت تلك المذكرة رغبة الحكومة الصادقة وايمانها العميق بحق الســـودانيين فى تقرير مصيرهم . ومن ثم بدات المباحثات بين الجانبين وقد توجت بتوقيع اتفاقية السودان بين مصر وبريطانيا مساء يوم ١٢ مايو سنة ١٩٥٣ . وقد نصـــت على اقامة الحكم الذاتى وحق تقرير المصير للسودانيين . ومن جهة اخرى شـــجعت

(٨٠) عبد الرحيم زكى ، الشرق الأوسط ، ص ٦٢ .

(٨١) Geoffry Brunn, The World in Twentieth Century 3rd, ed, London, 1961, P. 584-5.

(٨٢) Connell (John), The most important country, P. 42.

حكومة الثورة على القيام ببعض اعمال فدائية محدودة وقرنت هـذا الخط باقناع الولايات المتحدة بأن النظام الجديد يقف سدا امام الشيوعية وبهذه الطريقة اقتنعت حكومة المحافظين بامكان التخلى عن قاعدة قناة السويس فى مقابل بعض الامتيازات . وعلى اثر ذلك بدأت فى يوليو سـنة ١٩٥٤ المباحثات بين ايزنهاور وتشرشل فى نيويورك لرسم الخطوط النهائية للجلاء البريطانى عن منطقة قناة السويس . وبعد بضعة أسـابيع من المحادثات بين ايزنهاور وتشرشل تم التوصل الى اتفاق بريطانى مصرى يقضى بجلاء القوات البريطانيـة عن مصر فى مدى عشرين شـهرا من تاريخ توقيـع الاتفاقية (٨٣) . فى التاسع عشر من اكتوبر سـنة ١٩٥٤ على ان تسرى الاتفاقية لمدة سبع سنوات .

ومما هو جدير بالملاحظة ان السياسـة العامة البريطانية ترى أن القاعدة العسكرية لا قيمة لها طالما أنها تقع على ارض معادية وانها تفضل عليها وجود نظام يمكن التعامل معه . وعلى هذا الأساس رأت حـكومة المحافظين ان اقامة علاقات طيبة مع مصر من شـأنه أن يسهل مهمتها فى الدفاع عن مصالحها فى الشرق الأوسط ويمكنها من المحـافظة على نفوذها فى البحر الأحمر وذلك بتقوية قاعدة عدن .

وقد دافع وزير الحربية البريطانية عن سياسة الحكومة فأوضح ان الثورة الهائلة التى احدثتها الاسـلحة الحديثة لاسـيما القنبلة الذرية والهيدروجينية فى النظريات الاسـتراتيجية قد قللت من قيمة القواعد العسكرية كما أن حجم الاحتياطى الاستراتيجى البريطانى قد تضاءل نتيجة وجود قوات بريطانية ضخمة فى قاعدة قناة السويس . وذكر المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية أن اهداف الاتفاق مع مصر تتمثل فى رغبة الحكومة فى اقامة علاقات ودية مـع الدول العربية واسرائيل وزيادة احتياطيها من القوات بعد انسحابها من السويس فضلا عن تمكينها من فتح صفحة جديدة مع مصر .

---

(٨٣) Bernad Lewis, The Middle East and the West, London, 1964, P. 150.

انحسار النفوذ البريطانى فى البحر الأحمر :

تضاءل دور بريطانيا فى الشرق الأسط الى حد كبير بسبب ضعف قوتها النسبية وانسحابها من الهند ومن بعض قواعدها فى المنطقة . وقد القى على عاتق الولايات المتحدة منذ مارس سنة ١٩٤٧ مهمة الدفاع عن الشرق الأوسط (٨٤) . كما ان توقيع اتفاقية الجلاء سنة ١٩٥٤ كان يمثل بداية تقلص النفوذ البريطانى فى البحر الأحمر حيث أن بقية القواعد البريطانية فيه لم تعد بذات اهمية كبيرة بعد فقد قاعدة السويس .

ثم كان العدوان الثلاثى على مصر فى اكتوبر سنة ١٩٥٦ وكان من نتائجه تعطيل القناة لبضعة اشهر . واخيرا آل العدوان الثلاثى الى الفشل واعلنت بريطانيا وفرنسا فى أواخر نوفمبر سنة ١٩٥٦ أنهما ستسحبان قواتهما من مصر بدون قيد او شرط . وقد ترتب على اغلاق قناة السويس خسارة مادية كبيرة لبريطانيا اكثر من خسارتها الادبية والاستراتيجية فى المنطقة وذلك لأنها اضطرت الى شراء البترول من الولايات المتحدة الأمريكية بالدولار بعد ان كانت تصدره لأمريكا بالدولار . كما ان بريطانيا اسست منذ عام ١٩٥٤ مصفاة كبيرة لتكرير النفط فى عدن ولا شك ان هذه المصفاة ما كانت لتخدم اوربا الا عن طريق نقل البترول المكرر من عدن عبر قناة السويس . وبعبارة اخرى فقد كان للوجود البريطانى استراتيجية متكاملة ولذا فان اغلاق القناة اثر على المصالح البريطانية فى المشرق العربى من عدة زوايا مختلفة . كما انه عندما سدت القناة وحطمت أنابيب البترول فى البلاد العربية لم يكن هناك مفر من استخدام طريق رأس الرجاء الصالح فزادت المسافة بين لندن والخليج العربى بما يقدر بخمسة آلاف ميل . وقد كانت بريطانيا الى جانب استخدامها القناة فى نقل البترول اليها تستخدمها كذلك فى حركة التجارة مع الدول شرقى السويس وقد قدرت تجارتها مع تلك الدول بما نسبته ٢٥٪ من مجموع تجارتها الكلية (٨٥) .

---

(٨٤) Sir Reader, Op. Cit, P. 179.

(٨٥) Chatham House, British Interests in the Medit. and Middle East, P. 27.

لقد كان فشل بريطانيا فى حرب السويس عام ١٩٥٦ بداية مرحلة جديدة للسياسة البريطانية فى منطقة الشرق الاوسط حيث ادركت ان صرح قوتها قد تقوض بعد أن فقدت مراكزها فيه الواحد تلو الآخر (٨٦) .

وبذلك تضاءلت مصالح بريطانيا الاستراتيجية البحتة فى المنطقة وتراجع مركزها السياسى بينما اطردت مصالحها الاقتصادية حيث كانت ثروة البترول المتنامية الجديد الذى يجذب ناظريها .

وفى حين تقلص نفوذ بريطانيا السياسى فى القسم الشمالى من البحر الاحمر فقد رسخت اقدامها فى عدن بتقوية قاعدتها كبديل لقاعدة السويس .

لقد واجهت الدبلوماسية البريطانية عقب نكبة السويس فشل الهجوم المسلح المباشر على قلعة حركة الاستقلال الرئيسية فى العالم العربى ومغبة تواطئها العسكرى مع اسرائيل ضد مصر وكان مطلوبا من السياسة البريطانية اتخاذ سياسة متوازنة حيال الصراع العربى الاسرائيلى الا انها لم تجد حلا لهذه المشكلات (٨٧) .

وفى اول يناير سنة ١٩٥٧ صدر قرار جمهورى يقضى بانهاء اتفاق ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ كان لم يكن وذلك منذ يوم ٣١ اكتوبر سنة ١٩٥٦ وقد نص هذا القرار بأن الحكومة الانجليزية بتدبيرها الاعتداء وباعتدائها على الاراضى المصرية مشتركة مع القوات الفرنسية والاسرائيلية ومحاولتها غزو قناة السويس ابتداء من يوم ٣١ اكتوبر سنة ١٩٥٦ قد تصرفت على اساس ان الاتفاق المذكور كأن لم يكن » .

وقد جاء فى المذكرة الايضاحية لهذا القرار ان اتفاق ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ يعتبر من حيث طبيعته معاهدة سياسية وذلك لما تضمنه فى ديباجته من معانى الصداقة بين البلدين ولما احتوى عليه من التزامات على جمهورية مصر اهمها تقديم المساعدة للطرف الآخر فى تهيئة القاعدة الحربية وادارتها

---

(٨٦) Donald Maclean. British Foreign Policy Since Suez (1956-1968) London. 1970, P. 175.

(٨٧) Donald Maclean. IBid, P. 185.

ادارة فعالة فى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية او تركيا .

ولما كانت قواعد القانون الدولى قد استقرت على أن المعاهدات السياسية يبطل العمل بها كأثر من آثار الحرب بين الدولتين المتعاقدتين اذ أن الحرب تقطع جميع العلاقات السياسية والودية بين الدول المتحاربة فقد انتهى اتفاق ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ من الوقت الذى وقع فيه الاعتداء على الأراضى المصرية .

وقد اكدت الحكومة المصرية بالغائها لاتفاق ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ : الاستقلال الحقيقى التى ظفرت به بجلاء القوات البريطانية عن منطقة القناة وصار لمصر الحق فى مصادرة ما تحتويه القاعدة من منشآت ومعدات بريطانية بصفتها مملوكات للعدو . كما أصبح لها سيادة كاملة على منطقة القنـاة .

وفى ٢٩ مارس سنة ١٩٥٧ تم تطهير قناة السويس . ثم افتتحت من جديد فى أواخر ابريل سنة ١٩٥٧ شريانا للملاحة الدولية طبقا لاتفاقية الآستانة وبخاصة بنودها المتعلقة بحرية الملاحة .

وبينما كان النفوذ البريطانى يتقلص فى منطقة البحر الاحمر كانت هناك دعائم أخرى تقوى هذا النفوذ فى ذراع المحيط الهندى المواجه الا وهو الخليج العربى ، فقد بذلت بريطانيا جهودا دبلوماسية لجر بعض دول المشرق الى حلف غربى هو حلف بغداد . وكان نورى السعيد يعتقد أن من مبررات هذا الحلف القدرة على مواجهة اسرائيل الا أن الدول العربية الأخرى آثرت مبدأ الحياد حتى السعودية التى عرف عنها الميل الى الغرب .

وفى السودان شهد النفوذ البريطانى مزيدا من التدهور حيث جلت بريطانيا عنه عام ١٩٥٦ بعد أن فضل السودانيون الاستقلال التام . وبذلك فقدت السيطرة على جزء كبير من الساحل الغربى للبحر الأحمر .

ونتيجة لتطورات الأحداث أخذت الصراعات المحلية ضد السياسة البريطانية فى حوض البحر الأحمر وفى منطقة الشرق الأوسط تجذب انتباه الولايات المتحدة الأمريكية التى رات ان الوقت قد حان لكى نرث بريطانيا فى منطقة الشرق الأوسط بعد أن انهارت مراكزها الاستعمارية فيه . وفى هذا الوقت اعلنت الولايات المتحدة الأمريكية مشروع ايزنهاور . ولقد استهل الرئيس الأمريكى — آنذاك — خطابه أمام الكونجرس فى ٥ يناير ١٩٥٧ بقوله : « لقد بلغ الشرق الأوسط فجاة مرحلة جديدة فى تاريخه الطويل الهام . ففى الماضى كانت أمم عدة فى تلك المنطقة لا تتمتع بالاستقلال الذاتى الكامل وكان غيرها من الأمم يمارس سلطة كبيرة فى المنطقة وكان أمن المنطقة مبنيا الى حد كبير على قوتها . بيد انه منذ الحرب العالمية الأولى ظهر هناك تطور منتظم نحو الحكم الذاتى والاستقلال . وان بلادنا تؤيد دون تحفظ السيادة الكاملة والاستقلال لكل دولة فى الشرق الأوسط . ولقد كان التطور نحو الاستقلال فى اساسه تطورا سلميا ولكن كثيرا ما ساد المنطقة الاضطراب . ولقد خلقت تيارات عدم الثقة والخوف الملحة قدرا كبيرا من عدم الاستقرار فى معظم دول الشرق الأوسط» (٨٨).

وهكذا ترى الولايات المتحدة ان الحركات الاستقلالية فى الشرق الأوسط تتنافى بحكم طبيعتها او ظروفها مع استتباب الأمن فى هذه المنطقة . وقد ظهر من خطاب ايزنهاور ان الأمن الذى يستهدفه هو أمن المصالح الغربية ... والخطر الذى يهدد هذا الأمن هو الحركات الاستقلالية وانهيار العلاقات الاستعمارية فى الشرق الأوسط .

وقد اضاف وزير خارجية أمريكا السابق جون فوستر دالاس قوله : « ان بعض الدول الغربية — ويعنى بريطانيا وفرنسا — كانت قادرة الى وقت قريب على صد العدوان الشيوعى فى الشرق الأوسط ولكنها أصبحت لأسباب سيكولوجية ومالية وسياسية مختلفة عاجزة الآن عن مواجهة هذا الخطر » .

---

(٨٨) وزارة الحربية ، مشروع ايزنهاور ، التكتلات والاحلاف العسكرية، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١٦٦ .

ومن هنا يظهر جليا ان الأمن الذى كان يدعو ايزنهاور الى حمايته هو « الأمن » الذى تهدده روسيا وحدها . ثم يطلب ايزنهاور فى نهاية خطابه ان يقر الكونجرس مشروعه لخدمة المصـــــالح الحيوية للولايات المتحدة والعالم الحر « وليس لخدمة مصالح شعوب أو دول الشرق الأوسط » ، ثم اخـيرا يرى ايزنهاور ان الحل الوحيـــد الكفيل بالوقوف فى وجه الخطر الشيوعى هو اتخاذ الاجراءات الكفيلة بحماية أمن المنطقة .

وقد اوضح ايزنهاور فى خطابه للكونجرس أركان مشروعه فتحدث عن التعاون الاقتصادى وعن برامج المساعدات العسكرية وعن اســــتخدام القوات المسلحة لضمان وحماية السلامة الاقتصادية والاستقلال السياسى وعن المعونة الاقتصادية . ويتضح من خطاب ايزنهاور ان مشروعه ينطوى على جانبين أساسيين هما الجانب العسكرى والجانب الاقتصادى . اما عن الجانب العسكرى فان المشروع لا يرمى الا لحماية استقلال دول الشرق الأوسط من العدوان الشيوعى فحسب اما اى عدوان آخر فلا شــــأن للمشروع به . وبالنسبة للجانب الاقتصادى للمشروع فان الولايات المتحدة تقدم بموجبه مساعدات اقتصادية لدول الشرق الأوسط الا انها تكشـــف بدورها عن طبيعة المشروع الاستعمارية — اذ لا يمكن لأية دولة من دول الشرق الأوسط الاســـتفادة من المعونة الأمريكية الا اذا خضعت للشروط التى يمليها عليها الأمريكيون . مما يؤكد أن الهدف من هذه المساعدات هو اخضاع الشرق الأوسط للسيطرة الأمريكية وتحويلها الى قواعد عدوانيـة للاستعمار الأمريكى (٨٩) .

وقد طاف مستر رتشاردز « مبعوث الرئيس ايزنهاور » وقتئذ بمنطقة الشرق الأوسط محاولا شرح أهداف المشروع واقناع الحكومات المحليـــة بوجهة نظر الولايات المتحدة . وقد زار المبعوث الأمريكى فى جولته اربـع عشرة دولة وقوبل بترحيب من جانب الدول غير العربية بينما لم يلق اى ترحيب من الدول العربية سوى من لبنان والعراق وليبيا (٩٠) . وقد اعلن

---

(٨٩) وزارة الحربية ، نفس المصدر ، ص ١٧١ — ٢ .
(٩٠) محمد كمال عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

كل من الرئيس جمال عبد الناصر والملك سعود والملك حسين فى يناير سنة ١٩٥٧ معارضة نظرية الفراغ وردوا بأن القومية العربية هى الاساس الوحيد الذى تقوم عليه السياسة العربية وقرروا الا يسمحوا بأن تكون دولهم منطقة نفوذ لأية دولة أجنبية . ولقد أدركت الدول العربية لا سيما دول حوض البحر الأحمر أنها هى المسئولة عن ترتيبات الأمن فى المنطقة وانها الأولى بالاضطلاع بها . وكرد فعل لانشاء حلف بغداد تسابقت الدول العربية فى عقد معاهدات دفاع ثنائية وثلاثية لمواجهة النفوذ الغربى .

وقد استهلت مصر وسوريا المعاهدات الثنائية اذ وقعتا فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٥ ميثاقا للدفاع المشترك عن كيانهما وصيانة الأمن والسلام وفقا لميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة واهدافها وتنفيذا لاغراض هذه الاتفاقية قررت الدولتان المتعاقدتان انشاء جهاز دفاعى يتكون من مجلس اعلى ومجلس حربى وقيادة مشتركة تضمان تحت تصرفها القوات اللازمة فى حالتى السلم والحرب . ومدة هذه المعاهدة خمس سنوات .

وبعد توقيع هذه المعاهدة سارعت السعودية الى توقيع معاهدة مع مصر فى ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٥٥ اضافت حلقة ثالثة الى سلسلة الدفاع العربى المشترك وقد اكدت الدولتان المتعاقدتان حرصهما على دوام الأمن والسلام واستقرارهما وعزمهما على فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية ورد اى اعتداء مسلح يقع على اية دولة منهما او على قواتهما .

وقد جاءت مواد الميثاق المصرى السعودى مطابقا تماما لمواد المعاهدة المصرية السورية سالفة الذكر (٩١) .

ثم ما لبث أن وقع اتفاق مشترك فى العاشر من أبريل عام ١٩٥٦ بين كل من سوريا والأردن ينص على اتفاق الطرفين على أن تتولى الجهات العسكرية المسئولة تنسيق خطط الدفاع والتعاون بين الجيش الأردنى والسورى لصد ومقاومة اى اعتداء يهودى قد يقع على حدود الهدنة

---

(٩١) نفس المصدر ، ص ٢٥٥ — ٨ .

وتوحيد الجهود وتعزيز القوى الدفاعية بين البلدين . كما اتفق الجانبان على توحيد مساعيهما وجهودهما لتمكين أواصر الصداقة والاخاء بين جميع الدول العربية وتحقيق التعاون المشترك بينهما لتنسيق وتوحيد الخطط العسكرية والقوى الدفاعية وسائر وسائل التعاون لمقاومة هذا الخطر الداهم . كذلك العمل على تنمية التعاون الوثيق بين البلدين فى المجال الاقتصادى والثقافى تحقيقا للهدف المشترك وهو الوحدة العربية الشاملة .

ثم كان اليوم الخامس من مايو عام ١٩٥٦ حين اذاعت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية بالقاهرة البيان المشترك الخاص بنتائج المباحثات العسكرية بين ممثلى الجيشين المصرى والأردنى التى تضمنت وضع اتفاق توحد بموجبه جهود الجيشين المصرى والأردنى وتنسق بما يضمن الدفاع عن مصالح الأمة العربية وكياناتها على اسس واقعية عملية رائدها التعاون الكامل (٩٢) .

ثم كان اتفاق جدة العسكرى فى الحادى والعشرين من ابريل عام ١٩٥٦ بين مصر واليمن والمملكة العربية السعودية باكورة الاتفاقات الثلاثية. وقد نص الاتفاق على فض المنازعات بالطرق السلمية ومعونة الدولة المعتدى عليها كما حدد الاتفاق التدابير الوقائية والدفاعية التى يقتضيها الموقف كذلك تضمن انشاء مجلس أعلى ومجلس حربى وقيادة مشتركة وبين اختصاصاتها والقوات التابعة لها ومدة هذه المعاهدة خمس سنوات (٩٣).

وقد بلغ التضامن العربى اوجه فى ١٩ يناير سنة ١٩٥٧ لمواجهة مشروع ايزنهاور حيث وقعت المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية السورية والمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر اتفاقية « التضامن العربى » التى تقضى باشتراك حكومات الجمهورية السورية والمملكة العربيةالسعودية وجمهورية مصر فى تكاليف الالتزامات التى تقع على عاتق حكومة المملكة الأردنية الهاشمية نتيجة لسياسة التعاون والتضامن فى تدعيم الكيان العربى

---

(٩٢) نفس المصدر ، ص ص ٢٦٠ — ٥ .

(٩٣) نفس المصدر ، ص ٢٦٥ — ٧ .

واستقلاله بمبلغ اجمالى قدره اثنا عشر مليونا ونصف مليون من الجنيهات الاسترلينية او ما يعادلها ويطلق عليه تعبير « الالتزامات العربية » لتكون بديلا عن المعونة البريطانية . وقد الزم ملحق الاتفاقية حكومة المملكة الأردنية الهاشمية بتخصيص المساعدات العربية للقوات المسلحة الاردنية بما فيها قوات الحرس الوطنى . وقد عقدت هذه الاتفاقية لمدة عشر سنوات من تاريخ نفاذها . الا أن الأردن سرعان ما ارتد عن اتجاه التضامن العربى اذ كان الملك قد وافق على هذه الاتفاقيات تحت ضغوط الحركة الوطنية .

على أن عام ١٩٥٨ شهد تطورا فى طبيعة علاقات الدول العربية المطلة على البحر الأحمر فبعد أن كان عماد التعاون فى المنطقة يقوم على اساس التقارب المصرى — السعودى تبدلت الأوضاع فى عام ١٩٥٨ اذ أن السعودية لم تنظر بعين الرضا الى اتفاقية الوحدة بين مصر وسوريا .

اما انضمام اليمن فى عهد الامامة الى القيادة المشتركة عام ١٩٥٨ فقد كان مجرد رمز على الورق قصد به مواجهة الانجليز فى الجنوب . وقد كان اختلاف النظم بين الامامة فى اليمن وبين حكومة الوحدة يحول دون أى تعاون حقيقى .

وقد راج اعتقاد — وقتئذ — بأن مصر قد نجحت فى تكوين جبهة عربية موحدة تمتد من البحر الأبيض المتوسط حتى جنوب البحر الأحمر وبذلك نستطيع منع توغل النفوذ الأجنبى فى منطقة الشرق الأدنى والشرق الأوسط عامة وفى حوض البحر الأحمر بصفة خاصة حيث ينتمى اليه الأردن والسعودية واليمن ومصر .

وازاء هذا الموقف المتردى للنفوذ البريطانى فى حوض البحر الأحمر أصدرت وزارة الدفاع البريطانية فى سنة ١٩٥٧ الكتاب الابيض السنوى متضمنا استراتيجية جديدة عرفت باستراتيجية شرق السويس وكانت تهدف اساسا الى محو الآثار التى ترتبت على العدوان الثلاثى فاتجهت بريطانيا الى تقوية القواعد البحرية فى عدن وكينيا وسنغافورة بالرغم من النفقات الباهظة . وعندما استقلت كينيا نقلت وزارة الدفاع البريطانية مقر قيادة

الشرق الأوسط من نيروبى الى عدن مما اضطرها الى انشــاء مطار حربى فى خورمكسر يضــاهى أكبر المطــارات الحربيــة البريطانيــة فيما وراء البحــار (٩٤) .

بيد أن الأمور تطورت سريعا بسبب نمو الوعى القومى فى جنوب اليمن نتيجة الهجرة من المحميات الى عــدن ونظرا لروح العصر وضغط القوى الوطنية وتحسن وسائل الاتصــال بين المحميات والعــالم الخارجى فرأت بريطانيا انه من الضرورى تطوير سياستها فتحولت من سياسة بث الفرقة بين القبائل الى سياسه الضم والائتــلاف . ففى ١١ فبراير سنة ١٩٥٩ اعلن فى عدن عن اقامة « اتحاد امارات الجنوب العربى » الذى تغير اسمه عام ١٩٦٢ الى « اتحاد الجنــوب العــربى » وقد بدا الاتحاد الفيــدرالى بست امارات ثم انضمت اليه بقية الامارات .

وفى ١٢ يناير سنة ١٩٦٢ اعلن الحاكم العــام البريطانى أن سياسـة بريطانيــا هى الجمع بين عــدن والامارات . وقد تحققت هــذه السياسة بانضمام عدن الى الاتحاد رسمياً فى يناير ١٩٦٣ . وكانت بريطانيا تهــدف من وراء هــذا الاتحاد الى الابقــاء على وجودها فى اليمن الجنوبى لاسيما فى عــدن لمواجهــة التزاماتها العسكرية عالميا وللدفاع عن موارد البترول فى شبه الجزيرة العربية (٩٥) .

وقد اصبح مشروع الاتحاد حيويا بالنسبة لبريطانيا لضمان الاستقرار فى الخليج وتدفق النفط الى الغــرب . اذ كانت تعتبر الولايات المتحده الامريكيـة المتحده الحصن الثانى لها فى الجزيره العربيه الذى يرتكز عليــه الخط الاول المكون من الكويت وقطر والبحرين وباقى الامارات على الخليج العربى (٩٦) .

---

(٩٤) د. صــلاح العقــاد : جــزيرة العــرب فى العصر الحــديث ، ص ١١٨ — ١٢٠ .

(٩٥) د. احمد عطية المصرى : الحركة الوطنية فى اليمن الجنوبيــة ، القــاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١١٠ .

(٩٦) محمد كمال عبد الحميد : الشرق الأوسط فى الميزان الاستراتيجى ، الانجلو المصريه ، ط ٤ ، ١٩٧٢ ، ص ٩٤ .

هذا بالاضافة الى الحد من تأثير انسحابها من السويس وجلائها عن الأردن على نفوذها المتهاوى فى منطقة الشرق الأوسط بوجه عام وفى حوض البحر الاحمر بصفة خاصة . بل ان بريطانيا فكرت فى منح اليمن الجنوبى استقلاله مع ربطه باتفاقية تنظم العلاقات الخدمية بينهما (٩٧) . وقد صدر الكتاب الأبيض سنة ١٩٦٢ متضمنا خطط بريطانيا العسكرية فى السنوات الخمس المقبلة ومؤكدا على اهمية بترول الخليج العربى الاستراتيجية والتجارية لبريطانيا مما يقضى بتدعيم الدفاع عن المنطقة وحفظ الأمن فيهما وتقديم المساعدات العسكرية لدولهما التى ترتبط بمعاهدات مع بريطانيا واوضح الكتاب انه وفقا لاستراتيجية الدفاع لعام ١٩٦٢ سيكون هناك مخطط يتضمن ثلاث قواعد فى بريطانيا وعدن وسنغافورة تتمركز فيها القوات البريطانية لتوزع على مناطق العمليات مع تسخير امكانات عدن العسكرية لحماية دول الخليج ومصادر البترول فيها فضلا عن استخدامها كحلقة فى سلسلة الاستراتيجية الغربية خاصة بالنسبة لحلف الاطلنطى .

وقد كان لقيام ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ فى الشمال ووصول القوات المسلحة المصرية لدعم الثورة فى مواجهة الاخطار الخارجية اكبر الأثر فى تأكيد فعالية القاعدة النضالية والفكرية والمادية التى استندت اليها ثورة ١٤ أكتوبر سنة ١٩٦٣ .

واستمر أوار الثورة مشتعلا لاجبار بريطانيا على الجلاء . وفى المملكة المتحدة طالب حزب العمال بتصفية قاعدة عدن . وبعد كثير من الجدل صدر الكتاب الأبيض السنوى فى فبراير سنة ١٩٦٦ عن خطط الدفاع البريطانية متضمنا خطة تصفية قاعدة عدن بعد ان ينال الجنوب العربى استقلاله . وقد اتخذت الحكومة البريطانية قرارها بالانسحاب من عدن للاعتبارات الآتية :

١ — اتضح لبريطانيا أنها لم تعد تلك القوة العظمى لاسيما بعد ان تقلص نفوذها فى العالم بصفة عامة وفى الشرق الأوسط وحوض البحر الاحمر بصفة خاصة وبالتالى فانها لا تستطيع ان تنفذ استراتيجيتها القديمة

---

(٩٧) د. احمد عطية المصرى ، المصدر السابق ، ص ١١٢

فى التحكم والسيطرة وان عليها ان تخلى هذا الدور للولايات المتحدة الأمريكية .

٢ — اعتقاد بريطانيا بأن تدعيم نفوذها فى الخط الاستراتيجى الاول الذى يضم امارات الخليج يمكن أن يكون بديلا عن وجودها فى عدن اذ انها اكتشفت منذ القرن التاسع عشر التأثير الاستراتيجى المتبادل بين منطقتى البحر الأحمر والخليج العربى ووحدة الترابط والمصير بينهما (٩٨) كما أنها كانت تعتقد أن وجودها العسكرى فى عمان التى تشرف على خليج عمان والخليج العربى وبحر العرب والمحيط الهندى يمكن ان يؤمن مصالحها البترولية والتجارية فى كل من شبه الجزيرة العربية والخليج العربى معا بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية .

٣ — اعتمادها على القواعد البريطانية والأمريكية فى بعض دول الخليج وفى جزر المحيط الهندى لتأمين مصالحها ومصالح الغرب .

٤ — امكان التعاون مع القوى المحلية لاسيما دولتى الخليج البارزتين ايران والمملكة العربية السعودية .

٥ — التكاليف الباهظه للوجود البريطانى فى عدن مما ينوء به الاقتصاد البريطانى المثقل بالمشكلات الداخلية .

٦ — ضغط الحركة الوطنية فى اليمن الجنوبى وضغط المجتمع الدولى .

٧ — وقوف جزء لا يستهان به من الرأى العام البريطانى بزعامة حزب العمال الى جانب قرار انسحاب بريطانيا من عدن .

٨ — قوة المركز الاستراتيجى لليمن — بعد الثورة — وما يؤثر به على الجنوب .

وبناء على ذلك دارت مفاوضات بين بريطانيا والجبهة القومية فى المدة

---

(٩٨) د. عبد العزيز نوار : التغير الاستراتيجى والسياسى المتبادل بين منطقتى البحر الاحمر والخليج العربى ، البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥٥ .

من ٢١ — ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٦٧ . وقد توصل الطرفان الى اتفاق ترتب عليه اعلان قيام جمهورية اليمن الجنوبية المستقلة فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٧ (٩٩) بعد أن جلا آخر جندى بريطانى عن البلاد يوم ٢٩ نوفمبر .

وطوال هذه الفترة التى كانت بريطانيا تبسط فيها نفوذها فى الجنوب العربى كانت على خلاف دائم مع امام اليمن بسبب الصراع التاريخى على الحدود . وازداد التوتر بين الوجود البريطانى واليمن الشمالى بعد سقوط الامامة ودعوة الحكومة الجمهورية للمصريين لمساعدتهم . وسنوضح علاقة بريطانيا بالنظام الجديد فى اليمن فى فصل « امن البحر الأحمر » .

اما بالنسبة لشرق الأردن فقد وقعت بريطانيا معه فى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٦ معاهدة تحالف لمدة ٢٥ سنة اعترفت فيها بشرق الأردن دولة مستقلة وجاء فى ملحق المعاهدة « انه يؤذن للقوات البريطانية المسلحة بان ترابط فى شرق الأردن فى مراكزها الحالية او فى اماكن اخرى يتفق عليها الطرفان على أن يقدم شرق الأردن كل التسهيلات الضرورية الخاصة بالنقل والتموين والتخزين . كما تقدم بريطانيا ضباطا من جيشها عند الضرورة لتدريب قوات شرق الأردن » .

وقد رأت بريطانيا ان معاهدة سنة ١٩٤٦ لم تعد صالحة للعمل بها معقدت فى مارس سنة ١٩٤٨ معاهدة تحالف جديدة مع شرق الأردن ى عمان وقد نصت على الدفاع المشترك فى حالة الحرب والاحتفاظ بأسراب من القوات الجوية البريطانية فى قاعدتى عمان والمفرق الجويتين وانشاء مجلس للدفاع البريطانى الأردنى المشترك . ويسرى مفعول المعاهدة لمدة عشرين عاما (١٠٠) الا ان العدوان الثلاثى على مصر اسقط نفوذ بريطانيا فى الأردن وانهى العمل بهذه المعاهدة .

وقد اضطرت بريطانيا الى تخفيض قواتها خارج بلادها نتيجة سوء

---

(٩٩) د. صلاح العقاد ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(١٠٠) م . ف سيتون وليمز ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ — ١٨٠ .

حالتها الاقتصادية وتدهور مركزها المالى وقد امتد هذا التخفيض الى قواتها المسلحة فى الأردن . وكان نتيجة لتفاهم ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا مع ايزنهاور فى مؤتمر برمودا هو أن تقوم الولايات المتحدة بتعويض النقص الذى ينجم عن سحب قوات بريطانيا ولذا رأينا اشتراك الولايات المتحدة فى الحلف المركزى بعد أن تقرر سرعة جلاء الانجليز عن الأردن باعتبار أن القوات البريطانية فيه كانت بمثابة احتياطى قريب للقوات البريطانية فى حلف بغداد .

أما عن نفوذ بريطانيا فى القرن الأفريقى فقد أخذ فى التقلص أيضا برغم محاولاتها للحيلولة دون انحساره ، اذ سعت بريطانيا — فى أعقاب الحرب العالمية الثانية — الى الأمم المتحدة كى تمنحها الوصاية على الصومال الايطالى بغية توحيده مع الصومال البريطانى والصومال الفرنسى فى صومال واحد يرتبط بمصالحها ويدخل فى نطاق الكومنولث البريطانى مستغلة فكرة « الصومال الكبير » ومن هنا جاء اقتراح بيفن وزير الخارجية البريطانية بتجميع الأقاليم التى يسكنها صوماليون ووضعها تحت الوصاية البريطانية . الا أن هذا الاتجاه لاقى معارضة شديدة من الدول الكبرى والصغرى على السواء . برغم ذلك دأبت السلطات البريطانية على اجتذاب الصوماليين الى صفها بمنحهم حق تأليف الأحزاب السياسية اعتقاداً منها بأن هذا سيساعدها ويرجح كفتها (١٠١) . وقد استمر خضوع الصومال الايطالى للادارة العسكرية البريطانية حتى عام ١٩٤٩ حين خولت الجمعية العامة للأمم المتحدة ايطاليا الوصاية على المنطقة — بناء على رغبة الصوماليين — لمدة عشر سنوات ابتداء من ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٠ . وفى أول يوليو عام ١٩٦٠ نال الصومال الايطالى استقلاله بينما حصل الصومال البريطانى على استقلاله فى ٢٦ يونية سنة ١٩٦٠ لكى يتمكن من الاتحاد مع الصومال الايطالى . وفى أول يوليو سنة ١٩٦٠ أعلن ميلاد أول اتحاد فى شرق أفريقيا وقيام الجمهورية الصومالية (١٠٢) .

(١٠١) محمد عبد المنعم يونس : الصومال وطنا وشعبا ، ص ٧٩

(١٠٢) نفس المصدر ، ص ٢٠١ .

أما ارتريا فقد احيلت ادارتها الى بريطانيا وفى سنة ١٩٤٨ عرضت قضية ارتريا على الجمعية العامة للأمم المتحدة وفى ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٠ انتهت الجمعية العامة الى اصدار القرار رقم ٣٩٠ بقيام اتحاد فيدرالى بين اثيوبيا وارتريا مع منحها الحكم الذاتى . وما لبثت القوات البريطانية ان جلت عن ارتريا فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٢ وحل محلها جيش الاحتلال الاثيوبى . وقد أعلنت اثيوبيا فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٦٢ أن ارتريا قد اصبحت ولاية تابعة لها . وبينما اجحفت بريطانيا بحقوق الصومال سعت الى ارضاء اثيوبيا اذ وقعت السلطات البريطانية فى ١٩٥٤/١١/٢٩ اتفاقيـة تقضى بسحب بريطانيا حكمها العسكرى من منطقة هود وجزء من منطقة الأوجادين على أن تديرها اثيوبيا اعتبارا من ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ (١٠٣) وبذلك فقدت بريطانيا نفوذها فى القرن الأفريقى .

وهكذا شـهدت خمسينيات وستينيات القرن العشرين تقلص النفوذ البريطانى فى البحر الأحمر بدءا باستقلال السـودان والجـلاء عن مصر سنة ١٩٥٦ وبقيام الجمهورية الصومالية المستقلة سنة ١٩٦٠ ثم استقلال اليمن الجنوبى سنة ١٩٦٧ . وبذلك فقدت بريطانيـا قواعدها الحربيـة فى تلك الدول . وفى عام ١٩٦٨ اعلنت عن نيتهـا فى الانسحاب من الخليج العربى قبل نهاية عام ١٩٧١ تاركة عبء الدفاع عن المنطقة للولايات المتحدة الامريكيـة .

---

(١٠٣) احمد يوسف القرعى : الخريطـة السياسية للقرن الأفريقى ، السياسية الدولية ، العدد ٥٤ ، أكتوبر ١٩٧٨ ، ص ١٤ .

الفصل الثالث

التوســع الايطــالى فى البحر الأحمر

تمهيــــد :

بعــد قيام المملكة الايطالية الموحدة فى فبراير سنة ١٨٦١ وافتتــاح قناة السويس للملاحة العالمية فى سنة ١٨٦٩ انبعثت السياسة الايطالية الاستعمارية فى ساحل البحر الأحمر الغربى وكان ميناء عصب اول نواة للنفوذ الايطالى فى البحر الأحمر ومن بعــد منطلقا للتوســع فى الســاحل الافريقى (١) لاسيما بعــد تحويل عصب الى مستعمرة ايطالية فى ٥ يوليو سنة ١٨٨٢ (٢) .

استغلت ايطاليا شبوب الثورة المهدية فى السودان واخــلاء مصر لبعض أجزاء الصومال واحتلت مدينة مصوع فى فبراير سنة ١٨٨٥ ثم اعلنت الحكومة الايطاليــة فى ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٨ تأسيس مستعمرة مصــوع كما ضمت أقاليم الحبشة الشماليــة الى أملاكها فى أواسط سنة ١٨٨٩ . وقد مكن اعتراف الحكومة البريطانية رسميا فى ٣١ مايو سنة ١٨٨٧ بامتداد النفوذ الايطالى على ساحل البحر الأحمر الى رأس قصار ثم توقيع معاهدة أوتشيالى مع الحبشة فى ٢ مايو سنة ١٨٨٩ من توحيــد الأملاك الايطالية فى مستعمرة ارتريا فى أول يناير سنة ١٨٩٠ (٣) . كذلك بسطت ايطاليــا حمايتها على سلطنتى « أوبيا » و « المجرتين » سنة ١٨٨٩ كما أبلغت الدول فى ٢٠ مايو سنة ١٨٨٩ بحمايتها على بلاد الصومال الواقعة بين الصومال

---

(١) د. شوقى عطا الله الجمل : قصة الاستعمار فى أفريقيا ، القاهره ، ١٩٦١ ، ص ٤١ .

(٢) د. السيد رجب حراز : التوســع الايطالى فى شرق افريقيــا ، القــاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٤٤ .

(٣) نفس المصــدر ، ص ٢٧٢ .

البريطانى واراضى سلطان زنجبـــار (٤) . وقد استغلت ايطاليا انتصارها على المهديين فى معركة « اغوردات » فى ديسمبر سنة ١٨٩٣ لمـد نفوذها فى السودان الشرقى الى كسلا فى حين نجح الجنرال باراتيرى حاكم ارتريا فى الاستيلاء على « عـدوة » فى اغسطس سنة ١٨٩٤ وعلى مملكة تيجرى الحبشية فى ١٩ اكتوبر سنة ١٨٩٥ .

وقد كانت المساعدة البريطانية هى العامل الوحيد الذى مكن ايطاليا من الوجود فى المحيط الهندى وساحل البحر الأحمر . وفى حين قبلت بريطانيا فى سنة ١٨٨٩ اعـلان ايطاليـا حمايتها على الحبشة بنـاء على معاهدة اوتشيالى ثم اعترافها بها كمنطقة نفوذ ايطاليا فى سنة ١٨٩١ نجدها تصر على الحيلولة دون توغـل ايطاليا فى الســودان حتى لا تتعرض مصالحها للخطر . وكانت بريطانيا ترمى من وراء هذه السياسة الى اهداف ثلاثة : اولها وقوف الايطاليين سدا قويا امام المهدى فى الشــمال . وثانيها وقوفهم حاجزا منيعا امام حركة الفرنسيين نحو السودان ، وثالثها الافادة من الصراع بين الايطاليين والدراويش والأحباش فى توطيد اقدامها فى افريقيا (٥) .

وقد تمكنت ايطاليا — بمساعدة بريطانيـا — من أن تفرض حمايتها على ساحل الصومال المطل على المحيط الهندى كله والذى يشمل اقليم بنادر وساحل الصومال الشمالى الا ان هزيمة الطليان امام الأحباش فى معركتى « امبا الاجى » فى ٧ ديسمبر سنة ١٨٩٥ ومعركة « عـدوة » فى أول مارس سنة ١٨٩٦ أوقفت التوسـع الايطالى فى افريقيا الى نهـاية القرن التاسع عشر . بيد ان رياح القرن العشرين حملت معهـا بواكير النجاح اذ تمكنت ايطاليا من ابرام معاهدة مع منليك الثانى فى ١٦ مايو سنة ١٩٠٨ اضافت بمقتضاها الى الصـومال منطقة واسـعة من الأرض ثم فرضت فيما بين عامى ١٩٢٥ ، ١٩٢٧ سيطرتها تماما على الصومال الايطالى بعد ان أرسلت حملة حربية اخضعت ساحل الصومال الشمالى لنفوذها المباشر .

---

(٤) د. جلال يحيى : التنافس الدولى فى شرق افريقيا ، القـاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٢١٥ .

(٥) د. على ابراهيم عبده : المنافسـة الدولية فى اعالى النيل ، الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ١١٠ .

السياسة الايطالية فى البحر الاحمر اثناء الحرب العالمية الاولى :

عندما نشبت الحرب العالمية الاولى فى اغسطس سنة ١٩١٤ اتخذت ايطاليا موقفا محايدا من الحرب . الا انها فى عام ١٩١٥ قررت دخول الحرب الى جانب الحلفاء بناء على اتفاقية لندن السرية المعقودة بينها وبين بريطانيا وفرنسا فى ١٩١٥/٤/٢٦ اذ قدمت بريطانيا وفرنسا وعدا لايطاليا « بأنه اذا انتهت الحرب بانتصار الحلفاء وبدات الدولتان فى تقسيم تركة المانيا فى افريقيا فانهما تقبلان من حيث المبدأ أن تطالب ايطاليا بتعويض عن مجهودها الحربى من هذه التركة أو غيرها وخاصة فيما يتعلق بتعديل حدود مستعمراتها فى ارتريا والصومال تعديلا يتفق ومصلحتها وعلى حساب المستعمرات البريطانية والفرنسية المجاورة لها اذا تطلب الأمر ذلك » (٦) .

كما كان لايطاليا هدف آخر من دخول الحرب هو بسط نفوذها على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر تأمينا لمستعمراتها فى ارتريا والصومال .

وقد ظهرت بواكره فى اتخاذ مدخل البحر الاحمر كجبهة لتوسيع رقعة الحرب مع العثمانيين فى الحرب الطرابلسية ١٩١١ — ١٩١٢ اذ قام الأسطول الايطالى خلال هذه الحرب بقصف الموانىء اليمنية التى كانت — آنذاك — واقعة تحت الحكم العثمانى . مما اثار مخاوف الحكومة البريطانية حيث رات فى هذا العمل اساسا لتحقيق أطماع ايطالية متوقعة فى الموانىء العثمانية ، كما برزت من المفاوضات التى ادت الى عقد معاهدة لندن فى ٢٦ ابريل سنة ١٩١٥ الأطماع الايطالية الاستعمارية سواء على المستوى العثمانى او على الصعيد الافريقى (٧) .

وقد جاء فى المادة السادسة من معاهدة لندن التسليم بالمطلب الايطالى فى منطقة نفوذ تركيا الآسيوية كما نصت المادة السابعة على الموافقة

---

(٦) د. عبد الغنى عبد الله خلف الله : مستقبل أفريقيا السياسى ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

(٧) د. يونان لبيب رزق : جزيرة قمران بين الاحتلال العسكرى وتحديد التبعية السياسية ، البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، ص ٥٢٨ .

على توسيع مستعمراتها الأفريقيـة اذا ما استولت فرنسا وبريطانيا على المستعمرات الالمانيـة (٨) وتفاديا للأطماع الايطاليـة اصـدرت الحكومة البريطانية اوامرها باحتـلال قمران والجزيرتين الملاصقتين لها فتم ذلك في ١٠ يونيو سنة ١٩١٥ .

السياسة الايطالية في البحر الاحمر في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانيـة :

اولا ــ السياسة الايطالية حتى بدء الحرب الحبشية الايطالية :

انتهت الحرب العالمية الأولى في نوفمبر سنة ١٩١٨ بانتصار الحلفاء الا أن التسويات السلمية التي تمت في أعقاب الحرب سببت صدمة لايطاليا التي خانت حليفتيها المانيا والنمسا فخانها الحلفاء . وعلى الرغم من ذلك فقد كسبت ايطاليا بمقتضى معاهدتي فرساي سنة ١٩١٩ ، لوزان سنة ١٩٢٣ بعض المكاسب الاقليمية في اوربا بينما لم تغنم في افريقيا سوى مغانم محدودة اذ تنازلت لها بريطانيا في ١٣ سبتمبر سنة ١٩١٩ عن منطقـة شاسـعة من نهر الجوبا (جوبالاند) تضم ميناء قسمايو الذي استلمه الايطاليون من البريطانيين في ١٥ يوليو سـنة ١٩٢٤ وهكذا اصبح للصومال حدود واضحة المعالم مع كل من كينيا واثيوبيا والصومال البريطاني .

ولما كانت ايطاليا قد تعرضت في أعقاب الحرب العالمية الأولى لاضطرابات في الميادين السياسية والاجتماعيـة والاقتصادية فقـد استغلها موسولينى افضـل استغلال تؤازره نقمـة الايطاليين على الحلفـاء وأسس الحزب الفاشستي جاعلا أول أهدافه احياء الامبراطورية الرومانية القديمة واعادة مجد روما فناصره الشـباب الايطالي وأيده بقوة حتى وصـل الى الحـكم في سنة ١٩٢٢ .

وقد افصـح موسولينى عن أهدافه الاستعمارية في القرن الأفريقي

---

(٨) Roder, Williams. Dictionary of European History, New York. 1954. P. 169.

التى تنهض على أستغلال المنطقة وأهلها لصالح الاقتصاد الأيطالى (٩)

وتنفيذا لهذه السياسة اختارت الحكومة الإيطالية السنيور جاسباريني وعينته واليا عاما على ارتريا وكان عليه أن يقوم بعمل مزدوج :

اولهما : التقرب إلى الأحباش وكسب ثقتهم تمهيدا للاستيلاء على بلادهم وثانيهما اقامة علاقات وطيدة مع حكومة صنعاء تحقيقا لمصالح ايطاليا فى اليمن . ولم يجد جاسباريني مشقة فى كسب ود امام اليمن الذى كان يعانى مشكلات الحدود الجنوبية مع البريطانيين . وقد وجد الامام يحيى الفرصة سانحة لكى يوازن القوة البريطانية بصداقة ايطاليا الذى كان نفوذها فى ارتريا ملموسا فى اليمن (١٠) فوقع وجاسباريني فى ٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦ معاهدة صداقة وولاء مدتها عشر سنوات اعترفت ايطاليا بموجبها باستقلال اليمن الكامل وتعهدت بألا تتدخل فى شئونه بأى حال من الأحوال فى مقابل بعض الامتيازات الاقتصادية والتجارية التى منحها الامام لها . كذلك وافقت على تقديم الأسلحة والذخيرة والآلات بأثمان مخفضة وايفاد بعثات من الفنيين والأطباء الى اليمن على نفقة الحكومة الايطالية . وقد حمل الايطاليون الاتفاق الجديد الى بريطانيا مطالبين حكومتها بالاعتراف بمركز ممتاز لهم فى اليمن وبعد مفاوضات بين الجانبين وافقت بريطانيا فى يناير سنة ١٩٢٨ على أن تكون اليمن منطقة نفوذ اقتصادية لايطاليا لا تزاحمها فيه بريطانيا (١١) .

أما فى الصومال الايطالى فقد تحولت « اوبيا » من سلطنة وطنية الى منطقة ادارية ايطالية وذلك فى يوليو سنة ١٩٢٥ كما خضعت النوجال للحكم الايطالى كذلك سلطنة « المجرتين » فى سنة ١٩٢٧ بعد حرب ضروس

---

(٩) معهد البحوث والدراسات العربية ، العلاقات العربية الأفريقية ، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار ، ص ٣٦٢ — ٣ .

(١٠) George Kirk, The Middle East in the war, Survey of International affairs (1939–1946) P. 348.

(١١) أمين سعيد : اليمن ، ص ٤٥ — ٧ .

استخدم فيها الايطاليون القذف الجوى بالقنابل لاخضاعها فاضطر سلطانها الى التنازل عن السلطنة .

وهكذا خضع ساحل الصومال الشمالى للنفوذ الايطالى بعد ان كان حكم ايطاليا فى القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين مقصورا على ساحل الصومال الجنوبى المعروف بساحل بنادر وعلى بعض المناطق الداخليـة من حوض نهر وئيبى شبيلى التى ادخلتها تحت نفوذها فى أوائل القرن العشرين (١٢) وقد عملت ايطاليا على نزع سلاح الصومال واعدت برامج لتقوية الجنـد المحليين الذين كانوا فى خدمة الحكومة الايطاليـة من صوماليين وعرب وارتريين كما نظموا حكم الصـومال اداريا وماليـا واحدثوا فيه تطورا ملموسا لاسيما فى الزراعة والمرافق ومن مظاهره ميكنة الزراعة ومد الطرق ونشـاط حركة اقامة المستوطنات فى العقـد الثـالث من هذا القرن ليقيم فيها المواطنون .

وبالاضافة الى ذلك اصابت ايطاليا مغنما آخر فى افريقيا عندما عقدت فى ٧ يناير سنة ١٩٣٥ اتفاقا مع فرنسـا التى تنازلت بموجبـه عن جزء من الصـحراء الجزائرية كذلك تخلت لها عن جزء من الصـومال الفرنسى بالاضافة الى ٢٠٪ من اسهم خط سكة حديد جيبوتى — اديس ابابا (١٣) .

واخذت ايطاليا تعد العدة لغزو الحبشة ولما استكملت استعداداتها ورات ان الموقف الدولى قد اصبح مواتيـا شنت عليها هجومها فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٣٥ .

ثانيا — الحرب الحبشية الايطالية :

سياسة ايطاليا تجاه الحبشة بعد الحرب العالمية الأولى :

حفز فشـل ايطاليا فى الحصول على مكاسب فى أفريقيـا فى أعقاب

---

(١٢) د. السيد رجب حراز : التوسـع الايطالى فى شرق أفريقيـا ، ص ٥٣٧ .

(١٣) د. صلاح العقاد : الحرب العالمية الثانية ، ص ٣٩ — ٤٠ .

الحرب العالمية الأولى على اغتنام الفرصة لتحقيق مآربها (١٤) ؛ فاقترحت على بريطانيا سنة ١٩١٩ أن توقع معها على اتفاق يتعهدان فيه بتبادل المعونة من اجل الحصول على امتيازات خاصة فى الحبشة . وبناء عليه جرت مفاوضات بين بريطانيا والحبشة فى هذا الشأن الا انها باءت بالفشل ، وكان من جراء ذلك أن اتفقت بريطانيا وايطاليا سرا سنة ١٩٢٥ على استخدام القوة لحمل الحبشة على الخضوع لهما .

وقد صممت الدولتان على المضى فى هذا السبيل الى منتهاه فأرسلتا الى حكومة اديس أبابا خطابات تفصح عن نواياهما فى الحفاظ على مصالحهما فى الحبشة .

وقد أجاب الامبراطور هيلاسلاسى بكلمات ذات مغزى تاريخى حيث قال : « ان وصول دولتيكما الى اتفاق وابلاغنا نبأ ذلك فى مذكرة مشتركة لا يدع لنا مجالا للشك فيما انعقدت عليه نيتكما على محاولة ارهابنا وهذا من شأنه — فى رأينا — ان يحملنا على عرض الامر على هيئة عصبة الأمم للنظر فيه » .

وبالفعل قدمت الحبشة احتجاجا الى عصبة الأمم . ولما بات نواطؤ كل من بريطانيا وايطاليا واضحا سارعتا الى تقديم تأكيدات صريحة للحبشة لا تنفى اتجاه نيتهما الى انتهاك حرمة أراضيها فحسب بل تنفى ايضا مجرد التفكير فى التجاسر على ذلك وذكرتا أن كل ما كانتا تبغيانه هو مجرد تبادل مذكرات صريحة تتسم بحسن النية وتنأى عن سوء القصد والتهجم على الحكومة الحبشية (١٥) . وقد قبلت الحكومة هذه التأكيدات التى طمأنتها على استقلالها — لا سيما وأنها عضو فى عصبة الأمم منذ عام ١٩٢٣ — الذى نص ميثاقها فى المادة العاشرة منه على ضمان وسلامة أراضى جميع الدول الأعضاء على ان بريطانيا حاولت منفردة أن تقوم بجهد خاص للحصول على امتيازات فى الحبشة فسعت الى بث الطمأنينة فى نفوس

---

(١٤) د. صفى الدين أبو العز : أفريقيا بين الدول الأوربية . ص ١٩٧.
(١٥) عبد العزيز عبد الله ، المصدر السابق ، ص ١١٢ ؛

الأحباش وازالة ريبهم فى النوايا البريطانية بأن عرضت منح تجارة الحبشة منفذا الى البحر الأحمر من ميناء زيلع فى الصومال ولكن الحكومة الحبشية تفطنت الى حقيقة هذا العرض وادركت أن له ما بعده من عواقب وخيمة فرفضته .

ولما تنبهت ايطاليا الى نوايا بريطانيا سارعت الى بدء محادثات مع الحبشة بغية خلق شعور كاذب بالأمن فى نفوس الأحباش انتهت بتوقيع معاهدة للصداقة والتحكيم فى اغسطس عام ١٩٢٨ ومدتها عشرون عاما (١٦) . وكان أهم بنودها ذلك الذى يقول : « ان كلتا الحكومتين تقبلان أن تخضعا لمبدأ الترضية والتحكيم كلما نشبت بينهما خلافات لا يمكن تسويتها بالطرق الدبلوماسية المعروفة دون اللجوء الى القوة المسلحة وأن تتبادلا مذكرات بشأن الاتفاق على طريقة تعيين جهة التحكيم بينهما اذا ما استلزم الأمر ذلك » .

غير ان موسولينى لم تكن لديه النية الخالصة لتنفيذ ما وقع عليه اذ انه أراد بهذه المعاهدة خداع الحبشة وتخديرها باحساس زائف بالأمن وأن يتخذ منها قناعا دبلوماسيا يعد العدة من خلفه للاجهاز على ضحيته فى الوقت المناسب .

« وقد ساعدت ظروف السياسة الأوربية بين عامى ١٩٣٣ - ١٩٣٥ - موسولينى على ان يسرق الفريسة السوداء من بريطانيا » .

يتضح مما سبق أن اثيوبيا التى كانت عضوا فى عصبة الأمم لم يكن من السهل الاعتداء عليها دون تأييد دولى . واذا كانت بريطانيا قد اغمضت العين عن خطط موسولينى فى أول الأمر فان فرنسا أظهرت استياءها من تلك الخطط فى البحر الأحمر حيث كانت لها مصالح اقتصادية متشعبة على رأسها خط حديد اديس ابابا — جيبوتى . وقد كان تحول فرنسا عن معارضة الخط التوسعية الايطالية نقطة تحول هامة فى التمهيد لغزو الحبشة فما اسباب هذا التحول فى السياسة الفرنسية ؟.

---

(١٦) بيير رنوفن : تاريخ القرن العشرين (مترجم) ، ص ٢٦١ .

اولا : تكوين جبهة ستريزا من بريطانيا وفرنسا وايطاليا فى ابريل سنة ١٩٣٥ لمقاومة اية محاولة من هتلر لتغيير اتفاقية فرساى بالقوة (١٧) .

ثانيا : تولى لافال وزارة الخارجية الفرنسية وكان معروفا بتعاطفه مع الفاشست ولذلك شجع التقارب الفرنسى الايطالى . واثناء زيارته لروما اعطى موسولينى فى ٧ يناير سنة ١٩٣٥ مطلق الحرية فى العمل ضد اثيوبيا مقابل تعضيد فرنسا وتقديم المعونة لها ضد المانيا (١٨) . وبعد أن عزم موسولينى على تنفيذ خطته بغزو الحبشة رأى أن يصدر بيانا يحدد موقفه من مسألة المرور فى قناة السويس اذا لم يكن متأكدا من موافقة بريطانيا على غزو سافر . فأعلن فى ٢٦ اغسطس سنة ١٩٣٥ أن غلق قناة السويس سوف يكون سببا للحرب . وعلى اثر ذلك ارسلت بريطانيا تعزيزات عسكرية الى مالطة وعدن ومصر (١٩) .

وفى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٣٥ رفض لافال وزير الخارجية الفرنسية — اثناء وجوده فى جنيف — تأييد بريطانيا فى قفل قناة السويس أمام السفن الايطالية كما رفض العقوبات العسكرية والحصار البحرى على أيطاليا وقد قبل على مضض عقوبات اقتصادية محدودة فى حالة هجوم ايطاليا على الحبشة . وفى ١٦ سبتمبر أبلغ لافال ممثل موسولينى فى جنيف أن الحكومة الفرنسية لا تنوى الموافقة على اغلاق القناة وفى ٢٣ سبتمبر وعد صمويل هور وزير خارجية بريطانيا موسولينى سرا من خلال السفير البريطانى فى روما بأن بريطانيا لن تطبق العقوبات العسكرية واغلاق القناة ولكنها عند الضرورة سوف تطبق « مجرد عقوبات اقتصادية » كما أن طلب بريطانيا الى فرنسا فى ٢٤ سبتمبر بشأن المساعدة فى الاحتياطات البحرية لم يرد عليه حتى ٥ اكتوبر اى بعد يومين من غزو الحبشة . وبذلك أصبح

---

(١٧) أ . ج . ب تايلور : أصول الحرب العالمية الثانية ، ص ١٠٩ .

(١٨) D. A. Farnie, The Ethiopian War (1935–1936) East and West of Suez. The Suez Canal in history. (1854–1956) P. 595

D. A. Farnie. IBid, PP. 596–8.

الحصار البحرى الأنجلو فرنسى على طرق الاقتراب الى القناة غير ذى موضوع (٢٠) .

وقد كان عقد الاتفاق البحرى بين المانيا وبريطانيا ثم موقفها المتخاذل مع فرنسا ازاء انتهاكات هتلر لمعاهدة فرساى ثم تأكد موسولينى من أن بريطانيا وفرنسا لن تقفا فى وجهه مما شجعه على شن هجومه على الحبشة فى ٣ اكتوبر سنة ١٩٣٥ .

دوافع الغزو :

أولا — دوافع تاريخية :

شهد العقد الأخير من القرن التاسع عشر هزيمتين فادحتين لايطاليا على يد الأحباش أولاهما فى امبا آلاجى فى ٧ ديسمبر سنة ١٨٩٥ . وقد أذنت هذه المعركة بفقدان ايطاليا نفوذها فى مملكة تيجرى الحبشية وانكماش الممتلكات الايطالية فى شرق افريقيا . وثانيهما فى الموقعة الفاصلة التى أذلت أعناق الايطاليين . الا وهى موقعة « عدوة » التى هزم فيها الأحباش بقيادة نجاشى النجاشية منليك الثانى الطليان هزيمة نكراء فى أول مارس سنة ١٨٩٦ وقد فتحت هذه المعركة الطريق أمام الامبراطور منليك الثانى لمطاردة الايطاليين فى ارتريا وقذفهم فى البحر .

لم يكن اندحار الجيش الايطالى هذا الاندحار المخزى أمام الأحباش وصمة عار فى جبين ايطاليا فحسب بل أصابت النفوذ الايطالى فى شرق أفريقيا بضربة قاصمة أدت الى وقف التوسع الايطالى فى هذه الأصقاع المدة الباقية من القرن التاسع عشر كما شجعت المهديين على مهاجمة كسلا ومحاصرتها مما مهد لتخلى ايطاليا عن كسلا وتقلص حدود مستعمرة ارتريا (٢١) . وفى ايطاليا ادت هذه الهزيمة الماحقة الى استقالة حكومة جرسپى فى ٥ مارس سنة ١٨٩٦ وحلت محلها حكومة المركيز دى رودينى التى انتقدت سياسة الحكومة الايطالية السابقة واندفاعها الى استعمار الارض الأفريقية .

---

(٢٠) D. A. Farnie. IBid. P. 599.

(٢١) د. السيد رجب حراز ، المصدر السابق ، ص ٤١٢ .

وفى اوربا كانت تسمع اصداء هذه الهزيمة فى ارجائها اذ كانت اول حادثة من نوعهـا تلقى فيهـا دولة اوربية عظيمة هـذه الهزيمة الشنعاء على يد جيش افريقى بدائى يستخدم الأسلحة العتيقـة ويمارس اساليب القتال البالية وقد أدت هـذه الهزيمـة ـ كذلك ـ الى تخلى ايطاليـا عن اهدافهـا الاستعمارية المتضـاربة مع الأهـداف الفرنسية مما افضى الى تفاهم ايطالى فرنسى . اما فى افريقيا فقـد دفعت الهزيمـة بريطانيا الى ان تتحرك بسرعة لاعادة احتلال السودان باسم الخديوى كما فقـدت ايطاليا هيمنتهـا وسمعتها العسـكرية . ثم قبلت وهى صاغرة أن توقع مع الحبشـة فى أكتوبر من نفس العـام معاهدة اديس ابابا وهى معاهدة صداقة وسلام تضمنت الغاء معاهدة « أوتشـيالى » واعتراف ايطاليـا باستقلال الحبشة استقلالا كاملا كما رسمت الحـدود بين مستعمرة ارتريا الايطالية و الحبشـة .

ثانيـا ـ دوافع اقتصـادية :

كانت ايطاليا تعانى أزمة اقتصادية واجتماعية نشأت كنتيجة طبيعية لتوحيد الولايات الايطالية المتباينة اقتصاديا واجتماعيا فى مملكة واحـدة . لذلك لم يكن هناك مناص أمام الحكومات الايطاليـة من أن تتطلع الى بسط النفوذ الايطالى فيما وراء البحار كذا السعى الدائب الى تأسيس المستعمرات حتى تسهم فى حل مشاكل ايطاليا السكانية وفى تلبية حاجاتهـا الى المواد الخام والمواد الغذائية .

تطلعت ايطاليا أولا الى تونس ولكنها فشلت فى بسط نفوذها عليهـا نتيجة منافسة فرنسا ومن ثم تطلعت الى شرق أفريقيـا لا سيما فى ساحل البحر الأحمر الغربى .

غير أن ايطاليا لم تكن موفقـة فى توسعها الاستعمارى فى الحصـول على مستعمرات غنيـة بالثروات الطبيعية والزراعيـة . فالبـلاد الثلاثة التى استعمرتها وهى ارتريا ، الصومال ، وليبيا ليس فيها ولا الحد الادنى من الامكانات الطبيعية بما يمكنها من التخفيف من الانفجار السكانى البالغ الخطورة فى جنوب ايطاليا الذى تفاقم واخذ يشكل خطرا اقتصاديا منذ اول

العقد الثالث من القرن العشرين . وكلما رنت الى هضبة الحبشة من خلال مرتفعات ارتريا كلما تملكها اقتناع كامل بأن الحبشة هى املها الوحيد ومبتغاها الذى يوفر لها الهجرة والاستيطان .

عندئذ راودتها احلام ضم الحبشة الى مملكاتها حتى تجسدت هذه الأحلام وأصبحت حقيقة تشغل فكرها حيث رأت فى احتلال الحبشة ضمان ربط الصومال بارتريا دون حاجة الى ممر أرضى ضيق عن طريق تحديد مناطق نفوذ مع كل من بريطانيا وفرنسا (٢٢) .

ثالثا — دوافع سياسية :

كان الايطاليون غير راضين تماما عن امبراطوريتهم المتواضعة وكانوا يغبطون البريطانيين والفرنسيين على مستعمراتهم الغنية ومنذ اواخر القرن التاسع عشر كانوا ينظرون بعين الاعتبار الى اثيوبيا على انها المنطقة الموعودة فى أفريقيا للاستغلال الايطالى (٢٣) . كما كانت ايطاليا الحديثة تريد احياء امجاد الماضى فرأت انها بدخولها الميدان الاستعمارى تستطيع أن تتبوأ المكان اللائق بها كدولة عظمى خليقة بمجد روما القديمة عن طريق اقامة امبراطورية ايطالية فى شرق أفريقيا .

وقد اعترف المارشال دى بونو فى كتابه (Anno XIII) انه قد نصح موسولينى فى عام ١٩٣٣ بضم الحبشة وفى ربيع ١٩٣٤ كثر الكلام عن الدور الحضارى لايطاليا فى أفريقيا وأصبح موسولينى مؤيداً قويا للعدوان (٢٤) .

مهدات الغزو :

بدأ موسولينى أولى خطواته فى العمل على ضم الحبشة فى ٣١ مايو سنة ١٩٣٤ بأن عقد اجتماعا مع رئيس اركان حرب الجيش الايطالى

---

(٢٢) ممتاز العارف : الأحباش بين مأرب واكسوم ، ص ٢٥٩ .

(٢٣) Geoffry Brunn, The World in Twentieth century, 3rd edition, 1961, P. 444

(٢٤) HuGh. J. SchonField, The Suez Canal in peace and war (1869-1969) London, 1969. P. 83.

بوزير المستعمرات ووزير الدولة . وقد بحث فى هذا الاجتماع شئون الدفاع فى ارتريا والموقف فى الحبشة وانفض الاجتماع عن القرارات التالية (٢٥) :

١ — انشاء وسائل دفاعية فى ارتريا فى اقرب وقت ممكن .

٢ — تجنب ما يمكن ان يعوق الاستعدادات العسكرية أو يعرقلها وذلك باستخدام معاهدة الصداقة الى اكبر قدر مستطاع .

٣ — بعد اكتمال وسائل الدفاع والاعداد للحرب يتبع الايطاليون أساليب غير مباشرة لمضايقة الأحباش تمهيدا لجرهم الى الحرب .

٤ — الاحتفاظ بالسرية المطلقة للاستعدادات العسكرية والعمل على الا تصل انباءها الى فرنسا وبريطانيا بصفة خاصة .

أخذت ايطاليا تتحين الفرص المواتية حتى سنحت لها فى أول ديسمبر عام ١٩٣٤ . بحادث « وال وال » ، و « وال وال » هذه قرية على الحدود المشتركة لكل من الصومال « الايطالى » والصومال « البريطانى » والحبشة وكان فيها موقع ايطالى تحتله حامية صغيرة من الجنود المحليين بقيادة ضابط ايطالى ، وقد حدث ان اتى بعض الجنود الأحباش لتعيين الحدود مع منطقة الصومال « البريطانى » ثم حاولوا احتلال « وال وال » على انها — فى اعتقادهم — ارض حبشية . ولكن الايطاليين دافعوا عن الموقع وتبادلوا اطلاق النيران مع الأحباش فوقعت الاصابات من الجانبين . فتقدمت ايطاليا احتجاجا شديد اللهجة الى السلطات الحبشية وطالبت بمعاقبة الجناة وبدفع تعويض عن الخسائر قدره مائتا الف دولار أثيوبى فرفضت الحبشة بحجة ان وال وال تابعة لها واقترحت على ايطاليا التحكيم ورفضت ايطاليا بحجة أن تبعية « وال وال » ليست مجال مناقشة . وازاء هذا الموقف أكد موسولينى فى ٧ يناير سنة ١٩٣٥ بانه اذا لم يسو الخلاف بشكل يرضى ايطاليا فانه سيتخذ الاجراءات الضرورية للحفاظ على هيبتها .

وفى مواجهة التهديد باستخدام القوة رفعت الحبشة فى يناير

---

(٢٥) معهد الدراسات العربية ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ٣٦٤ .

سنة ١٩٣٥ شكوى الى عصبة الأمم ضد ايطاليا طالبة حفظ السلام ولكن دون جدوى . وأخذ العداء السافر يتصاعد بين الجانبين على الحدود .

وفى خريف عام ١٩٣٥ أرسل السنيور موسوليني برقية الى الجنرال دى بونو فى ارتريا يأمره بالتحرك لغزو الحبشة من جهة ارتريا فى الشمال والصومال الايطالى فى الجنوب الشرقى محددا يوم ٣ أكتوبر موعدا لبدء الهجوم دون اعلان الحرب للاستفادة من عنصر المفاجأة وقبل أن تتاح الفرصة للدول الكبرى للتدخل لصالح الحبشة (٢٦) .

وأخذت القوات والمعدات الايطالية تتدفق عبر قناة السويس الى ارتريا استعدادا لشن الحرب .

كما جهزت ايطاليا موانىء ارتريا والصومال الايطالى لاستقبال الامدادات الحربية لاسيما ميناء مصوع .

الموقف العسكرى لكلا الجانبين المتصارعين :

اولا — القوات الحبشية :

كانت القوات المسلحة الحبشية متخلفة ، ذات تنظيم بدائى وتسليح عتيق يرجع معظمه الى القرن التاسع عشر كما كانت تتبع فكرا عسكريا باليا واساليب قتال قديمة فى مسرح حرب غير مجهز .

احتشدت الجيوش الحبشية فى نحو ٢٨٠٫٠٠٠ مقاتل تنقصهم العدة والعتاد على كلا الجبهتين الشمالية والجنوبية .

وقد كان نصيب الجبهة الشمالية على حدود ارتريا ١٥٥٫٠٠٠ مقاتل بينما كان على الجبهة الجنوبية بمنطقة أوجادين ١٢٥٫٠٠٠ مقاتل (٢٧) .

---

(٢٦) ممتاز العارف ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

(٢٧) محمد طارق الافريقى : مذكراتى فى الحرب الحبشية الايطالية ، ص ٦١ — ٦٢ .

كانت تتضمن نحو ٤٠٠,٠٠٠ جندى مسلحين بأحدث أسلحة القتال التى تشمل مئات الدبابات والعربات المدرعة ويدعمهم ٨٠٠ مدفع ميدان ، ٥٠٠ طائرة .

احتشدت تلك القوات على الجبهتين الشمالية والجنوبية ، ففى الجبهة الشمالية بقيادة الماريشال دى بونو تجمعت فى ارتريا وبالقرب من مصوع خمسة فيالق ، هى الفيلق الأول والثانى والثالث والرابع وفيلق ارتريا ويتكون من جنود المستعمرات .

بينما احتشد على الجبهة الجنوبية فى الصومال الايطالى وعلى مقربة من ميناء مقديشيو فيلق ايطالى مكون من ثلاث فرق بالاضافة الى الجنود المرتزقة من الأحباش والصوماليين بقيادة الجنرال جرازيانى (٢٨) .

وكان لايطاليا فى البحر الأحمر ٤ طرادات ، ٥ مدمرات ، ٦ غواصات وقطعة بحرية صغيرة (٢٩) .

وفى ٣ اكتوبر سنة ١٩٣٥ اجتازت الجيوش الايطالية حدود الحبشة بقيادة الجنرال « دى بونو » وعلى الرغم من أن ايطاليا لم تعلن الحرب رسميا الا انها اعترفت بتقدم جيوشها من ارتريا فى حين القت بتبعة الحرب على الحبشة فى مذكرة بعثت بها الى عصبة الأمم المتحدة اذ قالت انها أصبحت مضطرة الى اتخاذ التدابير اللازمة على اثر تجلى روح العداء لايطاليا فى الحبشة وظهور هذه الروح بمظهر التعبئة العامة (٣٠) . وهكذا اعترفت ايطاليا بأن الزحف على الحبشة بدأ فعلا وعللته بسببين أولهما اقدام النجاشى على اعلان التعبئة العامة التى اعتبرتها الحكومة الايطالية تهديدا لها وثانيهما ارجاع القوات الحبشية عشرين كيلو مترا الى الوراء وهو — كما تراه ايطاليا — خدعة يقصد بها تسهيل الأعمال العسكرية واخفاء تحركاتها .

---

(٢٨) نفس المصدر ، ص ٦٣ — ٤ .
(٢٩) الأهرام ، العدد ١٨٢٦٠ ، ١٩٣٥/١٠/١١ ، ص ٢
(٣٠) الأهرام ، العدد ١٨٢٥٣ ، ١٩٣٥/١٠/٤ ، ص ٤ م

وقد أرسلت الحبشة برقيسة الى عصبة الأمم من اديس ابابا بتاريخ ١٩٣٥/١٠/٢ جاء فيها : « القت الطائرات الحربية الايطالية صباح اليوم القنابل على عدوة واديجرات فسقط ضحايا كثيرون بين السكان المدنيين منهم نساء واطفال وهدمت منازل كثيرة . وتدور فى الوقت الحاضر رحى معركة فى مقاطعة أجامى ، وان وقوع هذه الحوادث فى الأراضى الحبشية يشكل انتهاكا لحرمة حدود الامبراطورية ومخالفة لميثاق العصبة عن طريق الاعتداء الايطالى » .

وقد ابلغت المذكرتان الايطالية والحبشية الى الدول الممثلة فى العصبة والى مجلس العصبة ايضا . وعلى اثر وصول هاتين المذكرتين الى جنيف جرت مباحثات بين كبار المندوبين واعلن بعد ذلك أن السكرتير العام قد دعا مجلس العصبة للاجتماع فى منتصف الساعة الحادية عشرة من صباح يوم السبت .

الموقف الدولى من الحرب الحبشية الايطالية :

فى ٧ اكتوبر سنة ١٩٣٥ كانت عصبة الأمم غارقة فى خضم المناقشات وفى ٨ اكتوبر اتخذ مجلس العصبة قرارا بادانة ايطاليا ثم اخذ يبحث فى مسألة العقوبات (٢١) . وقد اعتبرت ايطاليا — بموجب الادانة — دولة معتديه . وتابعت عصبة الأمم مناقشاتها ودراسة مختلف الاقتراحات والتوصيات الرامية الى فرض العقوبات على الدول المعتدية وقد بلغت الاقتراحات اربعة :

الأول : بشأن خطر السلاح وقد وافقت عليه ٢٦ دولة ، والثانى : يختص بقطع العلاقات المالية ووافقت عليه ١٨ دولة اما الاقتراح الثالث : فيقضى بتحريم استيراد البضائع الايطالية — وهو أهم جميع العقوبات — وقد أعربت تسع دول عن استعدادها للعمل به ونال الاقتراح الرابع الذى ينص على منع بعض المواد الأولية عن ايطاليا موافقة ثمانى دول (٢٢) .

---

(٢١) الاهرام ، العدد ١٨٢٥٨ ، فى ١٩٣٥/١٠/٩ ، ص ٤ .
(٢٢) الأهرام ، العدد ١٨٢٧٨ ، فى ١٩٣٥/١٠/٢٩ ، ص ٧ .

ولما كانت المناقشات لا تتسم بالجدية ولا تراعى مبادىء الأخلاق فقد فشلت العصبة فى الوصول الى قرار بشأن فرض العقوبات على ايطاليا مما زادها اجتراء فلم تلق بالا الى قرار الادانة وواصلت عملياتها العسكرية على مذبح ميثاق عصبة الأمم والاتفاقية الحبشية — الايطالية المعقودة عام ١٩٢٨ .

اما بالنسبة لقضية غزو الحبشة ، فلم تتوصل الدول الى موقف موحد لضمان استعادة دولة عضو فى عصبة الأمم كرامتها واراضيها المغتصبة من عضو آخر الا ان الاتجاه العام كان يرى حل هذه القضية سلميا وفق ما نصت عليه الاتفاقية الايطالية — الحبشية سالفة الذكر . غير ان فرنسا كان تعارض هذا الاتجاه وترى ان تترك ايطاليا وشأنها زاعمة ان الضغط عليها يدفعها الى الارتماء فى احضان المانيا .

وكان من رأى فرنسا ان هذه الاتفاقية لم يعد لها أى معنى بالنسبة لايطاليا بعد ان داس جيشها الفاتح بنود الاتفاقية بعجلات مصفحاته ودباباته .

واخيرا بعد طول مباحثات جاءت العقوبات الاقتصاديه مخيبة للآمال حيث اقتصرت على حظر بعض المواد الحربية بينما اغفلت النفط الذى هو روح أداة الحرب الايطالية . وقد تناول تشرشل فى مذكراته موضوع العقوبات الاقتصادية فقال ساخرا : « ان اللجنة التى انيط بها اعداد خطة العقوبات الاقتصادية التى كان يجب فرضها استهدفت فرض عقوبات مع تحاشى اى صدام مع ايطاليا فمثلا منعت عنها بعض المواد الحربية ولكن لم تمنع عنها النفط مع العلم بأنه لو تم ذلك لفشلت الحملة العسكرية من اساسها ولكن اللجنة ابقت امدادات النفط تحاشيا لوقوع حرب مع ايطاليا » (٣٢) .

اما موقف الولايات المتحدة — التى لم تكن عضوا فى العصبة — فلم يكن واضحا على الرغم من انها كانت اكبر دولة نفط فى العالم آنذاك .

---

(٣٢) ممتاز العارف ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .

وقد كان الالومنيوم من جملة ما منعته اللجنة عن ايطاليا على الرغم من انه المعدن الوحيد الذى تنتجه ايطاليا بوفرة تزيد على حاجتها بينما لم تحظر الصلب وهو من المواد الهامة بالنسبة لايطاليا ، لذلك لم يؤثر المنع فى مجهود ايطاليا الحربى .

وقد شاركت الصحافة العالمية — حينذاك — فى تضليل الرأى العام العالمى اذ بالغت فى صرامة العقوبات الاقتصادية كسلاح رادع على الرغم من خوائها وعدم جدواها .

حتى العقوبات التى دخلت حيز التنفيذ منذ ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ومنعت بمقتضاها الرحلات الجوية الايطالية من ليبيا عبر السودان فقد وجدت ايطاليا بديلا عنها اذ استخدمت النقل البحرى خلال القناة (٢٤) .

بل ان اقتراح منع الوقود قد أثار حنق ايطاليا مما جعلها تتكلم فى ٢٥ نوفمبر من هجوم جوى مفاجىء على الأسطول البريطانى فى البحر الابيض المتوسط .

وعموما فان مشروع هور — لافال الذى اختتمه لافال بالتشاور مع موسولينى فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٣٥ قد أعطى لايطاليا الأمان المطلق بوضع العقوبات الاقتصادية على الرف (٢٥) .

ان أعضاء عصبة الأمم الذين وافقوا على العقوبات الاقتصادية الهزيلة قد مهدوا لتقويض صرح القضية . انهم لم يجبروا ايطاليا على الاختيار بين السلم والحرب ولكنهم أصبحوا جهازا رمزيا لحفظ ماء وجه اوربا بصفة عامة وبريطانيا بوجه خاص .

ـ ان قرار العقوبات الاقتصادية قد أماط اللثام عن ضعف عصبة الأمم

---

(٢٤) E. W. P, Newman, Italy's Conquest of Abyssinia, Butter Worrn, 1937, P. 278.

(٢٥) D. A. Farnie, The Ethiopian War (1935-1936), The Suez Canal in history (1854-1956) P. 602.

لأن المادة السادسة عشرة من الميثاق لم يرد بها أى ذكر للعقوبات وبالرغم من أن هذه المادة قد نصت على أن تقوم الدول « بقطع كل تجارة او علاقة مالية » مع الدولة التى تخرق ميثاق العصبة الا ان المراد بالقطع هو التمهيد لقيام جميع اعضاء العصبة بعمل عسكرى . كما ان هذه العقوبات التى لم تتضمن منع البترول عن ايطاليا كانت ابعد من أن تكون « قطعا لكل تجارة أو علاقة مالية » . وهكذا سحق موسولينى الحبشة وتحدى ارادة خمسين دولة وقد سلمت الخمسون دولة بأنها انهزمت امام دولة واحدة ورفعت ايديها عن تطبيق العقوبات الاقتصادية فى منتصف عام ١٩٣٦ (٣٦) .

ثم لم يسع هذه الدول سوى مواجهة الأمر الواقع — خجلا — والاعتراف بالامبراطورية الجديدة التى أنشأتها ايطاليا فى شرق افريقيا مهددة بذلك النفوذ الفرنسى فى جيبوتى والنفوذ البريطانى فى السودان .

موقف بريطانيا من الحرب الحبشية الايطالية :

كانت بريطانيا طوال المراحل الاولى من النزاع تقف موقف المتفرج بينما كان الجنود الايطاليون والاسلحة والمعدات يتدفقون على شرق افريقيا عبر قناة السويس مما ساعد ايطاليا على تحقيق اهدافها . وقد كتب موسولينى الى « دى بونو » القائد الايطالى يقول : « ان سلوك بريطانيا نحو الحبشة قد ساعدنا ولم يعرقلنا فى شىء » .

وقد وجه تشرشل — فى مذكراته — اللوم والتقصير للحكومة البريطانية لعدم استخدامها الأسطول البريطانى الذى كان يومئذ متمركزا فى قاعدة الاسكندرية وكان فى امكان هذا الأسطول التصدى للحملة الايطالية ومنع سفنها من عبور قناة السويس .

واجمالا فان تشرشل قد رسخ فى اعتقاده ان بريطانيا لم تقف موقفا

---

(٣٦) أ. ج جرانت ، هارولد تمبرلى : أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ — ١٩٥٠) (مترجم) ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٤٢٨ .

حازما من ايطاليـــا بل اكتفت بتزعمها حربا كلامية فى عصبة الأمم فتاهت إنقضية الأثيوبية فى بحر المناقشات التى كشفت عن عجز هذه الهيئة العالمية وعدم قدرتها على درء العدوان عن الضعفاء من اعضائها .

وعلى الرغم من أن بعض الدول كانت تنادى بضرورة اغـــلاق قنـــاة السويس فى وجه الايطاليين لوقف الحرب فقــد رأى السير صمويل هور وزير خارجية بريطانيا أن تكتفى دولته بتطبيق العقوبات الاقتصادية والماليه فقط على ايطاليا أما الاجراءات الأخرى مثل فرض الحصار البحرى او اغلاق قناة السويس فلم تكن واردة . وكان تأييد بريطانيا الكامل لاتفاقية قنـــاة السويس قد جعل العقوبات المحدودة التى فرضت على ايطاليا ليست عديمة الجدوى فحسب بل اصبحت عبثا ومدعاة للسخرية (٣٧) .

كما مهدت بريطانيا لاحياء مشروع هور — لافال بعــد تعديله لصالح ايطاليا اذ منحها حق الانتداب على الســـهول التى غزتها فى الحبشة اخيرا فى حين يحتفظ امبراطور الحبشة بمملكته القديمة فى الجبال على ان تعطيه بريطانيا منفذا الى البحر يتمثل فى ميناء فى الصومال البريطانى . وقد حمـل ايدن — الذى كان وزيرا مفوضـا حديثـــا لشئون عصبة الأمم — المشروع الى روما الا ان موسولينى رفضه . وفى أوائل ديسمبر عرض هور المشروع على لافال وزير خارجية فرنسا فى باريس فرحب به وكانت الخطوة التالية تقديمه الى عصبة الأمم وباجماعها يفرض على الامبراطور . ولكن ما ان ترك هور باريس فى طريقه الى عصبة الأمم فى جنيف حتى ظهر مشروع هور — لافال فى الصحف الفرنسية .

وقد ادى افشـــاء المشروع الى انفجار فى الراى العـــام البريطانى . وقد اعترف بالدوين — رئيس الوزراء البريطانية — فى اول الأمر بأن الحكومة وافقت على المشروع ولكنه عاد فتنكـــر للمشروع ولسير صـــمويل هور . ثم احتل ايدن مكان هور كوزير للخارجية واختفى مشروع هور — لافال (٢٨) .

---

(٣٧) HuGh. J. SchonField, Op. Cit, PP. 86-7.

(٣٨) أ. ج تايلور ، المصدر السابق ، ص ص ١١٤ ـ ٩ .

وخلاصة القول ان سياسة صمويل هور اعتمدت على التفاوض مع ايطاليا بالتعاون مع فرنسا لحفظ السلام فى أوربا على حساب الحبشة (٣٩) .

لقد استفاد موسولينى تماما من موقف الحكومة البريطانية التى كانت تبذل غاية جهدها لتفادى الحرب كذلك أفاد من موقف الشعب البريطانى الذى كان على اختلاف طبقاته يمقت الحرب ويؤمن بميثاق عصبة الأمم (٤٠) .

وقد ذهبت الحكومة البريطانية الى حد التحرى عما اذا كان موسولينى سيعترض على منع البترول عنه ولما تيقنوا من اعتراضه قاوموا بنجاح العقوبات الاقتصادية فى جنيف كما كانوا مستعدين لمساومة موسولينى على غرار مشروع هور — لافال وذلك بعد انتهاء موسم الحملات .

وعموما فقد كان موقف بريطانيا اثناء الحرب متفقا مع موقفها قبل الحرب وكلاهما يتسم بالنفاق اذ راحت الحكومة الائتلافية البريطانية تتظاهر بالسخط على محاولات موسولينى بينما راحت تعمل سرا من أجل الحصول على مغانم لها فأرسلت لجنة الى شرق افريقيا لدراسة الحالة هناك وكتابة تقرير عن مدى تأثر المصالح البريطانية بتغيير الأوضاع فى الحبشة . وقد قدمت اللجنة تقريرها الى الحكومة البريطانية فى يونية سنة ١٩٣٥ لكن الحكومة أخفت أمر البعثة عن الشعب البريطانى الى أن نشرت جريدة الجيورنالى ديتاليا فضيحتها فى ١٩ فبراير سنة ١٩٣٦ حين قرر موسولينى أن يكشف للعالم النفاق البريطانى (٤١) .

كذلك اتخذت بريطانيا — تحسبا للموقف — تدابير دفاعية فى مصر والسودان وظهر ذلك فى عديد من البرقيات . ففى الخامس من اكتوبر سنة ١٩٣٥ أرسل السير صمويل هور وزير خارجية بريطانيا برقية

---

(٣٩) D. A. Farnie, Op. cit. P. 596.

(٤٠) محمد رفعت : تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط وتياراته السياسية ، دار المعارف ، ١٩٥٩ ، ص ٣٠١ .

(٤١) أ. ج. ب. تايلور ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

انى المندوب السامى السير مايلز لامبسون يخطره فيها بموافقة حكومة الهند على ارســال قوات الى مصر ـ عنـد الضرورة ـ ومطالبتها بوقت تمام استعداد التجهيزات الدفاعيـة كما ابلغـه بأنه فى حالة ارســال قوات فمن المنتظر ان يصـل اول لواء الى السويس بعـد احدى وعشرين يوما على الاقل اما باقى القوة فيصل فى مدى شهر . واوضح بأن حكومة صاحب الجـلالة لم تتمكن من تحديد الوقت الذى ترى أنه ضرورى لاتاحة الفرصة امام الايطاليين للرد على اقتراحهـا الذى طرحتـه فى ٣٠ سبتمبر بشـأن انسحاب القوات الايطالية من ليبيا . واضاف بأنه سوف يخطره بأى تطورات منتظرة (٤٢) .

كذلك ارســل السـير صمويل هور برقيـة الى السـير لامبسون فى ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٥ يبلغه فيها بأن ممثل بريطانيا قد بحث مع الحكومة المصرية مســألة الدفاع عن مصر فى الظـروف الطارئة حيث تم الاتفـاق على ان تتعـاون الحكومتـان المصرية والبريطانيـة على تحقيـق هـذا الغرض (٤٣) . كما اعقبها ببرقية أخرى فى ذات التاريخ يقول فيها انه برغم عدم اعــلان الحرب رسميا بين ايطاليـا والحبشة فان الحبشة فى طلبهـا الى عصبة الأمم تعتبر ان ايطاليـا قد اعلنت الحرب عليهـا ومن ثم تعتبر نفسها فى حالة حرب مع ايطاليا ونتيجة لهذا الموقف قد تنشأ اوضاع جديدة تتطلب اجراءات محددة (٤٤) .

كما سارع الانجليز الى تحصين ميناء عـدن والجزر المتحكمة فى باب المندب واتخـذوا وسائل دفاعية عن عـدن لمواجهة حالة توتر العلاقات مع ايطاليـا ونشوب الحرب (٤٥) .

---

(٤٢) Fo. 407/218. J 5684/G. No. Sir Samuel Hoare to Sir Lampson (No. 547 Secret) (Telegraphic) Foreign Office, October 5, 1935.

(٤٣) Fo. 407/218. J 5673/G. No. 91, Sir Samuel Hoare to Sir Lampson (No. 567. most secret) Foreign Office, October, 14, 1935.

(٤٤) Fo. 407/218, J 5983/16, No, 92(Sir Samuel Hoare to Sir M Lampson, Foreign Office, October, 14. 1935.

(٤٥) الاهرام . العدد ١٨٢٥٧ ، ١٩٣٥/١٠/٨ ، ص ١ .

وفى ١٥ اكتوبر ارسل السير صمويل هور ردا على برقية السير لامبسون المؤرخة فى ٨ اكتوبر بشأن موقف الجيش المصرى حيال القوات المسلحة الايطالية فقال ان حالة الحرب قد نشأت الآن بين ايطاليا والحبشة الا انه ليس من المرغوب فيه أن تصدر مصر بيانا رسميا بحيادها . واوعز اليه ان يسدى النصيحة الى الحكومة المصرية لكى تمنع الضباط والجنود الايطاليين من عبور الأراضى المصرية الى السلوم والا تسمح للطائرات الحربية الايطالية بالتحليق فوق الأراضى المصرية .

كما اوضح له ان المعاهدة لا تعطى ايطاليا الحق فى الظروف الراهنة فى عبور طائراتها المدنية الاجواء المصرية والسودانية . كما احاطه علما بأن الاتفاقية الانجليزية الايطالية الموقعة فى ديسمبر سنة ١٩٢٤ لا تطبق فى زمن الحرب (٤٦) .

وفى ٢٩ مايو سنة ١٩٣٦ — فى أعقاب النصر الايطالى فى الحبشة — ارسل ايدن وزير الخارجية الجديد برقية الى السير لامبسون يقول فيها انه بالنظر الى النصر الايطالى فى الحبشة وتوقع ضمها الى ايطاليا فانه يجد انه من الضرورى اكثر من أى وقت مضى اتخاذ الاستعداد الكافى للدفاع ضد أى تهديد محتمل للحدود السودانية . لذلك يجب ان يوضع فى الاعتبار فى وقت مبكر الاجراءات اللازمة لزيادة قوة دفاع السودان (٤٧) .

كما ارسل السير لامبسون برقية الى مستر ايدن فى ٣٠ مايو سنة ١٩٣٦ يبدى فيها انزعاجه من عملية تطويق ليبيا وارتريا والحبشة والصومال واليمن بدرجة لا يمكن معها تفادى تصادم المصالح الحيوية بين بريطانيا وايطاليا .

وذكر ان بريطانيا لن تسمح بتعرض سيطرتها على البحر الاحمر

(٤٦) Fo, 407/218, J. 5798/25/16, No, 93, Sir Samuel Hoare to Sir Lampson (No, 370) (Telegraphic) Foreign Office, October, 15, 1935.

(٤٧) Fo, 407/219, J 4478/72/16, No, 157. M. Eden to Sir Lamboon (No. 300) (Telegraphic) Foreign Office, May, 29, 1936.

كذا مواصلاتها مع الهند للخطر كما لن تسمح بالدرجة الأولى بأن يدق ناقوس الخطر فى مصر والسودان (٤٨) .

سير العمليات الحربيـة :

اولا — فى الجبهـة الشمالية :

اجتاز الجيش الايطالى حدود الحبشة بقيادة الجنرال « دى بونو » بعد ظهر يوم ٣ اكتوبر سنة ١٩٣٥ بعد أن قامت القوات الجوية الايطالية بالتمهيد للهجوم ولم يصادف الجيش اثنـاء تقدمه مقاومة تذكر لأنه فاجأ الأحباش . وقد انسحبت القوات الحبشية الى داخل الهضبة بهدف استدراج الايطاليين الى عمق الدولة لاطالة خطوط مواصلاتهم عبر الأودية الوعرة وابعادهم عن قواعد امدادهم الرئيسية الا ان الايطاليين الذين خبروا وعورة جبال الحبشة وصعوبة دروبها من قبل أعدوا العدة للتغلب على المشاكل التى تعترض تقدم القوات اذ استخدم الجيش التجهيزات الهندسية ومعدات انشاء الطرق وتمهيدها كذا اقامة القناطر والجسور كما استخدم وسائل امداد مرنه لذلك لم تؤثر الموانع الطبيعيـه ولا طول خطوط المواصلات فى كفاءة تقدم القوات . وقد حاول الأحباش صد الهجوم الايطالى على طول الجبهـة الشمالية فنشبت عدة معارك بين الجانبين أهمها معركة « راما » و « درتاقـل » و « عـدوى » و « أنيتجـو » و « أنجير » و « اديجرات » .

وقد تكبد الأحباش فى هذه المعارك خسائر جسيمة تصـل الى بضعة آلاف من القتلى . وفى ٨ نوفمبر سنة ١٩٣٥ سقطت مدينـة مكالى عاصمة اقليم تيجرا ثم تبعتها اكسوم العاصمة التاريخية المقدسـة الى أن حقق الجيش مهمته بالوصول الى الخط اديجرات — أنتى شو — عدوى (٤٩) .

(٤٨) Fo, 407/219, J 4933/72/16, No, 158, Sir Lampson, to Mr Eden (No. 505) (telegraphic), Cairo, May 30, 1936.

(٤٩) محمد طارق الأفريقى : المصدر السابق ، ص ص ٦٦ — ٧ .

ثانيـا — فى الجبهـة الجنوبيـة :

قام الجيش الايطالى بقيادة الجنرال جرازيانى بالهجوم على الخطوط الدفاعية الحبشية فى الجبهة الجنوبية فى نفس توقيت الهجوم فى الجبهـة الشماليـة .

وفى بادىء الأمر دارت معارك محدودة أظهر فيها الأحباش بطـولات مشهودة كادت توقف الزحف الايطالى فى بعض القطاعات لولا تفوق السلاح الجوى الايطالى (٥٠) . وقذفه مواقع الأحباش بلا هوادة .

وقد انحاز بعض السلاطين المحليين — فى المنـاطق الصـحراوية — الى الجبهة الايطالية التى غررت بهم بالمال وبالوعود باطلاق الحريات .

وقد نجح جيش جرازيانى فى الاستيلاء على خط « غرلى — غولى — غوراى — لاماشلندى » فى وادى « وئيبى شبيلى » واتصـل الجناح الأيمن لجيشه بالقوات الايطالية فى منطقة « وال وال » وبعد ثلاثة أيام من انهيـار خطـة هور — لافال للسـلام استخدمت ايطاليـا لأول مرة غاز المسترد فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥ وقبل نهاية فبراير سنة ١٩٣٦ صرح الايطاليون علنا بمرور ٢٦٠ طن من غاز المسترد عبر القناة (٥١) .

ثم قام القسم الأكبر من الجيش الايطالى بالهجوم على قوات الراس « دسـتا » صـهر الامبراطور وقائد منطقة « وئيبى شبيلى » على مقربة من حـدود كينيا وكان جيشه يتألف من أربعين الف مقـاتل . وقد تقابل الجيشان فى عدة معارك قتل فيها الوف من الجنـود والأهالى وبرغم ذلك ثبت الراس « دستا » وتمكن من ايقاف القوات الايطالية المهاجمة مما أجبر الايطاليين على الاستعانة بقوات صومالية بزعامة « ولول دينلى » وغيره من الزعماء المأجورين مما مكن الايطاليين من شن هجوم عام سقطت على اثره مدينة « نكللى » مركز قيادة الراس « دستا » فى ٢٠ يناير سنة ١٩٣٦ .

وعلى الرغم من هزيمـة الأحبـاش فانهـم لم يركنوا الى اليـأس

---

(٥٠) ممتاز العارف : المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .

(٥١) E. W. P. Op. Cit. P. 602.

والاستسلام بل بادلوا الطليان فقاموا بهجوم ليلى صامت على قوة من جنود المستعمرات تابعة للجيش الايطالى فى موقع « توراتى » الواقع على مسافة مائة ونيف كيلو مترا شمال غرب « وال وال » . ونشبت معركة بالسلاح الأبيض سقط فيها ٣٥٠ قتيلا من جنود المستعمرات ، ٢٥ حبشيا واحتلت القوة الحبشية هذه المنطقة (٥٢) .

تغيير القيادة العامة للجيوش الايطالية واستئناف الهجوم :

تم تغيير الجنرال « دى بونو » بالمارشال « بادوغليو » لكفاءته ولرغبة موسولينى فى سرعة انهاء الحرب .

بعد أن أتمت الجيوش الايطالية استعدادها تقدمت فى الجبهتين الشمالية والجنوبية محققة مهامها دون مقاومة تذكر من جانب الأحباش الا أن القيادة العامة للجيش الحبشى أخذت فى اعادة تنظيم قواتها فى الجبهة الشمالية للقيام بالهجوم المضاد العام .

وقد وضعت القيادة الحبشيه خطتها على أساس تطويق الجانب الأيمن لقوات الايطالية بجزء من القوات الحبشيه بينما تدافع بالجزء الآخر فى مواجهه الجيش الايطالى وفى حالة نجاح هذه الخطه يتقدم الأحباش للاستيلاء على ارتريا واشعال نار الثورة فيها وتدمير القاعده الادارية الرئيسية للجيش الايطالى .

قامت القوات الحبشية بالهجوم فى منطقتى نهر « تكازا » و « شامبيان » خلال شهر ديسمبر وهزم الرأس ايمرو قوة من الجيش الايطالى فى معركة مى تنشت » .

ثم استمر الأحباش فى الهجوم الى أن اصطدموا بالايطاليين فى ممر تمباكوبيا » وصد الطليان الهجوم حتى وصلتهم تعزيزات جديدة مع مئات من الطائرات والدبابات وقذفت الطائرات الايطالية الأحباش بالقنابل والغازات السامة فأحدثت خسائر جسيمة فى القوات الحبشية . وبالرغم

(٥٢) محمد طارق الأفريقى . المصدر السابق ، ص ص ٦٩ — ٧١

من ذلك حاول الراس سيوم التقدم بقواته الى عدوى والاستيلاء عليها وقطع خطوط مواصلات الايطاليين وأثناء تقدمه الى هدفه نبه اليه القائد الايطالى المارشال بادوغيلو فاصدر اوامره الى الفيلق الثانى والفيلق الارترى بمهاجمة الراس سيوم من اتجاهين حيث وقعت معركة طامبيان الأولى فى ١٩٣٦/١/١٩ وانتهت يوم ٢١ ينساير باستيلاء الفيلق الارترى على ـ مون لانا ـ بعد خسائر فادحة .

واخيرا انسحب الأحباش يوم ٢٢ يناير بعد ان أوشكت القوات الايطالية أن تحاصرهم وهكذا توقف زحف الجيش الحبشى الى عدوى . وبدلا من الانسحاب الى ما وراء نهر « تكازا » . احتل الأحباش خطا دفاعيا فى منطقة « طامبيان » بهدف صد الهجوم الايطالى المتوقع ومنع الايطاليين من التقدم فى اتجاه العاصمة اديس أبابا ومن ثم وقعت معركة « طامبيان الثانية » .

بدأت معركة « طامبيان الثانية » صباح ٢٧ فبراير بهجوم قام به الفيلق الارترى على مواقع الأحباش الدفاعية وكادت تكتمل حلقة الحصار حول الأحباش وتنتهى المعركة بأسر الجيش الحبشى لولا انسحابه الى ما وراء نهر « تكازا » مع تأمين مؤخرته ضد هجوم الطليان .

وفى يوم ٢٩ فبراير استمر القتال مع مؤخرة الأحباش الى المساء حتى اجبرت على الانسحاب الى ما وراء نهر تكازا .

وقد القت الطائرات آلاف القنابل والغازات السامة فقتلت الألوف من الأحباش (٥٣) .

ونتيجة لمعركتى « طامبيان » الأولى والثانية لم يبق فى الجبهة الشمالية من القوات الحبشية سوى قوة الراس « ايمرو » فى منطقة « شيرا » فقرر المارشال « بادوغليو » سحق هذه القوة بسرعة . لذلك اصدر أوامره الى قواته فى ٢٩ فبراير بتدمير القوات الحبشية التى تقدر بحوالى

---

(٥٣) نفس المصدر ، ص ص ٧٨ ـ ٨١ .

٣٠٫٠٠٠ مقاتل . فقام الفيلق الثانى بالهجوم بالمواجهة من الاتصال المباشر بينما قام الفيلق الخامس بمهمة تطويق دفاعات الأحباش وقطع خطوط انسحابهم ، واستمرت المعركة لمدة ثلاثة أيام اضطر بعدها الأحباش الى الانسحاب .

لم تبق أمام الجيوش الايطالية قوة تحول دون تغلغلها داخل الحبشة واحتلالها بعد معركة « شسيرا » حيث قضى على معظم جيوش الأحباش . وكانت معظم الخسائر نتيجة استخدام الطليان الغازات السامة على نطاق واسع مما ادى الى خفض الروح المعنوية للأحباش لدرجة أنه أصبح من الممكن انهاء الحرب قبل بدء هطول الأمطار (٥٤) .

اعادة تنظيم الجيوش الايطالية والتغلغل داخل الحبشة :

نظم المارشال « بادوغليو » جيوشه وخصص لها المهام القتالية لتنفيذها فى الفترة من ٤ — ١٢ مارس على الوجه الآتى :

١ — الفيلق الأول يدافع فى منطقة « ماى ساد » شمال بحيرة « أشانكى » بمهمة منع الجيش الحبشى الجديد من التقدم والتدخل فى العمليات الهجومية .

٢ — الفيلق الثانى : للدفاع عن منطقة نهر « تكازا »

٣ — الفيلق الثالث : بمهمة الاستيلاء على « سوكوتا » .

٤ — الفيلق الرابع : بمهمة تطهير منطقة « طامبيان » وتنظيمها .

٥ — الفيلق الخامس : احتياطى القيادة العامة ويتمركز فى « بوبيه » .

كما خصص فيلقين للسهلين الشرقى والغربى بمهمة احتلال « ولكيت » و «آوسا » .

وقد قامت مئات الطائرات بالتمهيد الجوى للهجوم كما دمرت المدن والقرى التى كانت تعترض طرق تقدم القوات الى أهدافها (٥٥) .

---

(٥٤) E. W. P. Op. Cit. 602.

(٥٥) محمد طارق الأفريقى ، المصدر السابق ، ص ٩٠ — ١ .

وفى ذلك الحين تولى الامبراطور هيلاسلاسى القياده العامة للقوات الحبشية حيث وقعت معركة « بحيرة أشانكى » الحاسمة فى يومى ٣١ مارس ، أول ابريل وكانت بداية النهاية للحرب الحبشية الايطالية .

أعاد الامبراطور تنظيم فلول جيشه فى وقت يسير وقد دعمه بقوات جديدة حتى بلغ ٥٠,٠٠٠ مقاتل ثم قرر اتباع سياسة هجومية فتحرك الامبراطور يوم ٢١ مارس الى « كوران » ثم اصدر أوامره بالهجوم صباح ٣١ مارس على الفيلق الأول الايطالى واستولى الأحباش على بعض المواقع الايطالية الا أن الطليان قاموا بهجوم مضاد وأعادوا الموقف الى ما كان عليه قبل الهجوم فاضطر الأحباش الى الانسحاب غير أن الامبراطور امر بقايا جيشه وحرسه الخاص بالهجوم على فيلق ارتريا ولكن منى الأحباش بهزيمة ساحقة وانتهوا كقوة مقاتلة وانسحب من تبقى منهم ليلة ٢ ابريل .

وهكذا انتهت معارك الجبهة الشمالية بهذه المعركة الحاسمة التى سحقت بقايا القوات الحبشية .

المعارك الحاسمة فى الجبهة الجنوبية والانهيار التام للقوات الحبشية :

بعد معركة « بحيرة أشانكى » الفاصلة لم يبق فى الحبشة كلها قوة مقاتلة ذات شأن سوى جيش الراس « نصيبو » فى منطقة اوجادين فى الجبهة الجنوبية وكان هذا الجيش يتكون من ٣٠,٠٠٠ مقاتل متخذين أوضاع الدفاع . لذلك قرر الجنرال جرازيانى مهاجمة قوات الرأس « نصيبو » وسحقها . وقد اشتبك مع الأحباش فى معركة « جلاغويو » الحامية فى الفترة من ١٤ ــ ١٧ أبريل التى انتهت بانسحاب الأحباش بعد أن تكبدوا خسائر فادحة نتيجة قذف الطائرات والغازات السامة . كما دارت رحى معركة حامية الوطيس يوم ٢٤ ابريل انسحب الأحباش على اثرها ليلا فطاردهم الايطاليون وضغطوا عليهم يوم ٢٥ ابريل حيث دار قتال ليلى انتهى بتدمير الجيش الحبشى (٥٦) .

---

(٥٦) نفس المصدر ، ص ص ٩٩ ، ١٠٠ .

وبتصفية الجبهة الجنوبية انتهت الحرب الايطالية الحبشية .

هروب الامبراطور :

ترك الامبراطور ميدان القتال يائسا فى اوائل ابريل سنة ١٩٣٦ بعد فناء جيشه وتوجه الى « ديسى » ومنها الى اديس ابابا . وفى الساعة الرابعة والدقيقة العشرين من صباح السبت ٢ مايو سنة ١٩٣٦ استقل الامبراطور هيلاسلاسى وعائلته وبعض افراد حاشيته قطارا خاصا من محطة اديس ابابا الى ميناء جيبوتى فى الصومال الفرنسى كما انتقل رجال الحكومة الى بلدة جورى وانتهت الحرب النظامية (٥٧) .

وقد سافر النجاشى واسرته من جيبوتى على بارجة انجليزية تحرسها ست سفن حربية فى طريقه الى فلسطين حيث وصل القاعدة البريطانية فى حيفا وزار القدس قبل ان يشق طريقه الى جنيف ثم الى انجلترا . وما أن انتشر نبأ هروب الامبراطور حتى ساد الوجوم والحزن كافة أنحاء العاصمة ثم عين الراس ايمرو قريب الامبراطور وأحد قواده نائبا للملك . وقد تسربت أنباء هروب الامبراطور الى الجبهة فصعق القادة وأسقط فى أيديهم حتى أن بعضهم ترك الجبهة مع جنوده مما أدى الى انهيار المقاومة وسقوط مدينة هرر فى ٧ مايو عام ١٩٣٦ (٥٨) .

اما فى الشمال الغربى من البلاد فقد أدى سقوط غوندار وهى أكبر بلدة هناك الى يأس المقاتلين فتحول انسحابهم الى هزيمة فى اتجاه اديس أبابا .

وفى عشية اليوم الرابع من مايو بلغت مقدمة الجيش الايطالى مشارف اديس ابابا وفى اليوم التالى سقطت العاصمة الحبشية ودخلها الجيش الايطالى بعد الظهر فاتحا .

وفى ٥ مايو سنة ١٩٣٦ اعلنت ايطاليا انتهاء الحرب الحبشية ثم ألقى

---

(٥٧) الاهرام فى ٣ مايو ١٩٣٦ ، العدد ١٨٤٥٨ ، ص ٥ .
(٥٨) ممتاز العارف ، المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .

موسولينى خطبة خطيرة جاء فيهــا : « ان الحبشــة أصبحت ايطاليــة ، ايطالية فعلا لأن جيوشنا المنتصرة تحتلهــا ، ايطالية حقــا لأن قوة روما هى قوة الحضارة التى تفوز الآن على الهمجية والعدل على الاستبداد »(٥٩) .

وفى ١٠ مايو سنة ١٩٣٦ أعلنت ايطاليا ضم الحبشة اليهــا ثم بدأت فى ١٢ مايو تبلغ دول العالم رسميا بمرســوم الضم . وقد ســلم السنيور جراندى سفيرها فى لندن نسخة من هــذا المرسوم الى وزارة الخارجيــة البريطانية (٦٠) .

كما وافق مجلس الشيوخ الايطالى فى ١٩٣٦/٥/١٦ على ضم الحبشــة وتقليد ملك ايطاليــا لقب امبراطور الحبشــــة كذلك وافق مجلس النواب الايطــالى على مشروعى القــانونين الخاصــين بانشــاء الامبراطــورية الايطاليـــة (٦١) .

نتائج الحرب الحبشية الايطالية :

كان غزو ايطاليا للحبشــة من بين الأسباب التى أدت الى فقدان ثقة العالم بعصبة الأمم وانهيار النظام الكامل للأمن الجماعى كذلك فتحت الطريق أمام سياسـة القوة التى كانت تسود العــالم عام ١٩١٤ واصبح البقــاء للأقوى ، كما أن سياسـة بريطانيا المتخاذلة لم تحتفظ باســتقلال الحبشـة ولا بصداقة ايطاليا بل ان زيادة القوة الايطالية فى البحرين الأبيض المتوسط والأحمر أصبحت تشكل تهديدا عظيما لخطوط المواصلات البريطانية الى الهند .

ان غزو الحبشــة خلق امبراطورية استعمارية ايطالية فى شرق أفريقيا ولكنه لم يخلق جبهة بريطانية ـ ايطالية كما كان يأمل سير ارنولد ويلسون . وقد ســيطرت الامبراطورية الايطالية الجديدة على منابع النيــل الأزرق وطوقت مضيق باب المنــدب من مصوع وعصب وهددت أمن عــدن خاصــة

(٥٩) الأهرام فى ٦ مايو ١٩٣٦ ، العدد ١٨٤٦١ ، ص ص ٥ ، ٧ .
(٦٠) الأهرام فى ١٩٣٦/٥/١٣ ، العدد ١٨٤٦٨ ، ص ٥
(٦١) الأهرام فى ١٩٣٦/٥/١٧ ، العدد ١٨٤٧٢ ، ص ٥

من خلال اقامة علاقات ودية مع اليمن . كما ادت الى تقارب المانيا وايطاليا وتكوين محور برلين — روما .

وبذلك اصبحت القناة طريقا استعماريا عبر البحار لكل من ايطاليا وبريطانيا . وفى حين اصبحت ايطاليا تعتمد كلية على مواصلاتها فى البحر الأحمر نجد ان بريطانيا ليست كذلك . كما اتاح الوضع الجديد لايطاليا ان تهدد المصالح البريطانية فى مصر والسودان .

ثالثا — سياسة ايطاليا بعد غزو الحبشة وحتى نشوب الحرب العالمية الثانية :

انضمت ايطاليا الى المحور فى اكتوبر سنة ١٩٣٦ وبظهور المحور عاد العالم الى سياسة التكتلات التى سبقت الحرب العالمية الأولى .

واخذت ايطاليا تنمى نفوذها فى الحبشة وتبسط قوتها وسلطانها على ارجائها وقد ذكر مراسل جريدة « سنداى كرونيكل » بعد أن عاد من الحبشة ان السنيور موسولينى قد وضع مشروعا سريا لاستعمار الحبشة يقضى بأن يتحول جيشه من ذوى القمصان السوداء بين عشية وضحاها الى عمال ومهندسين وبنائين وزراع فيعملون فى خلال أشهر قليلة على تحويل صحراء أوجادين الى اراضى خصبة تقوم فيها محطات عظيمة لتوليد القوى وانشاء زراعات قطن واسعة النطاق (٦٢) .

الا ان ايطاليا لم تقصر جهدها على ذلك بل طلبت ان يعمل لمركزها فى البحر الأبيض المتوسط ومصر والقناة حساب آخر . فسارعت الى تعزيز حاميتها فى ليبيا ووصل الأسطول الايطالى الى مركز مساو للأسطول البريطانى فى البحر الأبيض المتوسط .

ونشطت الدعاية الايطالية ضد بريطانيا فى مصر وبذلت جهودا مكثفة لتحض مصر على التقارب من ايطاليا كما ركزت على التنديد بسياسة بريطانيا

---

(٦٢) الأهرام فى ٤ مايو ١٩٣٦ ، العدد ١٨٤٥٩ ، ص ٥ .

في مصر وطالبت بنصيب فى ادارة شركة قنـــاة السويس وبتخفيض الرسـوم التى تفرضها الشركة على حركة المرور فى القناة (٦٢) .

وما أن عقـــدت بريطانيـــا مع مصر معاهدة سنة ١٩٣٦ حتى نددت ايطاليا باحتكار بريطانيا لقناة السويس وطالبت باعادة النظر فى شأن القناة وضرورة جعلهـــا دولية حتى يتـــاح لايطاليا المشاركة فى مجلس ادارتهـــا الى جانب فرنسا وبريطانيا اذ أن ايطاليـــا كانت تشعر بأن امبراطوريتها فى شرق أفريقيا ستظل مهددة طالما ان دولة أخرى تسيطر على القناة .

الا أنه فى عام ١٩٣٧ كان تشمبرلن رئيس الحكومة البريطانية مستعدا لمساومة ايطاليـــا ليحول بينهـــا وبين المانيا فكتب الى موسولينى يلوح له باستعداده للاعتراف باستيلاء ايطاليا على الحبشة فى نظير عقد تسوية عامة للمشاكل المعلقة بين الدولتين بهـــدف تدعيم الســـلام الأوربى . وقد كانت الظروف الدولية والمحلية والمصـــالح المشتركة تساعد على عقـــد اتفاقية بين الطرفين .

ولقد تهيأت الفرصة لعقد هـــذا الاتفاق عقب اجتياح هتلر للأراضى النمسوية فى الحادى عشر من مارس سنة ١٩٣٨ . وقد أثار احتلال هتلر للنمسا فزع ايطاليا لأنها كانت أحرص دول أوربا على بقـــاء دولة النمسا مستقلة اذ أن ازدياد النفوذ الألمانى بهـــذه الصورة يمحو النفوذ الايطالى من جنوب شرق أوربا . وهكذا صارت ايطاليا والرأى العام الأيطالى أميل الى توقيع اتفاقية بريطانيا لتأمين وضع ايطاليـــا الدولى ولتأمين ممتلكاتها الجديدة فى افريقيا عبر قناة السويس ، الطريق الوحيد الى شتى بقـــاع امبراطوريتها .

فتم توقيـــع اتفاقيـــة روما بين الدولتين فى ١٦ أبريل ســـنة ١٩٣٨ لكن ما لبثت هذه الاتفاقية أن لقيت مصـــيرها المحتوم بسبب تدخل القوات المسلحة الايطالية لمساعدة الجنرال فرانكو فى الحرب الأهلية الاسبانية .

---

(٦٢) د. أحمـــد عبد الرحمن مصطفى : مشكلة قنـــاة الســـويس ، ص ص ٥٩ — ٦٠ .

اما بالنسبة للسياسة الايطالية فى اليمن فقد صادفت نجاحا اذ جددت الاتفاقية الايطالية اليمنية المعقودة فى سنة ١٩٢٦ وذلك فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٧ .

وقد مهد هذا التجديد الى ارسال بعثة سياسية ذات مستوى عال الى صنعاء فى السنوات الثلاث التالية .

كما طورت ايطاليا ميناء عصب فى جنوب ارتريا على بعد ٤٠ ميلا من باب المندب مؤكدة مكانتها الاستراتيجية فى جنوب البحر الأحمر .

وهكذا برزت اهمية المستعمرات الايطالية فى كونها نقطا خارجية لسيطرة على شمال شرق افريقيا وعلى الحوض الشرقى للبحر الأبيض المتوسط (٦٤) .

سياسة ايطاليا فى البحر الأحمر ابان الحرب العالمية الثانية :

عندما نشبت الحرب العالمية الثانية فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩ اتخذت ايطاليا موقف الحياد المشوب بالتعاطف مع الألمان الا أنه بتطور الحرب لصالح المانيا قرر موسولينى الانحياز الى جانبها ودخول الحرب فى العاشر من يونيو سنة ١٩٤٠ وقد ادى دخول ايطاليا الحرب الى حرمان بريطانيا من استخدام البحر الأبيض المتوسط — بالرغم من سيطرتها على طرفيه عند قناة السويس وجبل طارق — وتعين على السفن البريطانية أن تلجأ الى طريق رأس الرجاء الصالح لا سيما بعد ان اصبحت قناة السويس طريقا غير مأمون بسبب الغارات الجوية التى بداها الايطاليون من قواعدهم الجويه فى جزر الدوديكانيز منذ اواخر اغسطس سنة ١٩٤٠ .

ومنذ ذلك الحين راى موسولينى أن من حقه ان يعرض مطالبه على هتلر . وقد عرض الكونت شيانو وزير خارجية ايطاليا وصهر موسولينى على فون روبنتروب وزير خارجية المانيا فى ١٩ يونيو سنة ١٩٤٠ مطامع

(٦٤) C. Grove Haines, The Problem of the Italian Colonies, The Middle East Journal 1947, P. 418.

موسوليني فى الصومال ونقل حقوق بريطانيا فى مصر والسودان الى ايطاليا وقد وافق هتلر عليها (٦٥) .

وفى ٧ يوليو سنة ١٩٤٠ عرض موسوليني على هتلر خطته التفصيلية لاعادة تنظيم الشرق الأوسط حيث ترث ايطاليا بريطانيا فى مصر والسودان وتخلق نظاما خاصا بمنطقة القناة .

كما أعلن عن عزمه على ضم الصومال البريطاني والفرنسي لاستكمال تشييد الامبراطورية الايطالية فى شرق افريقيا وفرض سيطرة ايطالية على الجناح الجنوبي للطريق الى عدن ، كذا تقييد شرق الاردن وفلسطين بمعاهدات مع ايطاليا تتيح لها احتلال الأماكن الاستراتيجية فى هذين البلدين ثم اختتم مطامعه بضم عدن وبريم وسوقطرة ، وبذا يصبح البحر الأحمر بحيرة ايطالية .

وقد حاول موسوليني بنفسه جس نبض هتلر بالنسبة لمطامعه السابقة فتحدث معه عن مطامعه فى بعض البلاد التابعة لفرنسا فطمأنه ووعده — كما جاء فى محضر جلسة ذلك الاجتماع — « بأن المانيا لن تعقد صلحا نهائيا مع فرنسا ما لم تجب مطالب ايطاليا » .

وفى ٢٤ يونيو سنة ١٩٤٠ وقعت فرنسا اتفاقية الهدنة مع ايطاليا وقد نصت الاتفاقية على وقف اطلاق النار فى كل المستعمرات الفرنسية والبلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسي وتخويل ايطاليا الحق الكامل فى استخدام ميناء جيبوتي وفى استغلال الجزء الفرنسي من سكة حديد جيبوتي — أديس أبابا (٦٦) .

الهجوم الايطالي على المستعمرات البريطانية فى شرق افريقيا :

كان يبدو على على الخريطة ان ايطاليا تستطيع ان تحتل مصر والسودان فى حركة سريعة عن طريق ليبيا والحبشة اذ كانت القوات

---

(٦٥) د. محمد كمال الدسوقي : الحرب العالمية الثانية ، صراع استعماري ، ص ١٤٨ .

(٦٦) نفس المصدر ، ص ص ١٤٨ — ١٥١ .

الايطالية فى ليبيا تربى على ٢١٥٫٠٠٠ مقاتل أما قواتها فى الحبشة فكانت تزيد على ٢٠٠٫٠٠٠ جندى منهم نسبة كبيرة من القوات الافريقية الوطنية الا ان موقفهم الادارى لم يكن مشجعا لدرجة انهم لم يحققوا لانفسهم مستوى الاكتفاء الذاتى لأن الحصار البحرى البريطانى حرمهم من الامدادات الحيوية لا سيما البترول (٦٧) . وبرغم ذلك فانهم لم يجدوا صعوبة فى احتلال الصومال البريطانى الذى لم يكن مدافعا عنه جيدا ثم غزوا أقاليم من السودان وكينيا (٦٨) وتوقفوا عندما دخل فى روعهم انهم استكملوا تشييد الامبراطورية الايطالية فى شرق أفريقيا .

الا ان بريطانيا استغلت سلبية ايطاليا واخذت تأجج نار الثورة فى المستعمرات الايطالية ثم كانت عودة النجاشى هيلاسلاسى فى يناير سنة ١٩٤١ ايذانا باندلاع المقاومة التى حركتها حرب العصابات البريطانية والتحم العسكريون بالوطنيين من اهالى البلاد .

الهجوم الايطالى على مصر عبر الصحراء الغربية :

كانت ايطاليا تبغى السيطرة على قناة السويس واقامة نظام خاص لتلك المنطقة . فالقناة بالنسبة لايطاليا تعنى النزوع الى امبراطورية عظيمة والى البحر المفتوح ، الى الحياة والغذاء ، كما كانت تعنى كسر حاجز السويس الذى ادى الى انعزال ارتريا عن ايطاليا فى الماضى (٦٩) . وفى سبتمبر سنة ١٩٤٠ عبر الجيش العاشر الايطالى بقيادة الماريشال جرازيانى الحدود المصرية بهدف الاستيلاء على مصر وقناة السويس ولم يجد الايطاليون صعوبة فى الاستيلاء على السلوم وسيدى برانى حيث توقف الهجوم الايطالى لاعادة التنظيم . وفى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٤٠ اجتمع هتلر بموسولينى فى فلورنسا وقد كشف هتلر عن خطة تهدف الى سيطرة المحور

---

(٦٧) G. Kirk, The Middle East in War, Survey of International affairs (1939–1646) P. 224.

(٦٨) Henri Michel, The war in East Africa, The Second World War, London, 1975, P. 183.

(٦٩) P. A. Farnie, The War for the Middle East, (1939–1945) East and West of Suez, P. 621.

على البحر الابيض المتوسط والتى تعتمـــد اساسا على السيطرة اولا على قناة السويس (٧٠) حيث يمكن التقدم الى ايران وروسيا ، ثم بين لحليفه كيف ان الايطاليين فوتوا فرص نجاح هـــذه الخطة فقد تورطوا فى اليونان وتعاقبت عليهم بعد ذلك هزائم اخرى .

وقد كان توقف الايطاليين فى سيدى برانى يعنى انهم سلموا طواعية المبـــادأة للبريطانيين الذين تحولوا الى الهجوم بعـــد ان الحق اسطولهم خسائر فادحة بالأسطول الايطالى فى معركة « ماتبان البحرية » وقد تمكنوا من هزيمة الجيش الايطالى فى معركة سيدى برانى فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٠ ثم طاردوا الايطاليين واستولوا على برقة آسرين نحو ١٣٠ الف ايطـــالى وبذلك زال الخطر مؤقتا عن مصر (٧١) .

تصفية المستعمرات الايطالية فى افريقيا :

بعـــد ابتعاد الخطر عن مصر وهزيمـــة الايطاليين فى سيدى برانى وجدت بريطانيا انه يمكن احراز نصر فى مسرح حرب شرق افريقيـــا البعيد يرفع من معنويات البريطانيين طالما انها لا تستطيع منازلة المانيا فى الجبهات الأخرى. لذلك قامت القوات البريطانية والهندية والأفريقية بالهجوم على المستعمرات الايطالية فى شرق افريقيا من السودان وكينيا .

ففى الشـــمال قام الجنرال بلات باختراق ارتريا واحتـــلال اسمرة ومصـــوع آسرا ١٥٫٠٠٠ ايطالى وفى الجنوب اســـتولى الجنرال كننجهام على الصـــومال الايطـــالى فى فبراير سنة ١٩٤١ آسرا ٢٠٫٠٠٠ جنـــدى ثم واصـــل كننجهام زحفه فى اتجاه اديس ابابا فدخلهـــا فى اليوم السادس من ابريل سنة ١٩٤١ (٧٢) وسلم الجيش الايطـــالى ثم عاد الحكم الوطنى الى اثيوبيا . بينما ظلت ارتريا والصومال الايطالى تحت الحكم العسكرى

---

(٧٠) Hasluk: The Second World War, London, 1947, P. 222.

(٧١) وزارة الحربيـــة : العمليات الحربيـــة فى شمال افريقيا : جـ ١ ، ص ٣٤ — ٨ .

(٧٢) Henri Michel. Op. Cit, P. 184.

البريطاني الى أن يبت فى أمرهما ، ثم خرجت ايطاليا من الحرب ووقعت هدنة مع الحلفاء فى ٣٠ اغسطس سنة ١٩٤٣ وبذا استعادت بريطانيا تفوقهـا فى البحر الاحمر وتخلصت من منافس خطر أوشك أن يحرمها من هذا التفوق فى سنة ١٩٤٠ . ومن المعروف ان ايطاليا تحولت فى السنوات الأخيرة من الحرب من حليف الى تابع ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت ايطاليا أسبق الدول المهزومة الى عقد الصلح مع الحلفاء وذلك فى فبراير سنة ١٩٤٧ . وقد نصت معاهدة الصلح على أن تتولى حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى التصرف النهائى فى المستعمرات الايطالية السابقة فى خلال سنة من تاريخ تنفيذ المعاهدة . ولما لم تتفق الدول الاربع احيل الموضوع الى الجمعية العامة وانتهى الأمر بتقرير حصول ليبيا على استقلالها قبل اول يناير سنة ١٩٥٢ كما تم الاتفاق على أن يتألف ارتريا فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥١ اتحادا فيدراليا مع اثيوبيا على أن يكون لحكومتها استقلال ذاتى . اما الصومال الايطالى فقد وضع تحت مجلس وصاية تراسه ايطاليا لمدة عشر سنوات تبدأ من ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٠ .

وفى أول يوليو سنة ١٩٦٠ استقل الصومال الجنوبى مكونا مع الصومال الشمالى الذى استقل فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٦٠ جمهورية الصومال .

وهكذا ظهرت قوى وطنية جديدة فى حوض البحر الأحمر كان أمامهـا أن تختار بين الشرق والغرب وتفتح بابا للتنافس الدولى من جديد مثلما فعلت اليمن الجنوبية .

الفصل الرابع

الصراع المصرى الاسرائيلى فى البحر الأحمر

اطماع اسرائيل فى النقب :

من قبل قيام دولة اسرائيل فكر الزعماء الصهيونيون فى كيفية الاتصال بالبحر الأحمر ذلك لأن مشروع التقسيم البريطانى الأول سنة ١٩٣٧ أخرج النقب من القسم اليهودي . ولما كان اولئك الزعماء يتوقعون منع مصر الملاحة الصهيونية فى قناة السويس فقد جاء من هنا اهتمامهم الشديد بالحصول على صحراء النقب ومن ثم على نقطة ساحلية على خليج العقبة تكون منفذا لهم الى البحر الأحمر وتمكنهم من الاتصال بآسيا وافريقيا . وهكذا جذب ذلك التقسيم نظر المخطط الصهيونى تجاه الجنوب ومن ثم شرع الصهاينة فى تنفيذ خطة لاقامة المستوطنات السياسية فى النقب . وتعتبر كيوتس « نجباه » التى تأسست سنة ١٩٢٩ النواة الأولى فى تلك الصحراء (١) .

وكان وادى بئر سبع يمثل اقصى امتداد للاستيطان الصهيونى فى اتجاه الجنوب حتى اعلان قيام دولة اسرائيل . وقد شهد ذلك الوادى سنة ١٩٤٣ ؛ تشييد أوليات المستعمرات وهى : بيت اشل وجفولوت ورفيفيم اما شمال النقب فقد وعى نشاطا استيطانيا على نطاق واسع خلال عامى ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ وقد نجح حاييم وايزمان فى اقناع الرئيس الأمريكى ترومان بأن تكون صحراء النقب من نصيب اسرائيل فى قرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ (٢) . واولوها اهتمامهم الذى اطرد اثناء الجولة العربية ــ الاسرائيلية الأولى اذ راوا فيها احلام اسرائيل فى المستقبل من حيث زيادة السكان والتنمية الزراعية وحل

---

(١) محمود توفيق محمود : الجغرافية السياسية لاسرائيل ، ص ٦٠ .

(٢) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مضايق تيران فى ازمة الشرق الأوسط ــ البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ؛ ص ٥٧١ .

مشاكل الدفاع على المستوى الاستراتيجي . وتوسعوا في تشييد المستعمرات في أرجائها حتى بلغت سنة ١٩٤٨ نحو ٢٧ مستعمرة الا أن مشروع التقسيم الدولي — كالمشروعات السابقة — انتهى الى طريق مسدود ؛ ولعل السبب في ذلك يرجع الى عدم وجود خطوط فصل واضحة بين المناطق اليهودية والعربية . وقد رأى الصهيونيون في القوة العسكرية الوسيلة الفعالة لفرض المنطقة اليهودية على الخريطة معتمدين على الدعم والتأييد الأمريكي وعلى حجم قواتهم العسكرية الذى قدرته الوثيقة البريطانية رقم ٦٨٧٣ من الكتاب الأبيض « الارهاب الصهيوني » الصادرة من وزارة المستعمرات البريطانية بنحو ٦٧٫٠٠٠ مقاتل بينما كان حجم القوات العربية التي احتشدت يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ نحو ١٤٩٢٦ مقاتل وهكذا كان التفوق الى جانب اسرائيل بنسبة ٤٫٤ : ١ .

المشروع العسكرى الصهيوني :

كانت المنطقة اليهودية المقترحة في تقسيم سنة ١٩٤٧ لا تشكل رقعة سياسية واحدة بل تشكل ثلاث مناطق تكاد تكون منفصلة وهى : الجليل الشرقي — السهل الساحلي الشمالي — السهل الساحلي الجنوبي والنقب مما يسهل قطعها لا سيما وانها ذات مساحات ضيقة ؛ لذلك هدف المشروع العسكرى الصهيوني أولا الى تجميع المناطق الفرعية في منطقة واحدة ثم رسمت القيادة العليا الاسرائيلية خطتها العسكرية لاغتصاب كل ما يمكن الاستيلاء عليه من أرض فلسطين على مراحل متتالية بأهداف متتالية . وقد تضمن المشروع شقا دفاعيا وآخر هجوميا وثالثا ارهابيا . ويهدف الشق الأول الى صد هجوم الجيوش العربية وتوريطها في معارك دفاعية لاستنزاف قواها تمهيدا لانتزاع المبادأة والتحول الى الهجوم . بينما هدف الشق الهجومي — بعد احراز التفوق — الى شل وتدمير الجيوش العربية واحدا بعد الآخر ونقل المعركة الى أرض العرب في حين كان الغرض من الشق الارهابي هو اشاعة الذعر بين عرب فلسطين لحثهم على النزوح عن أراضيهم وديارهم .

ومن هنا يتضح أن الخطط الاستراتيجية هدفت أولا الى تحقيق

السيطرة لاسرائيل على المنطقة المخصصة لهـا فى قرار التقسيم بالاضافة الى اجزاء اخرى من المنطقة المخصصة للعرب والدفاع عنها وعن المستعمرات اليهودية الواقعة خارج الحدود ثم الاستيلاء على كل فلسطين ثانيا ونقل المعركة الى الأراضى العربية .

وبانسحاب بريطانيا من فلسطين اعلن بن جوريون فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ قيام دولة اسرائيل . ودخلت الجيوش العربية الحرب لتخليص فلسطين من الصهيونيين واعادتها الى اصحابها الشرعيين وقد كان الهدف التعبوى للجيش المصرى هو تحرير القطـاع جنوب غرب فلسطين الممتـد من رفح والعوجة الى غزة وبئر سبع ثم الى يافا والرملة (٣) .

ولم تتمكن اسرائيل منذ بداية الحرب حتى الهدنة الثانية من السيطرة على صحراء النقب الا ان اسرائيل نفـذت بعدها ثلاث عمليـات هجومية أدت نتائجها الى احتـلال النقب الجنوبى وهى العملية « يؤاب » والعملية « حوريب » ثم العملية « عوغداه » .

اولا — العملية يؤاب (١٥ — ٢٢ اكتوبر ١٩٤٨) :

استولت القوات الاسرائيلية فى هـذه العملية على المواقع الرئيسية التى تضمن ايجاد اتصال برى ثابت بين شمال دولة اسرائيل والنقب (٤) .

وقد كان الهدف من العمليـة « يؤاب » هو القضـــاء على القوات المصرية فى الجبهة الجنوبية ورفع الحصار عن النقب الجنوبى . وقد حشد « ايجال آلون » لهذه العملية الهجومية ثلاثة الوية مشاة وقيادة لواء مدرع وكتيبة مدرعة وتبلورت خطته فى الهجوم على مرحلتين كالآتى : (٥)

---

(٣) وزارة الحربية . العمليات الحربية فى فلسطين ، ج ١ ، ص ٥١ — ٣ .
(٤) اهرون كوهين : اسرائيـل والعـالم العـربى (مترجم) ، ج ٢ ، ص ٧٤٨ — ٩ .
(٥) حسن البدرى ، الحرب فى أرض السلام ، ص ٣٨٤ .

المرحلة الأولى :

ويتم فيها شق الطريق عنو الى مستعمرات النقب المحاصرة خلال خط الجبهة المصرية واحتلال قطاع عراق سويدان — بيت جبرين .

المرحلة الثانية :

وتستولى فيها القوات الاسرائيلية على المجدل مع القيام بحركة تطويق واسعة نحو غزة بينما يضغط لواء مشاة اسرائيلى من قطاع النقب المحاصر شمالا لايقاع الهزيمة الساحقة بالقوات المصرية .

سير العمليات :

قامت القوات الاسرائيلية بالهجوم العنيف على المواقع المصرية ونجحت فى الاستيلاء على تبة الخيش وتقاطع الطرق والجليقات وبذلك فتح الطريق أمام مستعمراتهم فى الجنوب واصبحوا يهددون قواتنا تهديدا خطيرا ثم قطعوا طريق بيت جبرين — عراق المنشية وقد ادى ذلك الى حصار اللواء الرابع المشاة فى الفالوجا . ثم هاجم الاسرائيليون بئر سبع عاصمة النقب وبعد معركة استمرت خمس ساعات سقطت المدينة فى أيديهم صبحة يوم ٢١ أكتوبر ١٩٤٨ (٦) . وبذلك انتهت العملية الهجومية بتحطيم حلقة الحصار التى ضربها الجيش المصرى حول المستعمرات الاسرائيلية فى النقب وتمهيد الطريق أمام القوات الاسرائيلية لتتوغل فى صحراء النقب كما يحلو لهما .

واعتبارا من ٥ نوفمبر ١٩٤٨ لم يبق فى يد الجيش المصرى الا قطاع غزة — رفح والطريق الصحراوى الواقع بين العوجة وبير عسلوج بالاضافة الى قوة مصرية فى الفالوجا .

ثانيا : العملية حوريب (٢٢ ديسمبر ١٩٤٨ — ٧ يناير ١٩٤٩)

كانت تعتقد اسرائيل ان مصر هى الدولة التى لا تزال تقف عقبة كؤودا فى سبيل فرض سيطرة اسرائيل على منطقة النقب الجنوبى (٧) .

---

(٦) أهرون كوهين ، المصدر السابق ، ص ٧٥٠ .
(٧) نفس المصدر ، ص ٧٦٢ .

وعندما أبلغ كبير مراقبى الأمم المتحدة حكومة اسرائيل أن مصر ترفض اجراء مفاوضات حول الهدنة الدائمة طالما أن الجيش الاسرائيلى لم ينسحب الى خطوط الهدنة المؤقتة التى كانت قائمة قبل الخامس عشر من أكتوبر قررت حكومة اسرائيل أن تضع حكومة مصر أمام أحد أمرين : اما الهدنة الدائمة واما الحرب .

وفى ظهيرة الثانى والعشرين من ديسمبر ١٩٤٨ قامت قوات الجيش الاسرائيلى بالعملية « حوريب » بهدف القضاء على القوات المصرية فى فلسطين والاستيلاء على النقب كله واجبار مصر على التفاوض .

وقد وضعت خطة العملية على أساس تجنب الهجمات المباشرة واستخدام استراتيجية الاقتراب غير المباشر . لذلك استقر رأى الأركان العامة الاسرائيلية على القيام بحركة تطويق واسعة حول جناح القوات المصرية وطيه فى اتجاه الجنوب الغربى ثم شمالا فى اتجاه البحر المتوسط . حتى تصل الى ساحل البحر بين رفح والعريش لعزل القوات المصرية الرئيسية فى غزة .

وقد اعتمدت الخطة الاسرائيليةعلى توجيه الضربة الرئيسية الى محور « العوجة ــ العسلوج » على الجناح الشرقى مع تثبيت قوات محور « رفح ــ غزة » على الجناح الغربى بهجمات مخادعة قوية حتى تظنها القيادة المصرية الهجوم الرئيسى ، وبعد تصفية المقاومة الرئيسية على محور « العوجة ــ العسلوج » تندفع القوات المدرعة والميكانيكية فى اغارة خاطفة داخل سيناء عبر محور « أبو عجيلة ــ العوجة » ثم تتجه الى العريش شمالا لتهدد القاعدة الادارية الرئيسية فتحدث اضطرابا معنويا للقيادة المصرية قد يجبرها على سحب قواتها من محور « رفح ــ غزة » لا سيما بعد شن هجوم عنيف على رفح (٨).

ولاريب القيادات والقوات فى العمق الاستراتيجى والادارى المصرى

---

(٨) محمود عزمى . اسرائيل واستراتيجية الاقتراب غير المباشر ، السياسة الدولية ، العدد ٤٧ ، يناير ١٩٧٧ ، ص ١١٥ .

تشن قوة خفيفة اغارة خاطفة من « ابو عجيلة » تجاه مطار « بئر الحمة » على المحور الأوسط فى سيناء . ـى أن تقوم الطائرات الاسرائيلية بغارات جويه على « العريش » و « رفح » « خان يونس » وفى نفس الوقت تقوم قوات الكوماندوز البحرى باغارات على خط سكة حديد « العريش ـ رفح » مع قصف غزة من البحر بزوارق الطوربيد الاسرائيلية وذلك لتقوية اعتقاد القيادة المصرية بأن الهجوم المخادع على محور رفح ـ غزة هو الهجوم الرئيسى . وفى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٨ أعلنت قيادة الجبهة الجنوبية الاسرائيلية القضاء على كل من الذراع الشرقى والذراع الجنوبى للجبهة المصرية (٩) .

وقد أسفرت العملية « حوريب » عن تصفية محور العوجة ـ العسلوج وبذلك استطاعت اسرائيل الاستيلاء على النقب الجنوبى فيما عدا الفالوجا وقطاع غزة (١٠) ولم يبق أمام القيادة المصرية من اختيار سوى الانسحاب العام .

وقد استغلت بريطانيا فرصة عبور القوات الاسرائيلية الحدود المصرية لتظهر للمصريين حاجتهم اليها للدفاع عن اراضيهم فأبلغت اسرائيل عن نيتها فى تطبيق معاهدة الصداقة والتحالف المعقوده مع مصر عام ١٩٣٦ ولكنها لم تكن جادة بدليل أن القنصل البريطانى فى حيفا أبلغ الحكومة الاسرائيلية يوم ٤ يناير سنة ١٩٤٩ بأن بلاده لا تنوى محاربة اسرائيل .

وجدير بالذكر أن بريطانيا هى التى تبنت الدفاع عن قرار الانسحاب الاسرائيلى حينما اجتمع مجلس الأمن يوم ٢٩ ديسمبر واتخذت قرارا بأغلبية الثلثين يقضى بانسحاب اسرائيل الى ما وراء الحدود التى كانت قائمة فى ١٤ اكتوبر سنة ١٩٤٨ بينما امتنعت عن التصويت لصالح هذا القرار كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وأكرانيا مما شجع اسرائيل على عدم تنفيذ القرار . ومن جهة اخرى لم تكن مصر راغبة فى الاستفادة من معاهدة ١٩٣٦ لأن الشعب كان يلح آنذاك فى الغائها . لذلك فضلت الحكومة

---

(٩) حسن البدرى ، المصدر السابق ، ص ٤٢١ .
(١٠) محمود عزمى ، المصدر السابق ، ص ١١٧

المصرية قبول الوساطة الأمريكية والاستعانة بالأمم المتحدة لاجبار القوات الاسرائيلية على الانسحاب من الأراضي المصرية . وتحت تأثير الهجمات الجوية المصرية وبفضل نجاح القوات المصرية في صد الهجوم الاسرائيلي على العريش ورفح ونتيجة لوساطة بعض الدول الكبرى توقف القتال في ٧ يناير سنة ١٩٤٩ وانسحبت قوات اسرائيل الى الحدود المصرية الفلسطينية تقريبا باستثناء قطاع غزة (١١) .

ثالثا : العملية « عوفداه » (١٢)

قامت اسرائيل بالعملية «عوفداه » للحصول على منفذ الى البحر الأحمر بعدما فرضت سيطرتها على جنوب شرق النقب حتى عين حصب بالعملية « لوط » وقد خصصت القيادة الاسرائيلية لواءين من المشاه وبعض عناصر من لواء مدرع للوصول حتى شمال العقبة بينما خصص لواء مشاه للوصول الى جنوب البحر الميت . وبعد ان تأكدت الاركان العامة الاسرائيلية من أن القوات البريطانية المتمركزة حول مدينة العقبة لن تتدخل ضد قواتها وهى تندفع الى قمة الخليج وأن الفيلق الأردني سيتجنب الاصطدام بها أصدرت أوامرها ببدء العملية « عوافداه » فتحركت قوة خفيفة من القوات الاسرائيلية الى شاطىء الخليج عند أم الرشراش في الساعة الثالثة مساء يوم ١٠ مارس لتعلن اسرائيل على العالم أنها احتلت كل أجزاء النقب وضمته الى جسم الدولة باعتباره جزءا من القسم الاسرائيلي في قرار التقسيم . وهكذا استغلت اسرائيل الفاصل الزمني بين توقيع مصر على هدنة رودس وتوقيع الاردن عليها للاستيلاء على ذلك المثلث الحيوي الذى تمتد أضلاعه المتساوية فوق وادي عربة من جهة وحدود مصر من الجهة المقابلة وتقع قمته على رأس خليج العقبة في الجنوب ولتحتل قرية « أم الرشراش » على قمة خليج العقبة لتحولها فيما بعد الي ميناء ايلات برغم توقيعها المسبق على هدنة رودس مع مصر (١٣) في ٢٤ فبراير عام ١٩٤٩ .

---

(١١) د. صلاح العقاد : المشرق العربي المعاصر ، الأنجلو المصرية ، القاهرة . ١٩٧٠ ، ص ٤٦١ — ٢ .

(١٢) الأمر الواقع .

(١٣) حسن البدري ، المصدر السابق ، ٤٦٦

ولقد اثبت وسط الامم المتحدة الدكتور رالف بانش فى برقية بعث بها الى رئيس مجلس الامن بتاريخ ١٩٤٩/٦/١٨ بأن استيلاء اسرائيل على هذه المنطقة من شاطىء خليج العقبة قد تم خلافا لاحكام الهدنة . هذا بالاضافة الى أن القوات البريطانية فى العقبة ســـاعدت على الزام الطرفين بخط التقسيم الذى يسمح لاسرائيل بالامتداد الى خليج العقبة ويؤكد ذلك رواية عبد الله التل من ان جلوب كان متآمرا فى هذه القضية اذ أمره بســـحب القوة الأردنية الصغيرة التى كانت مرابطة فيها وبعدم التعرض للاسرائيليين حتى ولو بدأوا بالعدوان .

الصراع العربى الاسرائيلى وتطوره فى البحر الأحمر (١٩٤٨ — ١٩٧٣)

تمهيـــد :

دار الصراع العربى الاسرائيلى فى البحر الاحمر حول ثلاثة محـــاور : الأول خليج العقبة ومضايق تيران والثانى قناة السويس ثم أضيف اليهما محور باب المندب فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

وبالنســـبة لمضايق تيران فان القانون الدولى لا يفرض التزاما بفتح المضايق التى لا تصل بين بحرين عامين للملاحة الدولية أما اذا كانت موصلة ببحرين عامين فقد جرى العرف الدولى على فتحها للملاحة حتى ولو كانت تقع بين أراضى دولة واحدة وايدت محكمة العدل الدولية هذا العرف (١٤) .

وقد نصت المادة ١٧ فقرة ٤ من مشروع لجنة القانون الدولى ســـنة ١٩٥٦ على ما يلى : « يجب الا يمنع المرور البرىء للســـفن الأجنبية فى المضايق التى تستعمل عادة الملاحة الدولية بين قسمين من اعالى البحار ».

ولما كانت البلاد العربية المطلة على خليج العقبة تمتد مياهها الاقليمية حتى ١٢ ميلا ويتراوح عرض الخليج بين ١٢ — ١٧ ميلا فان هذا لا يعنى ان مياه الخليج تدخل ضمن مياهها الاقليمية وطبقا لمبادىء القـــانون الدولى

---

(١٤) د. محمد حافظ غانم وآخرون ، دراسة حول خليج العقبة ومضيق تيران ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨ .

فان الخليج يعتبر جزءا من البحار العالية أو البحر الاقليمى طبقا لمدخله (١٥)

وقد حاول وفد اسرائيل بمساعدة الوفدين الأمريكى والبريطانى عند مناقشة المادة المذكورة ان يجرى تعديلها لمصلحة اسرائيل بما يكفل لها حرية الملاحة فى مضيق تيران ولكنهم فشلوا .

الا أن مؤتمر البحار الدولى الذى عقد فى جنيف سنة ١٩٥٨ تناول موضوع المركز القانوني للمضايق حيث جاءت المادة ١٦ فى فقرتها الرابعة من اتفاقية جنيف للبحر الاقليمى فى المنطقة المتاخمة كما يلي :

« يجب عدم وقف المرور البرىء للسفن الأجنبية فى المضايق المستعملة للملاحة الدولية بين جزء من البحر العالم وجزء آخر من البحر العالم او البحر الاقليمى لدولة أجنبية .

وهنا نلاحظ التعديل الذى حدث فى الفقرة الرابعة من المادة ١٧ من مشروع لجنة القانون الدولى عام ١٩٥٦ نتيجة لضغوط اسرائيل ومؤيديها فى المؤتمر (١٦) لكى يخرج نص اتفاقية جنيف للبحر الاقليمى والمضايق بما يتلاءم مع مصلحتها لاسباغ صفة الشرعية على اعتبار مياه مضيق تيران وخليج العقبة مياها دولية تشكل طريقا بحريا دوليا .

اولا : الصراع بين العرب واسرائيل على خليج العقبة (١٩٤٨ — ١٩٧٣) :

أزعج مصر قيام ميناء اسرائيلى على خليج العقبة فاعلنت فى سنة ١٩٥٠ استمرار حالة الحرب بينهما وبين اسرائيل . وكانت مصر قد استأجرت جزيرتى تيران وصنافير السعوديتين بناء على اتفاق سعودى سنة ١٩٤٩ (١٧) ثم ضمتهما فيما بعد ومن ثم تمكنت من فرض حصار بحرى

---

(١٥) د. نبيل احمد حلمى ، الحدود الدولية وتطبيع العلاقات المصرية الاسرائيلية ، السياسة الدولية ، العدد ٥٧ ، يوليو ١٩٧٩ ، ص ٢١ .

(١٦) د. نبيل أحمد حلمى ، نفس المصدر ، ص ٢٠ .

(١٧) د. احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص ٥٧٢

على ايلات . وفى ٢٨ يناير سنة ١٩٥٠ اخطرت الحكومة المصرية السفير الأمريكى بأنها لا تنوى التدخل فى الملاحة السلمية ولكن حالة الحرب بين مصر واسرائيل ادت الى غلق خليج العقبة فى وجه اسرائيل وقد بين مندوب مصر فى الأمم المتحدة دوافع هذا التصرف أمام مجلس الأمن فى ١٢ مارس سنة ١٩٥٠ (١٨) وفى ديسمبر من نفس العام وضعت مصر قوة عسكرية ومدفعية ساحلية فى شرم الشيخ وراس نصرانى كما اعلنت ان خليج العقبة يشكل مياها عربية . وقد وسعت مصر هذا الحصار بحيث أصبح لا يقتصر على السفن الاسرائيلية فحسب بل يشمل ايضا السفن المتجهة الى ايلات التابعة لأية دولة أخرى (١٩) .

وقد ارسلت الحكومة المصرية منشورا فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٥٠ الى شركات الملاحة العالمية الأجنبية والبعثات القنصلية يتضمن الاجراءات الآتية :

١ — اذا حاولت سفينة حربية اسرائيلية ان تمر فى المياه الاقليمية المصرية بما فى ذلك مدخل خليج العقبة تطلق النيران فى مواجهتها لمنعها من المرور على ألا توجه القذيفة اليها مباشرة بغرض اصابتها الا اذا امعنت فى مخالفتها .

٢ — اذا حاولت سفينة تجارية اسرائيلية ان تمر فى المياه الاقليمية المصرية بما فى ذلك مدخل خليج العقبة الواقع بين جزيرة تيران وساحل سيناء فيكتفى بضبط هذه السفينة وحجزها دون مصادرتها واحالة أمرها الى مجلس الغنائم على أن تقوم بهذا الضبط السلطات المدنية الجمركية بمساعدات وحدات خفر السواحل .

٣ — على السفن الحربية المصرية المنوطة بالحراسة فى مدخل الخليج وكذلك محطات الارشادات بالبر سؤال السفن عن اسمها وجنسيتها ووجهتها طبقا للعرف الدولى فى هذا الشأن على أن يتم استعمال هذا الحق

---

(١٨) د. محمد طلعت الغنيمى ، « الغنيمى فى قانون السلام » منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ص ٨٨٩ .

(١٩) تيودور دراير ، اسرائيل والسياسة العالمية ، ص ١٨ .

بحيث لا يعوق حرية المرور البرىء عند مدخل خليج العقبة شمالا أو جنوبا (٢٠) .

وعللت مصر هذه الاجراءات بأن وجود اسرائيل على مسافة كيلومترات قليلة على خليج العقبة هو وجود عسكرى بحت لا تعترف به الدول العربية الثلاث (السعودية — الأردن — مصر) . وهذا الوجود يعد خرقا لأحكام الهدنة التى اقرتها الأمم المتحدة .

وقد اعترضت اسرائيل على الاجراءات المصرية واعلنت أن اتفاقية الهدنة لا تعطى لمصر اية حقوق فى اعلان حالة الحرب فى خليج العقبة ، ولقد صادف راى اسرائيل هوى من جانب الدول البحرية الغربية بالرغم من أن مضيق تيران لا يعتبر مضيقا دوليا حيث أنه لا يصل بين جزاين من اعالى انبحار بل هو يصل بين البحر الاحمر وبين مياه داخلية عربية هى مياه خليج العقبة (٢١) . ومن ثم فان الحكومة المصرية تفرض اشرافها ورقابتها على الملاحة فى المضيق حيث أن الأمر يدخل فى سلطتها وفقا للقانون الدولى . وكانت اسرائيل والدول الغربية البحرية تستند فى دعواها الى أن اتفاقيات رودس لا تعنى حالة الحرب انما هى تمهد السبيل لقيام سلام دائم فى فلسطين .

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ سعت اسرائيل الى النظام الجديد فى محاولة للوصول الى سلام دائم ولكنه سار على نفس الطريق الذى انتهجه العهد السابق بشأن موقف مصر من الدولة الصهيونية لا سيما بالنسبة الى خليج العقبة وقناة السويس .

لقد قامت مصر — تنفيذا للاجراءات التى اتخذتها — بمباشرة سلطاتها فى الرقابة على المرور فى خليج العقبة مرات عديدة وبالنسبة لسفن من جنسيات مختلفة ففى أوائل يوليو ١٩٥١ احتجزت السفينة البريطانية

---

(٢٠) د. حامد سلطان ، المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين ص ٤٦ .

(٢١) د. محمد حافظ غانم واخران ، المصدر السابق ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

« امباير روش » . كذلك جرى انذار وتفتيش السفينة الدانمركية « اندر باسبوى » فى ١٠ مارس ١٩٥٣ وايقاف السفينة البريطانية « عيلكا » فى ذات التاريخ والتحقق من جنسية السفينة الأمريكية « البيون » فى ١٩٥٣/١٢/٣ » (٢٢) . وقد تبودلت خطابات بين بريطانيا ومصر بشأن احتجاز السفينة البريطانية اقرت فيها بريطانيا بحق مصر فى الرقابة على الملاحة ووعدت بأن تبلغ السلطات المصرية مستقبلا عن جنسية السفن التابعة لها ووجهتها قبل ان تصل الى نقطة المراقبة المصرية منعا لتعريض السفن للزيارة والتفتيش (٢٣) . ومما لا ريب فيه أن اغلاق مضايق تيران فى وجه الملاحة الاسرائيلية كان ضربة فى الصميم لخطط اسرائيل الاقتصاديه ذلك لأن المخططين الاقتصاديين الاسرائيليين عولوا على فتح اسواق للمنتجات الاسرائيلية فى الدول المتخلفة فى افريقيا وآسيا . وفى سنة ١٩٥٣ كانت المفاوضات تدور بين الهند واسرائيل لعقد اتفاقية تجارية كما ان اثيوبيا اعترفت اعترافا كاملا بها . ومن الواضح أن اسرائيل لا تستفيد من هذه العلاقات الجديدة الا باستخدام مضيق تيران .

وقد سبقت مصر الى التسلل الاسرائيلى فى اسيا وافريقيا فأحكمت الحصار على اسرائيل فى سنة ١٩٥٣ بينما وافقت لجنة الهدنة على حظر الملاحة التجارية لأى من الطرفين المتنازعين فى المياه الاقليمية للطرف الآخر .

وبهذه الموافقة تأكد حق مصر فى منع السفن الاسرائيلية من الملاحة فى مضيق تيران وقناة السويس (٢٤) . وفى سنة ١٩٥٤ رفعت اسرائيل شكوى الى مجلس الأمن تدعى فيها بحقها فى الملاحة فى خليج العقبة وقناة السويس حتى صدر قرار لصالحها ولكن الاتحاد السوفييتى استخدم حق الفيتو فابطل مفعول القرار . وظلت اسرائيل ساكتة ولم يظهر رد فعلها تجاه

---

(٢٢) د. محمد حافظ غانم وآخرون ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .
(٢٣) د. صلاح العقاد ، تطور النزاع العربى الاسرائيلى (١٩٥٦ — ١٩٦٧) ص ٥٦ .
(٢٤) د. صلاح العقاد ، المشرق العربى المعاصر . ص ٤٩٢ .

هذا الموقف الا فى سبتمبر سـنة ١٩٥٥ حين صرح بن جوريون بانه اذا لم تمكن الأمم المتحدة من فتح مضـايق تيران أمام الملاحة الاسرائيلية فان اسرائيل سوف تعتمد على نفسها فى فتح هذا الممر الدولى بالقوة فى مدى ثلاثة عشر شهرا (٢٥) . وقد تصادف أن وقع العدوان الثلاثى بعد انقضاء هذه المدة وادى الى فتح المضايق أمام الملاحة الاسرائيلية .

وفى ديسمبر سنة ١٩٥٥ حصلت القيادة المصرية على معلومات مؤداها أن القوات الاسرائيلية بصدد تدبير هجوم على منطقة شرم الشيخ . وبنـاء على ذلك قامت القوات البحرية مع باقى افرع القوات المسـلحة بتعزيز الدفاع عن منطقة جنوب سـيناء ومضايق تيران حيث دفعت بمجموعة من الفرقاطات « دمياط » و « أبى قير » و « رشيد » ومعه امجموعة من لنشات الطوربيد الى قيادة خليج العقبة العسكرية لحراسة المنطقة بحرا ، وظلت هذه القوة البحرية تقوم بأعمال الحراسة فى خليج العقبة حتى ابريل عام ١٩٥٦ ثم عادت الى الاسكندرية عندما لم ينفذ العدو خطته (٢٦) .

وقد تطور الصراع العربى الاسرائيلى تطورا خطيرا فى عامى ١٩٥٥ - ١٩٥٦ حيث حاول جمال عبد الناصر أن يظهر لاسرائيل انه يسـيطر على البحر الأحمر بواسطة تحالفات عربية وكان هذا من بين الدوافع التى عجلت بالاتفاقات بين مصر والسعودية واليمن ولسنا بحاجة الى القول بأنها كانت ذات أهداف سياسية بحتة وأنها لم تكن تساوى شيئا من الناحية العسكرية العملية كما لم يظهر لها أى اثر عندما اضطرت مصر بعـد العدوان الثلاثى الى فتح مضيق تيران للملاحة الاسرائيلية ، بينما وقعت اسرائيل مع كل من بريطانيا وفرنسا اتفاقية سرية فى سيفر يوم ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٥٦ للعدوان على مصر . ولم يمض سوى ستة أيام حتى شنت اسرائيل هجوما شاملا على مصر ويقول « موشى ديان » : « كان هدف الاسرائيليين الاساسى من الحملة هو الاستيلاء على موقع شرم الشيخ المطل على مضايق تيران والذى يتحكم فى الطريق المؤدى الى ميناء ايلات الاسرائيلى وكانت هذه آخـر

---

(٢٥) د. صلاح العقاد ، تطور النزاع العربى الاسرائيلى ، ص ٥٧ .
(٢٦) جامعة الاسكندرية ، تاريخ البحرية المصرية ، ص ٧٥ .

المعارك واشتها وكسبها الاسرائيليون يوم ٥ نوفمبر » . ويمضى ديان الى حد القول بأن فشل اليهود فى الاستيلاء على شرم الشيخ كان يعنى خسارة الحملة بأكملها وقد برزت أهمية هذا الموقع عندهم فى تمسكهم الشديد به ورفضهم الانسحاب من سيناء دون ضمانات كافية بانهاء حصار ايلات (٢٧).

وكان لوقوف الدولتين العظميين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى الى جانب مصر أكبر الأثر فى انسحاب القوات المعتدية من الأراضى التى احتلتها عام ١٩٥٦ طبقا لقرارات الأمم المتحدة .

وقد وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على تشكيل قوات طوارىء دولية للفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية .

اخذت اسرائيل فى الانسحاب من سيناء على عدة مراحل ، فأتمت المرحلة الأولى الى ممرات سيناء فى ٢٢ ديسمبر بينما انسحبت فى المرحلة الثانية — بعد مماطلة — الى شرق العريش فى ٢٢ يناير ١٩٥٧ . ثم اتخذت اسرائيل موقفا متشددا ازاء القسم الجنوبى من سيناء الموازى لخليج العقبه وكذلك حيال قطاع غزة (٢٨) . اما بالنسبة لشرم الشيخ فقد أعلن بن جوريون أن تأمين الملاحة فى خليج العقبة يتحقق اساسا بتعهد السعودية ومصر والأردن واسرائيل بضمان حرية الملاحة وفى حالة عدم الوصول الى مثل هذا الاتفاق الجماعى يتحتم أن ترابط قوات الطوارىء على طول الشريط الساحلى وبعمق ٢٥ كم الى ان يتم الاتفاق مع مصر كما اقترح تجريد سيناء من السلاح .

وفى ١١ فبراير سنة ١٩٥٧ قدم جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية الى ابا ايبان سفير اسرائيل فى الولايات المتحدة الأمريكية مذكرة جاء فيها « من الواضح ان تمتع اسرائيل بحق المرور البرىء يتوقف على انسحابها اولا طبقا لقرارات الامم المتحدة .

وفى ٢٠ فبراير ١٩٥٧ كرر داويت ايزنهاور رئيس الولايات المتحده

---

(٢٧) تيودور درابر ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٢٨) د. صلاح العقاد ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ — ٩ .

الأمريكية علانية ان خليج العقبة يشكل مياها دولية وليس لأية دولة الحق فى منع المرور الحر البرىء فى الخليج .

وقد تم الاتفاق يوم ٢٧ فبراير عـــام ١٩٥٧ بين الولايات المتحدة واسرائيل على تأكيد حق اسرائيل فى المرور فى خليج العقبة . وقد أدى اتجاه الجمعية العامة المتزايد نحو مساندة مصر فى طلب انسحاب اسرائيل دون شروط مسبقة كذا الضغوط الأمريكية على اسرائيل فضلا عن ضمان الولايات المتحدة لحرية الملاحة فى مضايق تيران الى اصدار اسرائيل تصريحها باتمام الانسحاب من العقبة وغزة على لســــان وزيرة خارجيتها جولدا مائير فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى أول مارس سنة ١٩٥٧ (٢٩) . وقد ابرزت مسز مائير «ان اسرائيل ستعتبر التدخل بالقوة المسلحة فى مرورها فى خليج العقبة وعبر مضايق تيران اعتداء يخول لها ممارسة حقها الأول فى الدفاع عن النفس طبقا للمادة (٥٢) من ميثاق الأمم المتحدة واتخاذ جميع الاجراءات التى تراها ضرورية لضــــمان المرور الحر البرىء لســــفنها فى الخليج والمضايق » (٣٠) .

وبعد ان اعطت الولايات المتحدة الضمانات الشفوية لاسرائيل اصدرت بالاشتراك مع بريطانيا تصريحا علنيا ثم ايدته باجراء عملى بأن ارســــلت سفنا حربية وتجارية عبرت مضيق تيران فى اتجاه ميناء ايلات . وقد وافق جمـــال عبد الناصر على احلال قوات الطوارىء الدولة محل القـــوات الاسرائيلية فى شرم الشيخ وهو مدرك تمام الادراك ان ذلك معناه انتهـــاء حصار ايلات وان اصراره على استعادة مصر السيطرة على شرم الشــــيخ سوف يؤدى الى استمرار الاحتلال الاسرائيلى . وقد صرح السكرتير العام للامم المتحدة فى ٨ مارس ١٩٥٧ بأن قوات اسرائيل قد انســـحبت من شرم الشيخ وحلت محلها قوات الطوارىء الدولية . وقد اكتسبت اسرائيل بذلك حرية المرور عبر مضايق تيران مع نزع سلاح تيران وشرم الشيخ وراس نصرانى ومراقبة هذه المواقع بمعرفة قوات الطوارىء الدولية (٣١) . وقد

---

(٢٩) نفس المصدر ، ص ١٢١ — ٣ .

(٣٠) تيودور درابر ، المصدر السابق ، ص ٢١ — ٣ .

(٣١) د. محمد نصر مهنا ، مشكلة فلسطين والصراع الدولى (١٩٤٥ ١٩٦٧) ص ٨٢ .

نجم عن فتح خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية زيادة النشاط الاسرائيلى عبر البحر الأحمر انطلاقا نحو المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية مع بعض الدول الافريقية والاسيوية اذ كان قادة اسرائيل واعين تماما باهمية افريقيا وآسيا لكسر حاجز العزلة المفروض عليهم من العرب ولذا خططوا ونفذوا فى افريقيا سياسة بالغة الذكاء اعتمدت على تقديم المساعدات الفنية الفعالة التى صور فيها المجتمع الاسرائيلى على انه مجتمع حديث ذو سمات اشتراكية يواجه اقطارا عربية متخلفة ذات نظم حكم اقطاعية . كما تبنت اسرائيل ظاهريا سياسة معادية تجاه جنوب افريقيا وقد كتب شلو ارئيل — القائد السابق للبحرية الاسرائيلية — فى سنة ١٩٧٤ موضحا الاهمية الاستراتيجية للبحر الاحمر بالنسبة لاسرائيل فقال: « لا مبرر للاسهاب فى الحديث عن ضرورة المحافظة على حرية الملاحة فى منطقة البحر الاحمر والتى يتوقف عليها تصدير المعادن والأسمدة وتجارتنا الخارجية مع الشرق الأقصى واستراليا وشرق افريقيا . وتنطوى التطورات غير المتوقعة فى البحر الأحمر بعد استئناف الملاحة فى قناة السويس على مخاطر تصادم مع مصالحنا الحيوية ومحاولة زيادة عزلتنا فى هذه المنطقة .

اننا نملك القدرة التكنولوجية والبشرية كى تكون عنصرا مسيطرا فى البحر الأحمر . ان هذا البحر الذى كان فى الماضى نقطة ضعف لاسرائيل يمكن ان يتحول الى مجال مبادرة اسرائيلية وقت الحرب ولخلق تهديد لمؤخرة مصر وطرق ملاحتها . ان سيطرة مصر على قناة السويس تضع فى يدها مفتاحا واحدا فقط فى هذا الممر المائى اما المفتاح الثانى والأهم فبالامكان أن يوجد فى يد اسرائيل اذا عرفت كيف تطور التفوق البحرى فى منطقة البحر الأحمر وتحافظ عليه ونظرة الى خريطة تلك المنطقة تشير الى ان مصر مكشوفة وهى معرضة للضرب فى هذه المنطقة اكثر من اسرائيل (٣٢) .

ويعتبر القرن الأفريقى هو الميدان الأساسى لاسرائيل حيث انه يسيطر على المنافذ التجارية والاستراتيجية لاسرائيل فى افريقيا بل يمكن

---

(٣٢) أمل الشاذلى : الاطماع الاسرائيلية فى القرن الافريقى ، السياسة الدولية ، العدد ٥٤ ، ص ٥٢ .

القول ان القرن الافريقى هو مفتاح الوجود الاسرائيلى فى افريقيا . لذلك مارست اسرائيل دورا نشطا فى القرن الافريقى ضمن خطتها للتغلغل فى القارة الأفريقية كى تصبح للسفن الاسرائيلية تدم فى مواجهة الغلبة العربية على مياه البحر الأحمر . وقد بدات اسرائيل فى توثيق علاقاتها باثيوبيا منذ بداية اهتمامها بالبحر الأحمر وافريقيا وذلك بالنظر الى عدة اعتبارات تجعل من اثيوبيا الحليف الأكثر دواما . ولعل العنصر الأساسى فى هذا الاختيار هو ما رأته اسرائيل من وجود عناصر داخلية وخارجية تجعل من اثيوبيا اكثر دول المنطقة تخوفا من العرب بل وعداء لهم فهى من ناحية الدولة الوحيدة غير العربية التى تطل على البحر ومن ثم فان خلق علاقة قوية معها يشكل الضمان الوحيد دون تحول هذا البحر الى بحيرة عربية تهدد النفوذ الاسرائيلى . ومن ناحية أخرى فان الحركة التحررية فى ارتريا تشكل تهديدا خطيرا لكل من اثيوبيا واسرائيل مما يحبذ التنسيق والمشاركة بينهما فى مواجهتها . فارتريا هى المنفذ البحرى الوحيد لاثيوبيا وحركة التحرير فيها تحظى بتأييد واسع النطاق من الدول العربية واستقلالها يعنى تحول البحر الاحمر بالفعل الى بحيرة عربية .

ومن هنا احتلت اثيوبيا مكان الصدارة من اهتمام اسرائيل ومنذ أواخر الخمسينيات اطرد نمو العلاقات بينهما فى شتى المجالات فأقيمت عدة مشروعات مشتركة كما نشأ تعاون واسع فى مجالات التدريب والتجارة ولكن الميدان الأساسى والحقيقى للتعاون والتنسيق ظهر فى عمليات مقاومة الثورة الارترية حيث اقامت اسرائيل فى اثيوبيا مدارس للتدريب على مقاومة حرب العصابات كما دربت كثيرا من الكوادر الفنية فى أراضيها فضلا عن تزويدها اثيوبيا بكميات كبيرة من الأسلحة الاسرائيلية . ثم بدات منذ سنة ١٩٧١ فى العمل على تحقيق وجود عسكرى فعال فى المنطقة حين قام حاييم بارليف رئيس الأركان الاسرائيلى — آنذاك — بزيارة سرية لأثيوبيا اجرى خلالها مباحثات مع قائد البحرية الأثيوبية للتعاون العسكرى بين الجانبين ولم يؤثر قطع العلاقات الدبلوماسية كثيرا على هذه العلاقات. ولكن ما أثار الدهشة هو استمرار هذه العلاقات بعد تغيير النظام الاثيوبى وتحول اثيوبيا من التحالف مع الغرب الى توطيد علاقاتها بالاتحاد السوفييتى

والدول الاشتراكية . ومنذ بداية الاهتمام الاسرائيلى بأفريقيا كانت أهداف هذا الاهتمام واضحة ومحددة وتركزت فى ثلاثة اتجاهات : اهداف سياسية وأهداف اقتصادية وأهداف استراتيجية عسكرية .

ففى المجال السياسى سعت اسرائيل الى كسر الحصار العربى حولها والتغلب عليه من ناحية وتدعيم وضع اسرائيل الدولى واكتساب تأييد الرأى العام من ناحية أخرى بالاضافة الى محاولة استغلال وجود اسرائيل فى افريقيا لفرض قبول عربى بها وقد عبر احد الكتاب الاسرائيليين عن هذه الأهداف بقوله : « ان اسرائيل لا تقوم بعمل خيرى فى افريقيا . ان المصلحة الأساسية التى تنشدها هى تحطيم الحصار العربى وتوسيع علاقاتنا الدولية وان نجد محاورين صالحين يستطيعون نظرا لتمتعهم باحترام الطرفين ان يعملوا فى الوقت المناسب للتقريب بين اسرائيل والدول العربيـة » .

وقد تمكنت اسرائيل بفضل فاعلية سياستها الخارجية فى أفريقيا من ان تحصل على تأييد الدول الأفريقية بوجه عام لسياستها الخاصة بدعم الوجود الاسرائيلى والخروج من العزلة السياسية بعد ان اقامت علاقات مع عدد كبير من الدول الأفريقية لا سيما الواقع منها جنوب الصحراء .

ونتيجة لهذا كله استطاعت اسرائيل حتى عام ١٩٦٧ أن تحصل بصفة عامة على تأييد الدول الأفريقيـة لموقفهـا من الصراع مع العرب أو تتمكن على الاقل من تحييد هذه الدول .

أما فى المجال الاقتصادى فكان هدف اسرائيل الأساسى هو اقتناص الأسواق الأفريقية الواسعـة والأقرب الى اسرائيل ما دامت قد عجزت عن التغلغل فى الأسواق العربية ولذلك سارعت اسرائيل الى تبنى حركة تصدير واسعة للسلع والخبرات الفنية والبشرية علاوة على حركة استيراد للمواد الخام الأفريقية رخيصة الثمن والتى يسهل نقلها عبر البحر الاحمر .

وقد توسعت اسرائيل فى حجم تجارتها الخارجية مع الدول الأفريقية حيث عقدت اتفاقات تجارية مع بعض دول القارة مثل غانا والكمرون

وليبيريا وتوجو وساحل العاج كما أسهمت فى تكوين عـدة شركات تجارية متحدة متخصصة وبواسطة هـذه الشركات تم تقديم القروض والتسهيلات الائتمانيـة فى سـيراليون وغانا ونيجيريا وسـاحل العـاج كما أسهمت فى المشروعات الزراعيـة فى مالى وتنجانيقا كذلك استطاع الهستدروت أن ينشىء فرعا فى غانا يمارس فيه النشاط التجارى والاستيراد والتصدير وترويج السلع الاسرائيلية فضلا عن اشتراكه فى انشاء شركتى النجمـة السـوداء للمـلاحة والانشـاءات الاهليـة التى اشترت غانا حصـة اسرائيل فيهـا (٣٣) .

ويعتبر المجـال الاستراتيجى والعسـكرى احـد المفاتيح الأساسية للاهتمام الاسرائيلى بالقـارة الأفريقية لا سيما منطقـة القرن الأفريقى . فمن خلال خلق وجود قوى وراسـخ لهـا فى هـذه المنطقة تستطيع تحقيق هدفين رئيسـيين : أولا النفـاذ الى هـذه الدول التى تعتبر بمثابة العمق الاسـتراتيجى للدول العربية والتى يمكن انطلاقها منها والتسبب فى متاعب ضخمة للعـرب وتشتيت جهـودهم وانتباههم . وليس الدور الاسرائيلى فى اثارة النعرات الانفصالية فى جنـوب السـودان أو الدور الاسرائيلى فى ضرب ثورة ارتريا أو مناوأة الصومال سوى نماذج من هـذه الأساليب أما الهدف الاسـتراتيجى الثانى والأكثر اهميـة فهو تحقيق وجود عسكرى فعال ومسيطر فى البحر الأحمر لأهميته الحيوية لوجود اسرائيـل والحفاظ على أمنها (٣٤) .

وفى المجال العسكرى عقـدت اسرائيل اتفاقات لتصـدير الأسلحة والمعدات الاسرائيلية الى بعض الدول الأفريقية فضلا عن تدريب جيوشها والتعـاون معها فى اقامة المنشـآت العسكرية وتقـديم الخبرة والمشورة بالاضافة الى تبادل الزيارات لا سيما للقطع البحرية والبعثات العسكرية والاستفادة من التسهيلات البحرية فى موانىء ارتريا .

---

(٣٣) د. عبد العزيز رفاعى : مشاكل أفريقيا فى عهـد الاسـتقلال ، القـاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٩٨ — ١٠٠ .

(٣٤) أمل الشـاذلى ، المصدر السابق ، ص ٥١ .

كذلك كان البحر الأحمر يمثل الشريان الحيوى لامدادات البترول الايرانى لاسرائيل .

وقد دخلت حرية الملاحة فى خليج العقبة ضمن التقديرات الرئيسية لنظرية الأمن الاسرائيلية حيث أعلن ايجال آلون فى كتابه عن بناء الجيش الاسرائيلى بشأن ما حصلت عليه اسرائيل بعد حرب عام ١٩٥٦ : « ان الأمم المتحدة والدول الكبرى لم تقدم اية ضمانات واضحة وفعالة بأن مصر سوف تلتزم بهذه الترتيبات الى أجل غير مسمى . وقد يمكن القول ان الضمان الوحيد قد تمثل فى اعلان حكومة اسرائيل من جانب واحد انها سوف تعتبر اغلاق مضايق تيران سببا لقيام حالة الحرب . وفى هذه الحالة فانها تعتبر نفسها حرة فى ان ترد على ذلك بالقوة العسكريه اذا لزم الأمر » .

ومن هنا تبدو مصالح اسرائيل الحيوية فى ضمان حرية الملاحة فى مضيق تيران من والى ميناء ايلات . فالى جانب أهدافها المشار اليها عاتها ستخدمه كمنفذ لصادراتها البترولية من خط الأنابيب الواصل من ايلات الى عسقلان وكذلك فى انشاء الخط البرى بين ايلات وشمال اسرائيل (٣٥) الا ان الملك سعود أرسل كتابا الى الرئيس الأمريكى ايزنهاور يحتج فيه احتجاجا شديدا على موقف الولايات المتحدة وقد استند الى أن اسرائيل تتبع سياسه استفزازية ضد المسلمين فى شتى انحاء العالم .

وقد ساق عدة امثلة للتدليل على نوايا اسرائيل العدوانية كما أبدى انزعاجه الشديد على مصير الأماكن الاسلامية المقدسة قائلا ان استخدام اسرائيل للخليج قد يسد الطريق أمام الحجاج العرب ولكن ايزنهاور رد عليه بأن الولايات المتحدة تساند الوضع الدولى للخليج ومبدأ المرور البرىء (٣٦) وهكذا وقفت جهود الملك سعود عند هذا الاحتجاج .

وقد ظلت القيادة السياسية المصرية تتجاهل الهزيمة العسكرية

---

(٣٥) د. نبيل احمد على ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٣٦) Eisenhower, the waging peace, P. 190.

انتى حاقت بالوطن فى عام ١٩٥٦ وامتلأت زهوا بالنصر الزائف كما استبد بها خداع النفس لدرجة أنهـا أفردت يوم ٢٢ ديسمبر من كل عام ليكون عيدا للنصر ، وقد شكل هذا الاعتقاد مع التباطؤ فى تحليل نتائج حرب سنة ١٩٥٦ أحد أسباب هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ .

وبعد العدوان الثلاثى دخل الصراع العربى الاسرائيلى مرحلة جديدة يمكن وصفها بمرحلة الجمود اذ ان القوة العربية الوحيـدة القـادرة على المواجهة وهى مصر قبلت وضـع قوات طوارىء دولية ليس فقط فى شرم الشيخ بل على طول الحـدود المصرية الاسرائيلية المشتركة . وفى هـذه المرحلة ركزت اسرائيل على الحصـول على الأسلحة والمعدات وتطوير جيشـها لخدمة أمنهـا (٣٧) بينما انصرف عبد الناصر عن موضوع النزاع العـربى الاسرائيلى الى المؤامرات المتواليـة فى العـالم العـربى ودافع عن سياسته تلك على أساس نظرية تقول ان الوحدة العربية يجب ان تكون شرطا مسبقا على المواجهة بين العرب واسرائيل . وبناء عليه اعتبر الوحدة المصرية السورية خطوة فى هذا السبيل ومع هذا يلاحظ أن الحدود السورية الاسرائيلية كانت تتسم — علمة — فى عهد الوحدة بالهدوء باستثناء التوتر الذى صاحب معركة التوافيق فى فبراير سـنة ١٩٦٠ . وبذا يمكن القول ان الوحدة العربية تحولت من وسيلة الى هدف لخدمة الزعامة الناصرية ، كذلك جاء انفصـال سوريا طعنة لكبرياء عبد الناصر وجرحا غائرا فى هيبته الشخصية فجال ببصره فى أرجاء العـالم العربى بحثـا عن دواء ناجـع حتى وجده — للحظ العاثر — فوق جبال اليمن حيث أطاح انقلاب عسكرى بإمام اليمن فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ (٢٨) واعلن قادته اقامة الجمهورية فى البـلاد .

وقد أعترفت الجمهورية العربية المتحـدة بالنظام الجـديد فى اليمن

---

(٣٧) Ben Gurion, Years of Challenge. N.Y Holt Rienhart, Winston, 1963, P. 150.

(٢٨) Hart, Jane Smiley. "Basic Chronology for history of Yemen". Middle East Journal, 1963, P. 150.

وانزلق جمال عبد الناصر الى مهاوى التدخل العسكرى لصالح الجمهوريين وكان يأمل أن ينتهى الأمر فى فترة وجيزة ولكن الأمل أصبح سرابا نتيجة الاندفاع وسوء تقدير الموقف حيث استمرت الحرب ما يربى على خمس سنوات . وعلى امتداد هذه السنوات ومسرح الحرب فى اليمن يستنزف الجزء الأعظم من قدراتنا العسكرية وطاقاتنا السياسية والاقتصادية بينما تتأهب اسرائيل لجولة فاصلة تتحين لها الوقت والظروف المواتية وتعد لها القوات التى لم يكن يقف أمامها فى سيناء سوى فرقة مشاه واحدة لا تحظى من القيادة العليا الا بنذر يسير من العناية والاهتمام وتعلق كل المؤثرات المترتبة على ضغط المصروفات لمقابلة الاستنزاف الذى سببه مسرح اليمن .

لقد استنزف مسرح اليمن لفترة طويلة ما يزيد على ثلثى القوات العامله النظامية المتوفرة — آنذاك — لدى الجمهورية العربية المتحدة ويمثل هذا فى المفهوم العسكرى أن القيادة السياسية العسكرية اعتبرت هذا المسرح هو الاتجاه الرئيسى للقوات المسلحة لنحو خمس سنوات بينما العقيدة السياسية العسكرية للدولة تعتبر جبهة سيناء هى الأساس . لقد أدى هذا التعارض بين العقيدة والمفهوم الى اغفال التخطيط العلمى للجولة الحسمة ضد اسرائيل . واجمالا فقد شكل مسرح الحرب فى اليمن عبئا على الاستراتيجية المصرية (٣٩) أدى الى عدم الاهتمام بجبهة سيناء بل ان الفترة السابقة على حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، شهدت تحولا عن العقيدة السياسية العسكرية للدولة حيث أرسلت مصر قوات الى الجزائر فى خريف عام ١٩٦٢ لمساندتها فى حربها ضد المغرب كما دفعت بقوة مسلحه الى العراق فيما بين عامى ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ لحماية نظام حكم عبد السلام عارف ، وهكذا تشتت جهد القوات المسلحة بين الاتجاهات المختلفه دون طائل .

هذا بالنسبة للوضع العسكرى اما بالنسبة للوضع السياسى فقد تدهورت علاقات عبد الناصر بالغرب لا سيما الولايات المتحدة

---

(٣٩) مركز دراسات التاريخ العسكرى ، مجموعة وثائق حرب ١٩٦٧

حتى وصلت عام ١٩٦٦ الى نقطة اللاعودة لدرجة أصبحت معها ضمانات الولايات المتحدة لاسرائيل بشأن حرية الملاحة فى خليج العقبة غير ذات موضوع فى حين توطدت علاقات عبد الناصر بالاتحاد السوفييتى مما عرض المشرق العربى للحرب الباردة . فقد اعتقد الرئيس الأمريكي ليندون جونسون أن جمال عبد الناصر يتحدى النفوذ الأمريكي فى الشرق الأوسط ويستعدى الشعوب العربية على السياسة الأمريكية مما حدا بجونسون أن يعلن مرارا أن الولايات المتحدة تؤازر اسرائيل وأنهما لن تقف مكتوفة اليدين اذا ما هوجمت الدولة اليهودية .

وفى يوليو سنة ١٩٦٦ أعلن ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل أن الولايات المتحدة الأمريكية أكدت له أنها ستحافظ على توازن القوى فى الشرق الأوسط مما يشكل ثورة فى التفكير الأمريكي (٤٠) . وبمرور الزمن داخل عبد الناصر شعور بأن الولايات المتحدة وحلفاءها بصدد شن هجوم مضاد يستهدفه وغيره من زعماء التحرير الوطنى فى العالم الثالث .

ولمجابهة الموقف الأمريكي الجديد وقع عبد الناصر فى ٤ نوفمبر عام ١٩٦٦ معاهدة دفاع مشترك مع سوريا بهدف منعها من اعطاء اسرائيل الذريعة لاشعال الحرب . ولكن اسرائيل — بعد توقيع المعاهدة — اخذت فى تصعيد الموقف حتى بلغ ذروته بقيامها باغارة كبيرة يوم ١٣ نوفمبر على قرية السموع الأردنية أدت الى قيام مظاهرات فى مدن الضفة الغربية ضد الملك حسين لكبحه جماح منظمة التحرير الفلسطينية ولمنعها من الدفاع عما تبقى من فلسطين . ومنذ ذلك الوقت اخذت وسائل الاعلام الأردنية والسعودية تهاجم جمال عبد الناصر وترميه بانه يطلق نداءات الحرب ضد اسرائيل بينما هو يحتمى وراء قوات الطوارىء الدولية ويسمح لاسرائيل بالملاحة فى خليج العقبة دون أن يعلم الشعب المصرى بذلك .

ومضت اسرائيل فى تصعيد الموقف لا سيما على الجبهة السورية

---

(٤٠) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مضايق تيران فى ازمة الشرق الأوسط ، البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، ص ٥٧٧ م

حيث دار قتال جوى بين الطائرات الاسرائيلية والطائرات السورية التى فقدت حوالى ست طائرات (٤١) .

ومنذ اوائل مايو عام ١٩٦٧ علت نغمة التهديدات الاسرائيلية لسوريا بما فى ذلك احتلال دمشق . وفى هذه الأثناء ابلغ الاتحاد السوفيتى كلا من مصر وسوريا بأنه حصل على معلومات مؤكدة مفادها أن اسرائيل تحشد قواتها للقيام بعملية هجومية خاطفة ضد سوريا . وعندما انتصف نهار ١٤ مايو سنة ١٩٦٧ نوجئت القوات المسلحة برفع استعدادها الى درجة الاستعداد الكامل للقتال وتنفيذ التعبئة (٤٢) وبدأ حشد القوات فى سيناء منذ ١٥ مايو نتيجة معلومات خاطئة عن حشود اسرائيلية امام جبهة سوريا وفى نفس اليوم صدر قرار سحب قوات الطوارىء الدولية من مواقعها بما فى ذلك شرم الشيخ واصبحت المشكلة الرئيسية هى مشكلة مضيق تيران اذ انه بعد تنفيذ هذا القرار لن يجد جمال عبد الناصر ذريعة تمنعه من الاستيلاء على شرم الشيخ التى تشرف على مضيق تيران . وقد أوفدت القيادة العليا الفريق محمد فوزى رئيس أركان حرب القوات المسلحه المصرية — آنذاك — الى سوريا لاستطلاع الموقف فى الجبهة السورية والتأكد من صحة الحشود الاسرائيلية الا انه لم يجد اثرا لتلك الحشود وقد ابلغ القيادة العليا بذلك . كذلك رفع مصدر مسئول بالمخابرات الحربية المصرية تقريرا يتضمن عدم وجود حشود اسرائيلية فى منطقة الحدود السورية واحتمل التقرير أن تكون الأزمة ناشئة عن خطة خداعية واوصى بترقب الموقف والانتظار لحين وصول معلومات مؤكدة كما أكدت الاشارات الواردة الى القيادة العربية الموحدة هذا المعنى(٤٣) فضلا عن تقارير مراقبى الهدنة الا أن ذلك لم يكن كافيا للقيادة السياسية كى تراجع نفسها وتعيد تقدير موقفها .

وفى ٢٢ مايو ١٩٦٧ اعلن الرئيس جمال عبد الناصر اثناء زيارته لمركز

---

(٤١) نفس المصدر ، ص ٥٧٨ .
(٤٢) مركز دراسات التاريخ العسكرى ، مجموعة وثائق حرب ١٩٦٧ .
(٤٣) نفس المصدر .

القيادة المتقدم للقوات الجوية نبأ اغلاق مضيق تيران . ونتيجة لصدور هذا القرار السياسي دون الاعداد العسكري المسبق له فقد تم دفع قوة من المظليين جوا الى شرم الشيخ ودعمها في الأيام التالية مع ارسال قوة بحرية لمنع السفن الاسرائيلية أو التي تحمل مواد استراتيجية او بترولا لاسرائيل من المرور في خليج العقبة . ثم صدرت تعليمات اغلاق خليج العقبة فقفزت بالأزمة الى وضع بلغ الحرج اذ نصت فقرتها الأخيرة على : (٤٤)

« ٧ — يصرح بالمرور للسفن التي تحرسها سفن حربية ولا يتم الاعتراض او الاشتباك مع السفينة او السفينة الحربية (حتى ولو كانت السفينة المحروسة ترفع العلم الاسرائيلي) » .

وكان معنى هذه التعليمات هو السماح للعلم الاسرائيلي بالمرور امام القوة العسكرية المصرية بعد أن كان مروره امام قوة الطوارىء الدولية .

وفي اسرائيل اعتبرت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية هذا الاجراء عملا من أعمال الحرب لا يقتصر على مجرد فقد حرية الملاحة في مضيق تيران فحسب بل رات ان هذا الاجراء سوف يفقد اسرائيل قدرتها تماما على الردع .

لقد اتخذ جمال عبد الناصر قرار اغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية على الرغم من ان المسئولين الاسرائيليين اكدوا ان اسرائيل تدخل الحرب حتما اذا ما تعرضت ملاحتها في خليج العقبة للحصار البحري (٤٥) . وقد تردد ذلك جليا في كتاب يوميات معركة سيناء للجنرال موشي ديان كذا في تصريحات وكتابات بن جوريون .

لذا فان اغلاق خليج العقبة قد أعطى اسرائيل الذريعة والمبرر امام

---

(٤٤) نفس المصدر .

(٤٥) نفس المصدر .

الرای العام العالمی لشن العدوان فی الوقت الذی لم نکن فیه مستعدین لصد هذا العدوان وردع المعتدی لا سیما وقد کانت لنا قوات فی الیمن تبلغ نحو ثلاثین الف مقاتل . ویؤکد هذا المعنی تصریح لیفی اشـکول رئیس وزراء اسرائیل امام الکنیست لیلة ٢٣ مایو ١٩٦٧ بانه یعتبر اغلاق خلیج العقبة بمثابة عدوان علی اسرائیل کما یؤکد ذلك ایضا ابا ایبان وزیر خارجیة اسرائیل فی الجمعیة العامة للأمم المتحدة عندما سـئل عمن بدأ العدوان بقوله « ان الرصاصة الأولی قد انطلقت یوم اغلاق خلیج العقبة » .

وفی یوم ٣٠ مایو ١٩٦٧ وقعت اتفاقیة دفاع مشـترك بین مصر والأردن وبذلك وحدت القیادة المصریة — السوریة — الأردنیة وترتب علی هذا التغییر الحاد فی الموقف السیاسی الاستراتیجی فی صالح الدول العربیة ان شکلت وزارة حرب اسرائیلیة وفرضت التعبئة الشاملة فی اسرائیل فی اول یونیو ١٩٦٧ (٤٦) وصـدق مجلس الحرب الاسرائیلی علی الأهداف السیاسیة والعسکریة للجولة القادمة ووافق علیها مجلس الوزراء مساء نفس الیوم .

ولکن برغم انشاء القیادة العربیة الموحدة وعقد مصر اتفاقات دفاع مشترك مع سوریا والأردن ثم العراق فی ٤ یونیه ١٩٦٧ فقد کان التنسیق الاستراتیجی علی الجبهات العربیة واهیا وشدید الضعف علی الرغم من أن الأوضاع الجغرافیة العسکریة الممتدة من العقبة جنوبا الی بحیرة طبریة شمالا تشکل مزایا استراتیجیة وتعبویة کثیرة امام ای جهاز عسـکری مشترك یخطط ویدبر اعمال القتال علیها وأنه باسـتغلال هذه المزایا یمکن شـل قدرات العدو القتالیة وتهدید قلب دولته .

وأخذت عجلة الحرب تندفـع الی الأمام بسرعة فاجتمعت الحکومة الاسرائیلیة الجدیدة یوم ٤ یونیو ١٩٦٧ وأعلن المجلس قراره بشن الحرب فی صباح الیوم التالی . ولم تمض ٢٤ ساعة حتی بدأت اسرائیل الحرب .

وهکذا انقلبت المظاهرة العسکریة المصریة الی کارثة قومیة کبری

---

(٤٦) نفس المصدر .

وكان من نتائج الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة ان ضمنت اسرائيل حرية حرية الملاحة فى خليج العقبة كما عطلت الملاحة فى قناة السويس .

وقد اكتسبت اسرائيل نتيجة انتصارها العسكرى فى حرب يونيه ١٩٦٧ ، نفوذا قويا فى الدول الافريقية بعد ان فقد العرب كثيرا من وزنهم السياسى ومكانتهم الدولية وبعد ان اساءت تلك الهزيمة القاسية اساءة بالغة الى مصر باعتبارها القوة الوطنية الكبرى التى يقع عليها مسئولية الدفاع القومى فى الصف الأول .

وقد استغلت اسرائيل هذه الفرصة لاستقطاب الرأى العام الافريقى الى جانبها والطعن فى زعامة مصر وتشويه الوجه العربى ومحاولة طمس القضية العربية وقد حققت اسرائيل بعض النجاح وكان أول بوادره اتخاذ الكثير من الدول الافريقية مواقف اقل تأييدا للجانب العربى الأمر الذى منع الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الطارئة عام ١٩٦٧ من اتخاذ قرار بشأن الانسحاب الاسرائيلى من الأراضى العربية المحتلة مما شكل صدمة للجانب العربى . ولذلك تغيرت تكتيكات المواجهة العربية لاسرائيل فى افريقيا على نحو ساعد على تزايد الادراك الافريقى لحقائق الصراع العربى الاسرائيلى فى اطار المصالح والعوامل المؤثرة . وبعد حرب عام ١٩٦٧ سعى العرب الى اقناع الافريقيين بانهم يشتركون معا فى تاريخ الاستغلال الاستعمارى من جانب قوى امبريالية تعد اسرائيل امتدادا واداة قوية لها وكانت مؤتمرات منظمة الوحدة الافريقية سببا رئيسيا فى تغيير النظرة الافريقية للقضية العربية وكانت اول بوادر التغيير فى مؤتمر القمة الافريقى فى زائير الذى عقد فى سبتمبر سنة ١٩٦٧ . وقد أدى مؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الافريقية المنعقد فى اديس ابابا فى الفترة من ٢٧ — ٢٩ مايو ١٩٧٣ الى قطع ثمان دول افريقية علاقاتها باسرائيل بالاضافة الى غينيا وعشية اندلاع حرب اكتوبر ١٩٧٣ قطعت أثيوبيا علاقاتها الوثيقة باسرائيل .
وهكذا سار خط التضامن العربى الافريقى من اجل القضاء على النفوذ الصهيونى فى افريقيا وهزيمة اسرائيل فى مخططاتها السياسية والاقتصادية ولم يشذ عن الاجماع الافريقى سوى جنوب افريقيا وروديسيا

كذلك زادت حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ من التقارب بين العالم العربى وافريقيا وقد تمثل هذا التقارب فى دعم النواحى الثقافية والاقتصادية كما وقفت الدول العربيـة المنتجة للبترول من الدول الافريقيـة المؤيدة للعرب موقفا مشرفا يقوم على الاخلاص والتعاون هذا بالاضافة الى مبادرة الدول العربية الى تقديم كافة الخبرات اللازمة من اطباء ومهندسين ومعلمين كما انشأت بنكا عربيا أفريقيا لتمويل كافة المشروعات اللازمة للدول الافريقية حتى لا تتأثر بنتيجة قطع علاقاتها باسرائيل .

ومنذ انتهاء الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة سعت الدول الكبرى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا الى تسوية تشمل المسائل الرئيسية التى يتضمنها النزاع العربى الاسرائيلى ومنها انهاء حالة الحرب وحرية الملاحة . وكانت المحاولة الأساسية للتوصل الى التسوية المرجوة تعتمد على القرار رقم ٢٤٢ الذى أصدره مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ وكان مما اكده ضمان حرية الملاحة فى الممرات الدولية الاقليمية. وقد تضمنت المقترحات التى تقدم بها وزير الخارجية الأمريكية لتسويه النزاع العربى الاسرائيلى وضع قوات دوليه فى شرم الشيخ على الا يجوز سحبها الا بقرار من مجلس الأمن أو الجمعية العامة للأمم المتحدة .

ولكن اسرائيل اثارت مسـألة ضرورة تمركز قواتها فى شرم الشيخ فرات الولايات المتحدة انه يجب أن تتم عملية التوصل الى اتفاق وتحقيق تسوية سلمية تحظى بقبول الطرفين عن طريق التفاوض المباشر .

وفى ٩ نوفمبر ١٩٦٩ قدمت الولايات المتحدة مشروعا لتسوية الأزمة كان فيما تضمنه ترك مصير غزة وشرم الشيخ لمفاوضات تجريها مصر مع اسرائيل ولكن عبد الناصر رفض المشروع .

وفى ٢٥ يونية ١٩٧٠ اعلن وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكية عن مبادرته بشأن وقف اطلاق النار والتوصل الى تسوية سـلمية بين مصر واسرائيل . وقد تضمنت المبادرة بنودا منها ان تحدد الاتفاقية النهائية مناطق منزوعة السلاح واجراءات معينة فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية الملاحة فى مضايق تيران .

واذا كانت مبادرة روجرز قد انهت مرحلة الاستنزاف فانها فشلت فى التمهيد لتسوية شـاملة بسـبب تعنت اسرائيل واصرارها على الاحتفاظ بالاراضى التى احتلتها فى عام ١٩٦٧ .

وبعد أن احتلت اسرائيل شرم الشيخ انشات طريقا بريا سـاحليا يوصل بين سيناء — ايلات وشرم الشيخ واخذ المسـئولون الاسرائيليون يصرحون بعزمهم على الاحتفاظ بشرم الشيخ ومن هذه التصريحات ما قاله موشى ديان فى مارس ١٩٧١ « ان وجود شرم الشيخ فى يد اسرائيل بدون سلام افضل من سـلام بدون شرم الشيخ وذلك لاعتبارات اسـتراتيجية وعسكرية واقتصادية تدور حول امن اسرائيل وعلاقتها بدول المنطقة » . كذلك تصريح شيمون بيريز فى مارس ١٩٧١ » لن يكون هناك سلام حقيقى اذا لم تظل شرم الشيخ والمنطقة التى حولها تحت سيطرة اسرائيل . حتى ولو وضعت قوة دولية فى شرم الشيخ فماذا سيحول دون اغلاق العـرب للملاحة فى البحر الاحمر جنوب شرم الشـيخ وهل يتعين على القـوات الاسرائيلية فى هذه الحالة ان تظل بدون رد فعل من جانبها ؟ » . كما صرح ايجال آلون فى نفس التاريخ « بأن اسرائيل تحتاج فى الجنوب الى نقـاط استراتيجية ضرورية لضمان حرية الملاحة فى مضيق تيران حتى ايلات » .

كما أعلنت جولدا مائير فى خطابها امام المؤتمر الوطنى لحزب العمـل الاسرائيلى الحـاكم يوم ٤ ابريل ١٩٧١ أن اسرائيل لن تتخـلى عن شرم الشيخ كما اسـتبد بها الشـطط فقالت اننا ندرك اهمية قناة السـويس بالنسبة لمصر ولكن مصر يجب أن تدرك اهمية شرم الشيخ لاسرائيل ، ان شرم الشيخ لا اهمية لها بالنسبة لمصر . ولكنها مهمة بالنسبة لنا ولاتصالاتنا البحرية مع الشرق » .

وقد بات واضحا انه لا يمكن التوفيق بين الاطماع الاسرائيلية فى شرم الشيخ والسيادة المصرية عليهـا بالرغم من ان مصر فى ردها على مذكرة جونار يارنج — التى قدمها يوم ٨ فبراير عـام ١٩٧١ — قبلت التعهـد « بضمان حرية الملاحة فى مضايق تيران وفقا لمبادىء القانون الدولى والقبول

بوضع قوة سلام دولية فى شرم الشيخ » (٤٧) .

وبعبارة اخرى العودة الى ما كان عليه الوضع عام ١٩٦٧ بل ربما كانت مصر فى هذه المرحلة مستعدة لمنح قوات الطوارىء الدولية نفس الامتيازات التى كانت لها سنة ١٩٦٧ غير ان التصريحات الاسرائيلية المشار اليها كانت كافية لتدل على مدى تشبث اسرائيل بهذا الموقع .

الصراع العربى الاسرائيلى على قناة السويس (١٩٤٨ — ١٩٧٣) :

تعتبر قناة السويس المحور الثانى للصراع العربى الاسرائيلى فى البحر الأحمر . فمنذ قيام دولة اسرائيل فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ودخول مصر حرب فلسطين فى اليوم التالى اتخذت مصر اجراءات وقائية للمحافظة على قناة السويس كجزء من الوطن المصرى ولم تعرقل القاعدة البريطانية المجاورة هذه الاجراءات ولما كانت مصر تمارس سيادتها على قناة السويس طبقا لأحكام القانون الدولى العام ونصوص معاهدة القسطنطينية فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨ فقد صار لها حقوق البلد المحارب فى منع مرور عدوها فى قناة السويس .

ومنذ بدء القتال اعلنت مصر الاحكام العرفية وباشرت فى القناة حق الدول المحاربة من زيارة وتفتيش . وفى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ صدر الأمر العسكرى رقم (٥) متضمنا نظام تفتيش السفن فى ميناء الاسكندرية وبور سعيد والسويس ثم صدر الأمر العسكرى رقم (١٣) مكملا له ونص على منح ادارة الجمارك سلطة الوقوف على محتويات البضاعة المنقولة ونوعها لضمان عدم وجود مفرقعات او بضائع من اى نوع تكون مرسلة الى هيئات او اشخاص مقيمين فى فلسطين فاذا وجد ضمن الحمولة شىء من ذلك فانه يصادر بأمر السلطة المنوط بها تنفيذ الأحكام العرفية (٤٨) وفى ٨ يوليو ١٩٤٨ اصدر الحاكم العسكرى الأمر رقم (٣٨) الخاص بانشاء مجلس للغنائم فى الاسكندرية على ان يطبق المجلس فى مواد الغنائم قواعد

---

(٤٧) د. عبد العظيم رمضان ، تاريخ قيام وسقوط مبادرة بارنج . الطليعة ، ابريل ١٩٧٣ .

(٤٨) د. مصطفى الحفناوى ، قناة السويس ، ج ٣ ، ص ٣١١ .

القانون الدولى العام ويدخل فى عداد الغنائم جميع السلع أيا كانت طبيعتها التى ترسل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الى هيئات أو أشخاص يقيمون فى فلسطين ويكون الغرض منها تقوية المجهود الحربى الصهيونى فى الحرب الدائرة فى فلسطين وأن تكون هذه البضائع قد جرى ضبطها بمعرفة السلطات البحرية أو مصلحة الجمارك أو خفر السواحل فى الموانىء المصرية أو فى المياه الاقليمية المصرية أو فى أعالى البحار وان يكون ذلك قد حدث اثناء سير العمليات الحربية فى فلسطين (٤٩) . وقد نص الأمر العسكرى على أن تصادر بمجرد ضبطها ودون حاجة الى عرضها على مجلس الغنائم السفن الحربية والسفن التجارية المملوكة للصهاينة الفلسطينيين . وقد ثبت أن اجراءات التفتيش والضبط كانت تجرى بالغ الحكمة وضبط النفس وروح التسامح بل كانت الحكومة المصرية تسرف أحيانا فى الحذر واللين والتخاذل وترفع الخطر عن سلع كثيرة (٥٠) واستمرت مصر فى مباشرة الحقوق بعد توقيع إتفاقية الهدنة فى فبراير سنة ١٩٤٩ فعارضت دول كثيرة هذا التصرف من بينها بريطانيا وأمريكا وفرنسا وقد اعتبرت اعتراض مصر للامدادات التى ترسل الى اسرائيل لا سيما البترول والأسلحة والذخيرة والمواد الحربية خرقا لشروط اتفاقية الاستانة التى ضمنت حرية المرور فى القناة أمام سفن الدول فى أوقات السلم والحرب .

وقد ذهبت بريطانيا الى حد الاحتجاج على هذه الاجراءات مدعية أن هدنة رودس قد أنهت مسوغات هذه الاجراءات وزاعمة أن مصر قد خرقت معاهدة القسطنطينية التى عقدت فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ وقد زادت هذه الحوادث من سوء العلاقات المصرية البريطانية الا أنه بانتهاء حالة الحصار تحسن الموقف وسمح للمنتجات التجارية العادية والمواد الغذائية المتجهة الى اسرائيل باستعمال الموانىء المصرية .

بيد أن بريطانيا والدول الغربية تجمعت فى محاولة للضغط على مصر لانهاء حالة الحرب بينها وبين اسرائيل ولو بشكل غير مباشر وذلك بترك السلع الحربية المهربة تصل الى اسرائيل محمولة على سفن دول محايدة

---

(٤٩) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مشكلة قناة السويس (١٨٥٤ ١٩٥٨) ص ٨٣ — ٤ .

(٥٠) د. مصطفى الحفناوى ، المصدر السابق ، ص ٣١٣ — ٤ .

تمر فى قناة السويس او خليج العقبة ، ولما فشلت بريطانيا لجأت الى مجلس الأمن وعرضت عليه النزاع للمرة الاولى فى يوليو سنة ١٩٥١ فأصدر قرارا يطالب مصر بالسماح لاسرائيل بالملاحة فى قناة السويس الا ان مصر لم تعبأ بهـذا القرار ، ثم اثارت اسرائيـل النزاع مرة اخرى امام مجلس الامن فى فبراير عام ١٩٥٤ حيث بدىء فى مناقشة الموضـوع فى جلسة ٥ فبراير وفى ١٩ مارس سـنة ١٩٥٤ تقدمت نيوزيلندا باقتراح يتضمن ابداء الأسف لان مصر لم تنفـذ قرار اول سبتمبر سنة ١٩٥١ كذلك مطالبة مصر بتنفيذ التزاماتهـا التى نص عليهـا ميثاق الأمم المتحـدة كما طالبت باحالة الأمر الى لجنـة الهدنة المختلطة بشأن تنفيـذ قرار اول سبتمبر سنة ١٩٥١ . وفى جلسة ٢٩ مارس صوت المجلس على المشروع فظفر الاقتراح النيوزيلندى بموافقة ثمانية اعضاء ومعارضة اثنين هما روسيا ولبنان وامتنعت الصين عن التصويت .

وهـكذا اذعن مجلس الأمن للقـوى الكبرى واسرائيـل وتخـلى عن الفضائل والأخلاق . وكانت السلطات المصرية قد اعتقلت عام ١٩٥٥ سفينة اسرائيلية صغيرة اسمها « بات جاليم » تجاسرت على دخول المياه الاقليمية المصرية فرفعت اسرائيل شـكوى الى مجلس الأمن وعنـد نظر الشـكوى اعلنت مصر انها اخلت سـبيل البحارة بينما احتفظت بالسفينة فلجأت اسرائيـل فى ١٠ اغسطس سـنة ١٩٥٥ الى مجلس الأمن شاكية من استمرار حجز السفينة الا ان المجلس لم يتخذ اى قرار واكتفى رئيسه باعتبار قرار اول سبتمبر سنة ١٩٥١ قائما وواجب النفاذ (٥١) .

وقد اخذت الدول الكبرى واسرائيل تشـهر بمصر فى المجال الدولى وتدعى بعدم احترامها للحق الدولى فى استخدام القناة على الرغم من أن القناة تقطع من ارض مصر .

ثم وقع العـدوان الثـلاثى على مصر فى اكتوبر سنة ١٩٥٦ مما ادى الى اغلاق قناة السويس . وبعد انسحاب القوات الانجلو فرنسية من منطقة

---

(٥١) د. مصطفى الحفناوى ، المصدر السابق ، ص ٤٥٢ — ٥٠ .

القناة بدأت الحكومة المصرية فى تطهير قناة السويس ثم افتتحتها من جديد فى اواخر أبريل سنة ١٩٥٧ (٥٢) .

وقد رأت الحكومة المصرية أن تطمئن بعض الدول التى أبدت مخاوفها فأذاعت تصريحا يتضمن المبادىء الستة التى اخذ بهـا مجلس الأمن . وقد استأنفت السفن الغربية المرور فى القناة طبقا لشروط مصر فى ٢٦ ابريل سنة ١٩٥٧ كما أعلنت مصر عن تصميمها على مراعاة اتفاقيـة الآستانة وبخاصة بنودها المتعلقـة بحرية الملاحـة وبذلك قضت على كل مقترحات دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة بشأن الاشراف الدولى على القناة . وخـلال الفترة من عام ١٩٥٧ الى عام ١٩٦٧ حاولت اسرائيـل عن طريق الأمم المتحدة والدول التى تؤيدها أن يسمح لسفنها بالمرور فى قناة السويس ولكن محاولاتهـا باءت بالفشـل فاكتفت مؤقتـا باطلاق حريتها فى الملاحة فى خليج العقبة . ثم نشبت حرب يونية سنة ١٩٦٧ وكان من نتائجها حرمان مصر من قناة السويس حيث كانت القوات الاسرائيلية تحتل الضفة الشرقية للقناة مع ضمان حرية اسرائيل فى المرور عبر مضايق تيران والبحر الأحمر مما عزز مركزها وقوى نفوذها فى آسيا وافريقيا .

وجدير بالذكر ان اغلاق القنـاة مرتين خـلال عقد واحد من الزمان دفع العالم الى أن يفكر جديا فى ايجاد بديل للقناة مثل مد خط انابيب لنقل البترول بين ايلات وميناء اشـدود الاسرائيلى على البحر الأبيض المتوسط بل ان اسرائيل سوف تفكر جديا فى انشاء قناة منافسة لقناة السويس (٥٣) .

وفى الوقت الذى توطدت فيه علاقات اسرائيل السياسية والاقتصادية ببعض دول آسيا وافريقيا عبر البحر الأحمر نتيجة لحرب يونيو سنة ١٩٦٧ نجد فى الجانب المقابل الانعكاسات السلبية لهذه الحرب على الدول العربية المطلة على البحر الأحمر ومنها امتداد تأثير غلق قناة السـويس الى ميناء عـدن ، ذلك الميناء الذى شجع موقعـه على اجتـذاب التجارة وغيرها

---

(٥٢) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مشكلة قناة السويس ، ص ١٥٠

(٥٣) د. محمد محمود الديب : الجغرافيا السياسية ، أسس وتطبيقات القـاهرة . ١٩٧٩ . ص ٧١ .

من الوظائف الأخرى ، فعدن تقوم بتجارة كبيرة فى الترانزيت لكل منطقة جنوب الجزيرة والقرن الأفريقى كما تعمل كميناء تفحيم وبترول ضخم (٥٤) . ويزدهر هذا الميناء بازدهار التجارة فى البحر الأحمر وخلال حرب السويس سنة ١٩٥٦ هبطت السفن من ٤٥٤ سفينة الى ٩٣ سفينة شهريا وفى يونيو سنة ١٩٦٧ كان ميناء عدن يحتل المركز الرابع بين موانى العالم من حيث عدد السفن التى تدخله (٥٥) .

الا انه نتيجة اغلاق قناة السويس وجلاء البريطانيين عن قاعدة عدن فقد ركد النشاط الاقتصادى فى ميناء عدن وفقد كثير من العمال عملهم وترك حوالى ٨٠٠٠٠ر٠٠٠ عامل البلاد فتدهور النشاط الاقتصادى وايراد الدولة بشكل حاد (٥٦) .

وعلى النقيض ظهرت اهمية ميناء العقبة فى خدمة الاقتصاد العربى بعد غلق القناة سنة ١٩٦٧ اذ اصبحت العقبة هى المنفذ الوحيد الذى يربط بين البحر الاحمر وسوريا ولبنان حيث كان يتم عن طريقهما تنشيط التجارة العربية من البحر المتوسط الى البحر الاحمر عبر اراضيها واراضى الأردن بدلا من قناة السويس .

وكنتيجة للحرب أصبحت القوات المصرية على اتصال مباشر بالقوات الاسرائيلية ومن ثم صارت القناة مسرحا للقتال حتى نهاية حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ . وقد رأت اسرائيل أن الفرصة سانحة للتحدث عن حقوق لها فى القناة عند فتحها كما سعت الى تعطيل الجهود الرامية الى تطهير القناة لاجبار مصر على السماح لها بحرية الملاحة فيهـا .

---

(٥٤) د. جمال حمدان : جغرافية المدن ، ص ١٩٢ .

(٥٥) مصطفى نبيل : المضايق العربية التى تحكم العالم « باب المندب » ، مجلة العربى ، العدد ٢٦١ ، ص ٩١ .

(٥٦) توماس كوشينوفسكى : البحر الأحمر والتوازن الاقليمى ، السياسة الدولية ، العدد ٥٩ ، ص ٤٧ — ٨ .

كما اوضح ابا ايان لجونار يارنج المبعوث الشخصى لسكرتير الأمم المتحدة بشأن حرية الملاحة فى المياه الدولية : « انه عندما تفتح القناة يجب ان تفتح بلا قيد ولا شرط وبدون تمييز بين سفن كافة الدول بما فى ذلك سفن اسرائيل » (٥٧) .

وفى ٤ فبراير سنة ١٩٧١ قدم الرئيس السادات مبادرة اقترح فيهـا ان تقوم اسرائيل بانسحاب جزئى يعقبه اعادة فتح القناة للملاحة الدولية ولكن رئيسة وزراء اسرائيل اعلنت يوم ٤ ابريل سنة ١٩٧١ انها على استعداد لمناقشة فتح القناة للملاحة بشرط ضمان حرية الملاحة لجميع الدول بما فيها اسرائيل (٥٨) .

وخلال عام ١٩٧١ اجرت مصر مباحثات مع الولايات المتحدة الأمريكية ولكنها لم تكلل بالنجاح . وفى فبراير سنة ١٩٧٢ وافقت اسرائيل على مقترحات امريكية باجراء مباحثات غير مباشرة لفتح القناة الا ان مصر اعلنت رايها فى ٢٤ مارس بأن القناة جزء لا يتجزأ من مصر وهى ليست مستعدة للدخول مع اى طرف آخر فى جدول اعادة فتح القناة وان فتح القناة مرتبط بازالة آثار العدوان .

ثم كانت حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ التى غيرت كثيرا من المفاهيم الاسرائيلية والأمريكية وادت الى قيام علاقات جديدة بين الولايات المتحدة ومصر على اساس جديد وفى ظل هذا الوضع الجديد كان الاتفاق على اعادة فتح القناة للملاحة الدولية .

---

(٥٧) د. وحيد رافت : اسرائيل وحرية الملاحة فى قناة السويس ، السياسة الدولية . العدد ٤٠ ، ابريل ١٩٧٥ .

(٥٨) د. عبد العظيم رمضان : البحر الأحمر فى الصراع بين مصر واسرائيل . البحر الاحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، ص ٦٠٩ .

ثالثا — البحر الاحمر وحرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ :-

بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧ اتخذ الصراع فى البحر الأحمر محورا ثالثا الا وهو باب المندب الذى كان تحت السيطرة البريطانية بحكم احتلال بريطانيا لعدن .

وبينما دخل فى روع اسرائيل أنها تخلصت من الحصار البحرى الذى فرضته عليها مصر فى البحر الأحمر باستيلائها على شرم الشيخ مما يحقق لملاحتها الأمن المطلق ، هذا فضلا عن تحكمها فى قناة السويس فانها لم تع دلالة التغييرات القومية الجديدة المتمثلة فى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية فى عدن يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٧ والوضع المصرى فى اليمن مما يتيح للبحرية المصرية الفرصة للعمل ضد الملاحة الاسرائيلية فى عمق البحر الاحمر من قواعد بعيدة عن مدى الطيران الاسرائيلى .. وقد صار الوجود المصرى فى باب المندب ، فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ يعادل الوجود الاسرائيلى فى شرم الشيخ وايلات معا .

وعلى الصعيد العربى ، لم تتحرك اية دولة عربيه من الدول المطلة على البحر الاحمر — بعد العدوان الثلاثى على مصر — لاعتراض الملاحة البحرية الاسرائيلية الى أن بدأ التفكير المصرى فى النظر بعيدا فى اتجاه باب المندب . وقد ظنت اسرائيل انها ظفرت بحرية الملاحة فى خليج العقبة باستقرار الأوضاع فى البحر الاحمر كما امنت مخاطر اية نوايا عدوانية لتهديد الملاحة فى هذا البحر الى ان افاقت على حادث خطير وقع يوم ١١ يونية سنة ١٩٧١ حين هاجم زورق مسلح مجهول ناقلة البترول « كورال سى » التى ترفع علم ليبيريا وتحمل شحنة من بترول ايران الى اسرائيل أثناء عبورها مضيق باب المندب قرب جزيرة « بريم » . وقد أدى الهجوم الى اشتعال النار فى الناقلة واصابتها ببعض الأضرار الا أن طاقم الناقلة نجح فى اخماد النيران .. وقد أعلنت جولدا مائير رئيسية وزراء اسرائيل عن مدى الخطورة التى تمثلها محاوله الاعتداء على الناقلة الليبيرية وهددت بأن اسرائيل ستتخذ الاجراءات الضرورية لتأمين حرية الملاحة الى موانيها (٥٩) .

---

(٥٩) الأهرام فى ١٤ يونية ١٩٧١ .

كما أعلن العسكريون الاسرائيليون انهم يعتبرون هذا الهجوم أخطر ضربة تعرضت لها الملاحة الاسرائيلية حتى الآن (٦٠) .

وقد نبه هذا الحادث الاسرائيلي الى معالجة امنها بطريقتها الخاصة فلم تكد تمض بضعة أشهر على هذا الحادث حتى طار رئيس الأركان الاسرائيلي الى اثيوبيا لتنسيق التعاون مع قائد البحرية الاثيوبية حول تأمين المدخل الجنوبي للبحر الأحمر . وقد نشرت جريدة الأهرام — آنذاك — ان رئيس الأركان الاسرائيلي عرض خلال هذه المباحثات تقديم دعم كبير للبحرية الأثيوبية يسمح بوجود افراد من البحرية الاسرائيلية عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وقد تعهد الجنرال حاييم بارليف رئيس الأركان الاسرائيلي بقيام اسرائيل بتدريب القوات البحرية الأثيوبية مجانا وتزويدها بزوارق الداورية وبعض الصواريخ البحرية وشبكة رادار تقام على مدخل البحر الاحمر على أن يقوم افراد من البحرية الاسرائيلية بتشغيل هذه المعدات حتى يتم تدريب قوات البحرية الأثيوبية عليها .

وكانت أهداف اسرائيل من هذا الاتفاق تتمثل فى ايقاف أى اتجاه عربى فى المستقبل لجعل البحر الاحمر بحيرة عربية وتأمين الوجود الأمريكى فى البحر الأحمر وكذا مواجهة الوجود البحرى المصري هناك ، ولكن محاولة اسرائيل هذه باءت بالفشل لدرجة ان وزارة الاعلام الأثيوبية اصدرت بيانا اتكرت فيه المحاولة الاسرائيلية انكارا تاما (٦١) . الا ان اسرائيل لم يستول عليها اليأس حيث اتجهت محاولاتها فى هذه المرة الى احتلال بعض الجزر الواقعة على مدخل مضيق باب المندب .

وفى مارس عام ١٩٧٢ اجمعت عدة مصادر اجنبية واشنطن ومجلة تايم الامريكية على احتلال اسرائيل لبعض الجزر المهجورة فى جنوب البحر الأحمر على بعد نحو ٨٥ ميلا من باب المندب بواسطة قوة من الكوماندوز .

وقد اثار هذا النبأ ضجة فى البلاد العربية — حينذاك — واخذ

---

(٦٠) د. عبد العظيم رمضان ، نفس المصدر ، ص ٥٩٢ .
(٦١) الأهرام فى ١٥ سبتمبر ١٩٧١ .

المختصون فى الامانة العامة لجامعة الدول العربية فى وضــع تقرير حول مصير الجزر العربية فى البحر الأحمر وعمل دراسة حول تصور الجامعــة العربية للاستراتيجية العربية فيه .

وقد عقــدت اللجنـــة السياسية لمجلس الجامعة العربيـــة اجتماعا فى أول ابريل عام ١٩٧٣ بحثت فيه الوضـــع العربى فى جزر البحر الاحمر وفكرة عقد مؤتمر للدول العربية المطلة عليه (٦٢) وفى هذه الأثناء نفت اثيوبيا انها تنازلت لاسرائيل عن اى جزء من الأراضى الأثيوبية كما اكد وزير خارجيتها لمحمود رياض الأمين العام للجامعة العربية أن بلاده على استعداد لاستقبال وفد من الجامعة العربية لتفقد السواحل والجزر الأثيوبية فى البحر الاحمر لاثبات حسن نية بلاده ، كما نفى القاضى عبد الرحمن الايريانى رئيس المجلس الجمهورى فى اليمن الشماليـــة الأنبـــاء القائلة بوجود عسكرى اسرائيلى فى الجزر اليمنية . ولاستكمال المعلومات حول هذا الموضوع اوفدت لجنـــة عسكرية خاصة فى اطار الجامعـــة العربيـــة خلال الفترة من ٢٠ ابريل الى ١٤ مايو سنة ١٩٧٣ .

وقد ارتكزت اللجنة فى عملها على كل من اليمن الديمقراطية الشعبية والجمهورية العربية اليمنية حيث قامت باستطلاع ودراسة الجزر العربيـــة والسواحل اليمنية القريبة منها وهى جزر « جبل الطير » ومجموعة جزر « الزبير » وجزيرة « ابو عيـــل » وجزيرة « زقار » و « حانيش الكبرى » و « حانيش الصغرى » وجزيرة « بريم » .

وكان من المهــام الرئيسية للجنة تشجيع الجمهورية العربية اليمنية على اثبات وجودها فى هذه الجزر ، وقد تأكدت اللجنة من عدم وجود قوات اسرائيلية فى جميع الجزر العربية فى جنوب البحر الأحمر (٦٣) .

---

(٦٢) سجل العـــالم العربى : وثائق — احداث وآراء سياسية ، مجلد ابريل — سبتمبر ١٩٧٣ ، دار الأبحاث والنشر ، بيروت ، ص ١١٧١ .

(٦٣) صلاح فهمى : استراتيجية البحر الأحمر ، البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، ص ٦٥١ — ٢ .

التخطيط لادارة الصراع المسلح ضد اسرائيل فى البحر الأحمر :

كان التخطيط للتعرض لخطوط الملاحة الاسرائيلية فى البحر الاحمر جزءا اساسيا من التخطيط الاستراتيجى لادارة الصراع المسلح ضد اسرائيل . وقد اتخذ هذا التخطيط محورين اساسيين : اولاهما التخطيط للتعرض المباشر فى منطقة خليج العقبة وخليج السويس ، وثانيهما التخطيط للتعرض البحرى فى منطقة جنوب البحر الأحمر . وكان الهدف من ذلك هو اهدار نظرية الأمن الاسرائيلى التى تتمسك باحتلال شرم الشيخ لتأمين خطوط مواصلاتها البحرية عبر البحر الاحمر . ويوضح المشير محمد عبد الغنى الجمسى هذا المعنى بقوله : « لقد كان العدو يركز على أن شرم الشيخ تتحكم فى تجارته وبتروله وانه لن ينسحب منها لهذا السبب ، فكان القرار الحكيم الذى اتخذ فى هذا الشأن هو فرض الحصار البحرى على اسرائيل من المدخل الجنوبى للبحر الاحمر حتى تشعر اسرائيل بأنه برغم وجودها فى شرم الشيخ فان هذا الوجود لا قيمة له اذا تمكنا من التأثير عليها من باب المندب » (٦٤) .

وقد كان الموقف البحرى فى البحر الاحمر قبيل يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ يتمثل فى تمركز بعض قوات العدو البحرية فى ايلات وشرم الشيخ ومراسى خليج السويس لا سيما رأس سدر وابو رديس اما قواتنا البحرية فكانت متمركزة فى الغردقة وسفاجة .

وقد دخلت خطة اغلاق باب المندب دور التنفيذ فى اوائل شهر اكتوبر سنة ١٩٧٣ حين أعلن عن تنفيذ المناورة السنوية لقواتنا البحرية التى تجرى كل عام فى نفس الموعد فتحركت غواصات البحر الاحمر تحت ستار اجراء بعض الاصلاحات الضرورية فى احد موانىء باكستان كما تحركت مدمرات البحر الأحمر الى منطقة عملياتها عند باب المندب تحت ستار اجراء زيارة ودية لدول المنطقة (٦٥) .

---

(٦٤) محمد عبد الغنى الجمسى : عمليات اكتوبر وكيف خططنا لها وكيف نفذناها الرجال والمعركة ، وزارة الحربية ، (اكتوبر ٧٢ ـ اكتوبر ١٩٧٤) .

(٦٥) حسن البدرى وآخران ، حرب رمضان : الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة ـ اكتوبر ١٩٧٣ ، الطبعة الثانية ، ص ٢٣٤ .

فرض الحصار البحرى على باب المندب :

فى يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ فرضت مصر الحصار البحرى على باب المندب كما حذرت سفن الدول من الاقتراب من مناطق العمليات البحرية طبقا لقواعد القانون الدولى ، وقد شارك فى فرض الحصار غواصتان ومدمرتان من البحرية المصرية بالاضافة الى زوارق طوربيد وزوارق مسلحة تابعة لبحرية اليمن الشمالية والجنوبية ، كما صرح قائد القوات البحرية المصرية يوم ١١ ديسمبر ١٩٧٣ ، بأن اغلاق مضيق المندب فى وجه الملاحة الاسرائيلية قد تم بالتعاون مع الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وقد مارست القوات البحرية المصرية مهام الزيارة والتفتيش والاعتراض للسفن التجارية فى جنوب البحر الأحمر منذ بدء الحرب ، وقد بلغ من كفاءة التخطيط أنه لم تدخل أو تخرج سفينة واحدة من ميناء أيلات حتى توقيع اتفاقية فصل القوات (٦٦) .

أما عن العمليات البحرية فى البحر الاحمر فقد ذكر قائد القوات البحرية المصرية انه قد تم قصف شرم الشيخ ورأس محمد ورأس سدر فى اليوم الأول للعمليات . كما قامت الوحدات البحرية المصرية ببث حقول الألغام فى خليج السويس مما أدى الى غرق ناقلة بترول للعدو حمولتها ٤٦٠٠٠ طن وإصابة ناقلة بترول أخرى حمولتها ألفه طن (٦٧) .

كذلك هاجمت الضفادع البشرية مراسى العدو فى بلاعيم وعطلت انحفار الموجود بها كما اغارت الصاعقة البحرية على منطقة ابو درية فى الخليج وفى نفس الوقت استكملت القوات البحرية تلغيم مدخل خليج السويس .

---

(٦٦) الفريق فؤاد ابو ذكرى : البحرية المصرية وحرب الغفران ، الأهرام ٨ أكتوبر ١٩٧٦ .

(٦٧) الفريق فؤاد ابو ذكرى : دور البحرية المصرية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، الندوة الدولية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، القاهرة ، ٢٧ — ٣١ أكتوبر ١٩٧٥ ، المجلد الأول ، ص ٩٢ — ٣ .

وقامت التشكيلات البحرية والغواصات بتنفيذ طلعات الاقتناص واعتراض خطوط العدو البحرية فاغرقت سفينة تجارية شمال بورسودان كما اشتبكت عناصر الدفاع الساحلى فى جزيرة شاكر الواقعة فى خليج السويس مع وحدات العدو البحرية التى حاولت الاقتراب منها .

واجمالا ، فقد كانت عملياتنا البحرية لعرقلة مواصلات العدو البحرية فى البحر الاحمر مؤثرة للغاية فبعد حادث اغراق السفينة الاسرائيلية قرب بورسودان وحتى انتهاء الحرب والملاحة الإسرائيلية فى البحر الأحمر متوقفة تماما . فلم تعبر هذا البحر سفينة اسرائيلية واحدة .

كما اشتركت القوات الجوية المصرية فى قصف المواقع الإسرائيلية على ساحل البحر الاحمر ومنطقتى ابو رديس وراس سدر .

وعلى البعد الاستراتيجى — نتيجة شدة وطأة الحصار البحرى — سعت اسرائيل الى الدول الكبرى طالبة معاونتها فى فك الحصار البحرى المصرى المضروب على باب المندب دون جدوى .

وهكذا أسقطت حرب اكتوبر ١٩٧٣ الأهمية الاستراتيجية لمضايق تيران بسبب نجاح البحرية المصرية فى اغلاق مضيق باب المندب .

وبعد وقف اطلاق النار وبدء مباحثات فض الاشتباك الاول عند الكيلو ١٠١ كان المطلب الملح والعاجل لرئيس الوفد الاسرائيلى هو فك الحصار البحرى المضروب حول باب المندب .

وفى يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٧٣ تم توقيع « اتفاقية النقاط الست » حيث وقعها اللواء محمد عبد الغنى الجمسى عن مصر والجنرال اهارون ياريف عن اسرائيل والجنرال انزيو سيلاسفو عن الامم المتحدة (٦٨) .

ولكنها لم تشر الى حصار باب المندب مما حدا بمصر ان ترفض رفع الحصار قبل انسحاب القوات الاسرائيلية من « الجيب » الذى احتلته على

---

(٦٨) نفس المصدر ، ص ٢٥٢ .

الضفة الغربية للقناة . وفى نفس الوقت كانت الولايات المتحدة تتخذ اجراءات لفك الحصار عن باب المندب . ففى الأسبوع الأخير من نوفمبر سنة ١٩٧٣ عبرت مضيق باب المندب الى البحر الأحمر مدمرتان أمريكيتان بحجة زيارة ميناء مصوع .

واخيرا رفع الحصار عن باب المندب فى هدوء ودون اعلان رسمى يوم ٩ ديسمبر سنة ١٩٧٣ حيث تلقت وكالة « سانا » السورية للأنباء يوم ١١ ديسمبر برقية من مصادرها فى الكويت ذكرت أن سفنا اسرائيلية عبرت يوم ٩ ديسمبر سنة ١٩٧٣ مضيق باب المندب بحراسة قطع بحرية تابعة للأسطول السابع الأمريكى فى طريقها الى ميناء ايلات الاسرائيلى (٦٩) . وهكذا عادت المياه الى مجاريها فى البحر الأحمر .

(٦٩) الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة — وقائع وتفاعلات ، بيروت ، عدد ٩ه ، أكتوبر ١٩٧٤ ، ص ١٣٤ — ٥ .

الفصل الخامس

أمن البحر الأحمر

مقدمة :

عندما نتناول بالحديث أمن البحر الأحمر فاننا نعني أمن الاقطار المطلة على هذا البحر وضمان كياناتها واستقرارها ضد الأخطار الخارجية . كما نقصد بالأمن قدرة الدول العربية في منطقة البحر الأحمر على التأثير واقامة علاقات التعاون المشترك .

ان مفهوم الأمن القومي العربي قضية متعددة الأبعاد فالبحر الأحمر الى جانب مزاياه الاستراتيجية والعسكرية له أيضا أهميته الاقتصادية .

وتعرض هذه الدراسة للبحر الأحمر كأحد مناطق الأمن الوطني المصري والأمن القومي العربي والأفريقي .

ولما كان الأمن القومي يعني تأمين كيان الدولة — أو مجموعة من الدول — من الأخطار التي تهددها وتأمين مصالحها في ظل ظروف مناسبة تحقق فيها أهدافها وغاياتها القومية فقد أصبح هذا المفهوم يدور حول ثلاثة محاور رئيسية هي تأمين كيان الدولة أو مجموعة الدول ويكون هذا التأمين في مواجهة كافة الأخطار الداخلية والخارجية القائمة والمحتملة ثم تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي والتنمية الشاملة .

ان الأمن القومي ليست قضية عسكرية فحسب بل انها مسألة تختلط فيها السياسة بالاقتصاد والجغرافيا بالعسكرية والوضع الاجتماعي بقوة الدولة والنظام السياسي بالاستراتيجية (١) .

---

(١) د. علي الدين هلال ، الأمن العربي والصراع الاستراتيجي ، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، جامعة عين شمس ص ص ٦٧٢ — ٤ .

ولما كانت اغلب شواطيء البحر الاحمر تقع ضمن حدود دول عربيــة فان أهمية البحــر الاحمــــر يمكن أن تثار من جانبين : الاول هو الجانب العسكرى الأمنى اذ أن البحر الاحمر هو مدخل البلاد العربية الى افريقيــا وآسيا وهو المنفذ البحرى الوحيد لبعض الدول العربية وهو طريق نقــل البترول من منطقة الخليج الى الدول المســتهلكة كما يمكن اعتباره جبهــة تعرض لمصر العليا ومنابع النيل فضــــلا عن كونه احـــد بؤر الصراع الاستراتيجى العالمى . فأمن البحر الاحمر مرتبط بأمن كل من المحيط الهندى والخليج العربى والبحر المتوسط كما أنه همزة الوصل بين الاســـاطيل الحربية للدول الكبرى فى البحر المتوسط والمحيط الهندى بالاضافة الى وجود بعض القواعد والتسهيلات العسكرية لدول اجنبية فيه أما الجانب الثانى فهو جانب اقتصادى اذ ان حركة الملاحة فيه تمثل المصدر الاساسى للدخل فى اليمن الجنوبية واحد مصادر الدخل الهامة فى الصومال وجيبوتى فضــلا عن وجود ثروات بترولية ومعدنية فى قاعه . هذا بالاضـــــافة الى أهميته كطريق للنقل البحرى . ولكل هذا يجب أن يكون امن البحر الاحمر احـــد قضايا الفكر الاستراتيجى العربى الرئيسية .

وبرغم اهمية البحر الاحمر فان قضية أمنه لم تلق نفس الاهمية ولم تحظ الا بالقدر القليل من الاهتمام كما أنها لم تطرح جديا على المســـــتوى السياسى العملى العربى الا فى عام ١٩٧٧ نتيجة عدة عوامل اهمها اغلاق مصر باب المندب خلال حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ وتصاعد الثورة فى اريتريا وانفجار الموقف فى القرن الافريقى بين اثيوبيا والصومال وتدهور العلاقات بين اثيوبيا والســـودان وقيام طائرات مجهولة الجنســـية — يعتقد أنهــا اسرائيلية —بالاستطلاع فوق باب المندب واليمن الشمالية فى ديســــمبر سنة ١٩٧٦ (٢) .

الصراعات الدولية والاقليمية فى حوض البحر الاحمر :

اولا : الصراعات الدولية :

احتدم التنافس فى السنوات الاخيرة بين الدول العظمى لا ســيما بعد

---

(٢) نفس المصدر . ص ص ٦٧٦ — ٨ .

المتغيرات الرئيسية فى الساحة الدولية وفى مقدمتها حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ازمة الطاقة العالمية ، وارتفاع درجة التنافس الدولى فى افريقيا وكثافة المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الداخلية فى دول المنطقة .
وقد اتبعت الدول العظمى استراتيجيتين رئيسيتين هما :

١ — استراتيجية الاحتواء : وتعنى التحكم فى البحر الاحمر والسيطرة المباشرة على المنطقة المحيطة به بواسطة القوات المسلحة .

٢ — استراتيجية الاقتراب غير المباشر : وتشمل التحكم فى المضايق والمنافذ البحرية والجزر الاستراتيجية المتحكمة فى الملاحة عبر البحر الاحمر والحصول على قواعد وتسهيلات بحرية فى الموانىء المتاخمة لها او سيطرة النفوذ السياسى او الاقتصادى (٣) .

وفى منظور القوى الكبرى يكون الموضوع الأول فى الصراع العالمى هو تجارة البترول عبر طرق النقل البحرى من المحيط الهندى الى غرب اوربا وأمريكا الشمالية .

والطريق الاول فى تجارة البترول العالمية تتجه شمالا عبر الأحمر وقناة السويس الى البحر المتوسط ولهذا تزدادالقيمة الاستراتيجية لباب المندب وجيبوتى والسواحل الأفريقية والآسيوية المجاورة حتى منطقة شرق البحر المتوسط .

والطريق الثانى يتجه جنوبا عبر مضيق موزمبيق ويمر بجوار جزر القمر ثم الى راس الرجاء الصالح ثم يتجه شمالا على طول سواحل انجولا وغرب أفريقيا . ولهذا تعقدت قضايا جزر القمر وانجولا وقضايا القواعد العسكرية فى المحيط الهندى كالتى فى جزيرة دييجوجارسيا ومجموعة جزر المالديف (٤) .

---

(٣) د. السيد عليوه وآخرون ، امن البحر الاحمر — المخاطر والتحديات — الاهرام ، ٢٧ مارس سنة ١٩٧٧ .

(٤) د. عبد الملك عودة ، الصراع فى جنوب البحر الاحمر ، الاهرام فى ١٩٧٦/٣/١٦ .

كما اضطرم التنافس الدولى فى المحيط الهندى لا سيما بعد بروز القوة البحرية مرة أخرى كأحد عناصر التوازن العسكرى الرئيسية . ويكاد يكون البحر الأحمر مسرحا تمثل عليه أدوارها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى والصين وبريطانيا وفرنسا .

وتقوم سياسة الولايات المتحدة على نظرية « جوام » التى ترتكز على التمسك بالمزايا المكتسبة فى الدول المطلة على المحيط الهندى والتى تشكل العناصر الأساسية للاستراتيجية الأمريكية الجديدة . تلك التى تهدف الى تأمين استمرار تدفق النفط الى الدول الغربية واليابان وحماية شركات البترول الغربية العاملة فى منطقة الخليج والدفاع عن أفريقيا خاصة شرقها ضد التسلل الشيوعى السوفييتى والصينى على حد سواء (٥) ، وابقاء الشرق الأوسط بعيدا عن النفوذ الشيوعى والمحافظة على أمن وسلامة اسرائيل كذا مساندة ودعم النظم المتعاطفة مع الغرب لا سيما الدول المنتجة للبترول .

أما السياسة السوفيتية فتعمل على التوغل البطىء والمنتظم فى المحيط الهندى والبحر الأحمر ومن بين أهدافها تحويل البحر الأحمر الى طريق مرور خاضع للسيطرة السوفيتية حيث يبرز البحر الأحمر فى الاستراتيجيه السوفيتية كأقصر وأسرع طريق بين البحر الأسود والمحيط الهندى الذى يحظى بأهمية خاصة من جانب الاتحاد السوفيتى لتحكمه فى مجموعة من الممرات المائية الهامة التى تربط بحريا بين قواعد الارتكاز السوفيتية على المحيط الهادى والبحر الأسود وتأمين سلامة اليابس السوفييتى أمام التهديد النووى الأمريكى القادم من المحيط الهندى (٦) .

كما يبرز من أهداف السياسة السوفييتية تجاه البحر الأحمر والمحيط الهندى تقويض القوة الاستراتيجية للغرب بالضغط العسكرى على الدول

---

(٥) د. السيد عليوة : الجوانب الاستراتيجية فى صراعات البحر الأحمر، السياسة الدولية ، العدد ٥٩ ، يناير ١٩٨٠ ، ص ٣٩ .

(٦) محمود توفيق محمود . البحر الأحمر فى الاستراتيجية الدولية ، السياسة الدولية ، العدد ٥٧ ، ص ٤٠ .

للحليفة فى المنطقة لا سيما البترولية منها كذلك السيطرة على طرق نقـل البترول والحد من النفوذ الأمريكى فى المحيط الهندى بالاضافة الى الحد من الفرص المتاحة للغرب لاســتغلال الموارد الطبيعية المنتشرة فى المنطقـة والحيلولة دون تسلل الصين الى افريقيا وجنوب البحر الأحمر .

كما يعمل الاتحاد السوفييتى على حماية خطوط الملاحة لاســاطيله التجارية وفتح أسواق جديدة امام منتجاته المدنية والحربية

وهكذا تدور سياسة كل من الولايات المتحدة والاتحاد الســوفيتى فى منطقة البحر الأحمر حول تأمين المصالح القومية والقضايا الاســتراتيجية ودعم الحلفاء المحليين . كما يتركز الصراع بين العملاقين استراتيجيا حول النفوذ والأمن واقتصاديا حول البترول والتجارة والاستثمارات .

وبرغم هذا التنافس فان كلتا الدولتين تفضل حرية الملاحة فى البحـر الاحمر لما لها من مصـالح استراتيجية مرتبطة بقدرتها على تحريك اساطيلها على امتداد البحر المتوسط والمحيط الهندى .

أما عن دور كل من الصين وبريطانيا وفرنسا فى البحر الأحمر فهـو محدود بالقياس الى حجم الدور الذى تمارسه الدولتان العظميان . فالوجود الصينى فى المنطقة يهدف الى محاربة النفوذ الســوفييتى ، وقد اتخذ من المعونات الفنية مثل انشــاء الطرق وبناء المصانع ســبيلا الى ذلك . أما بريطانيا فقد تقلص دورها ولم يصبح أمامها من وسيلة للاشراف على طريق السويس والبحر الأحمر وخليج عدن سوى قاعدة جوية اقامتها فى مصيره .

وتعتبر فرنسا هى الدولة الأجنبية التى تتمتع بوجود فعلى فى جيبوتى التى تشرف على مضيق باب المندب وهى تتخذ سياسة تقوم على اســاس التوفيق بين المصالح الأمنية للدول التى تطل على المضيق ومصالح الدول المتمثلة فى حرية الملاحة عبره . ويرجع اهتمام فرنسا بمنطقة البحر الأحمر الى رغبتها فى اثبات وجودها وارادتها المستقلة أمام الوجود الســوفييتى والأمريكى كقوة لها وزنها الدولى فضــــلا عن تأمين امداداتها من البترول والتزامها أدبيا وماديا بالاسهام فى تأمين طرق البترول الى الغرب وهو التزام

مرتبط بالهدف الاستراتيجى لفرنســـا فى أن تكون الدولة الأولى فى أوروبا الغربية .

وخلاصة القول ان الصراعات الدولية فى البحر الأحمر سوف تحتدم طالما أن الدول الكبرى تتطلع الى النفوذ والسيطرة وكلما ازدادت حـــدة الأزمة الاقتصادية وأزمة الطاقة واشتد اوار الحرب الباردة .

ان جزءا من عالمية مصالح الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى هو وجودها فى كل مكان فى العالم ومن ثم لا يمكن ان ينغلق دونهما اى بحر عام مهما كان صغيرا . ولايتصور احد ان تسمحا بذلك ومهما امتنعت القواعــد والتسهيلات فسوف تعملان على اثبات وجودهما مهما كلفهما الأمر . فالبحر الأحمر كحلقة فى سلسلة طرق الملاحة العالمية ترتبط بما وراءها من المنافذ البحرية لا يمكن ابعاد القوى العالمية عنه .

ثانيا : الصراعات الاقليمية :

أولا تبرز اسرائيل فى خريطة الصراع فى حوض البحر الأحمـــر حيث تسعى جاهدة الى اثارة العالم حول باب المندب بسبب ما وقع لها فى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٢ ، كذا اثارة مخاوف جميع الدول من وجود المضيق وجزره فى نطاق السيطرة العربية .

وهناك ثانيا الثورة الارترية المسلحة التى اصبحت كيانا متكاملا ينمو بفعل عوامله الداخلية ثم النزاع المحتدم بين اثيوبيا والصـــومال حول اقليم أوجادين . ورابعا هناك نزاع أثيوبى صومالى حول جيبوتى « عفرو عيسى » ثم خامسا ذلك الصراع الصومالى الكينى حول اقليم « انفدى » الذى يطالب الصومال باستعادته .

ويعتبر الصراع فى القرن الأفريقى من اهم الصراعات فى حوض البحر الأحمر حيث يتحكم القرن الأفريقى فى طرق الملاحة العالمية شمالا عبر البحر المتوسط وجنوبا وشرقا عبر المحيط الهندى وخليج عدن فضلا عن تحـــكمه فى مياه النيل . كما يعتبر مدخلا ونقطة وثوب على وسط وجنوب القارة من جهة الشرق بالاضافة الى ما يشـــكله كحلقة هامة من حلقـــات الأحزمة

الاستراتيجية التى تحاول أن تفرضـها الدول الكبرى . ويدور الصراع فى القرن الافريقى حول « مطالب اقليمية » وقد تلاقت فى معظمها الملامح الأساسية لنزاعات الحدود بين عدد من دول افريقيا مع المظاهر الرئيسية والطبيعية والتاريخية لمشكلات تصفية الاستعمار فى القرن .

وهكذا تتجرد هذه الصراعات من اية أبعاد أيديولوجية أو قومية — باستثناء — قضية اريتريا (٧) . وفى الثورة الاريترية يتجلى الفارق بين الاسلوب الأمريكى والأسلوب السوفييتى حيث يعتمد الاتحاد السوفييتى على حركات تتفق معه ايديولوجيا ، فالثورة الأريترية منقسمة الى ثلاث فصائل : أولها جبهة تحرير اريتريا — المجلس الثورى — وهى جسم الثورة وجبهتها الثورية العريضة حيث تمثل استمرارية الجبهة التى التى نشأت منذ عام ١٩٦٠ وتركز الجبهة فى تحليلها السياسى على عدائها للاستعمار الأثيوبى كما تقدر الخطوات الاجتماعية التقدمية التى يقوم بهـا النظام الحالى فى اثيوبيا . وتسمى العمال والفلاحين « القوى الأساسية للثورة وتعمل الجبهة منذ منتصف الستينيات على الاقتراب من الدول الاشتراكية وتضع ضمن اهدافها دعم الصلات مع المنظمة الاشتراكية والديمقراطية فى العالم. ولما كانت جبهة تحرير اريتريا ترفع شعارات يسارية فقد امدتها موسكو بالعون المادى والعسكرى وذلك فى عهد الامبراطور هيلاسيلاسى اما بعد سقوطه وقيام نظام جديد فى اثيوبيا موال للاتحاد السوفييتى فقد كف عن تأييده للجبهة وسعى الى استقطابها وتطويعها للحل الذى يريده . وثانى الفصائل هى الجبهة الشعبية التى انفصلت عن قوات التحرير الشعبية سنة ١٩٧٦ ويتفق برنامجها مع جبهة التحرير فى العداء للنظام الاثيوبى والامبريالية وتنزع الى اقامة حكم ديمقراطى شعبى يمثل مصالح الجماهير من العمال والفلاحين والقوى الديمقراطية وثالثها هى قوات التحرير الشعبية وكان ذلك هو الاسم الذى يجمع القوى المتعددة خارج جبهة تحرير اريتريا حتى أوائل سنة ١٩٧٦ ولكن انفصلت عنها قوى اساسية

---

(٧) مجدى حماد ، الصراع فى القرن الأفريقى ، الاهرام العدد ٣٣٣١٣ فى ١٩٧٨/٢/٢٤ ، ص ٦ .

كونت الجبهة الشعبية . وتتبنى قيادة قوات التحرير سياسة الحصول على اكبر قدر من المساعدات الخارجية للكفاح ضد اثيوبيا وهو نهج يجعل سلوكها الداخلي عسكريا فقط . وهي تهاجم الدول الاشتراكية لا سيما الاتحاد السوفييتي وكوبا (٨) .

وقد سعت موسكو سعيا حثيثا الى استقطاب بعض قادة فصائل الثورة ومعظمهم ماركسيون من خلال ما أسمته بالطرح الاشتراكي للقضية . وكانت تأمل في نهاية المطاف التوصل الى صيغة تعطي لاريتريا حكما ذاتيا داخل اطار الوطن الاثيوبي الا ان محاولات السوفييت التي تركزت بصفة اساسية على المجلس الثوري لم تلق آذانا صاغية من معظم فصائل الثورة برغم التناقضات الفكرية بينها . غير أن الاتحاد السوفييتي لم يركن الى اليأس بل ما زال يأمل في حمل قادة الثورة على قبول حكم ذاتي داخل اطار الوطن الاثيوبي وعلى هذا الأساس فانه يعمل على تعزيز حزب العمل الارتري — الذي ظهر مؤخرا — ودعمه ماديا ومعنويا حتى يتمكن من الانفراد بالساحة محاورا وحيدا باسم شعب اريتريا كما يسعى الى جمع المنظمات اليسارية الأثيوبية المعارضة لحكم اللجنة العسكرية في تنظيم واحد يدين له بالولاء .

في حين تردد دول الغرب الكبرى لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية أن القضية ذات طبيعة خاصة واغلب الظن أن بعضها يؤيد اقامة اتحاد فيدرالي بين اريتريا واثيوبيا يختلف في كيانه عن ذلك الاتحاد الوهمي الذي فصمه هيلاسيلاسي سنة ١٩٦٢ (٩) ولا شك أن الأطراف المحلية هي التي خلقت الصراع الاقليمي وهي التي قدرت الاستعانة بطرق دولي لمساندتها خاصة من الناحية العسكرية .

وبينما يطالب الصومال بتحقيق وحدته القومية وذلك بادخال أوجادين

---

(٨) حلمي شعراوي ، الثورة الاريترية وحق تقرير المصير ، السياسة الدولية ، العدد ٥٠ ، اكتوبر ١٩٧٧ ، ص ص ١٣٧ — ٩ .

(٩) أحمد نافع ، في المنطقة التي تنتظر العاصفة ، السوفييت وثورة اريتريا ، الأهرام ، العدد ٣٤١٥٧ ، ١٩٨٠/٦/١٩ .

وعفروعيسى ضمن اراضيه نجد الدول المجاورة ترفع ادعاءات معاكسة فاثيوبيا كانت تطالب بضم اقليم عفروعيسى وفرنسا — قبل استفتاء سنة ١٩٧٧ — كانت تطالب بضمه الى الممتلكات الفرنسية مثل جزيرة ريفيون فى المحيط الهندى . ولما كانت المادة السادسة من دستور دولة الصومال تنص على « تحقيق وحدة الاراضى الصومالية » فان رد الفعل كان يعنى مطالبة اثيوبيا باقليم اوجادين ومطالبة كينيا بالاقليم الشرقى « انفدى » كذلك مطالبة فرنسا باقليم عفروعيسى على أساس أن المناطق الثلاث تسكنها قبائل صومالية . ولما فشلت الجهود السلمية الصومالية فى تحقيق مطالبها الاقليمية نشبت الحرب على الحدود الصومالية الأثيوبية فى يناير — فبراير سنة ١٩٦٤ لكنها لم تستمر أكثر من شهرين حيث اعادت اتفاقية الخرطوم التى وقعها الجانبان المتصارعان الموقف الى ما كان عليه قبل الحرب الا انه استجدت عوامل جديدة اهمها الانقلاب العسكرى فى الصومال فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٦٩ ووصول الجنرال محمد سياد برى الى رياسة الدولة فاحتل الدفاع والشئون الخارجية مكانة هامة فى السياسة الصومالية الجديدة كما اتسعت مجالات المعونة العسكرية السوفيتية على نحو يمكن معه القول انه فى عام ١٩٧٤ اصبحت القوات الجوية الصومالية تمتلك أكبر قدرة على القتال فيما بين دول افريقيا السوداء كما اصبحت للصومال قوات مدرعة مجهزة تجهيزا جيدا . وقد ادى هذا التعاظم فى القدرات العسكرية الصومالية الى الاخلال بالتوازن العسكرى فى المنطقة ثم تتابعت التطورات واهمها قيام الحكم الثورى فى اثيوبيا فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٧٤ مما أدى الى قلب المعطيات التقليدية فى اللعبة التى تقوم بها الدول الكبرى فى منطقة القرن الأفريقى . وقد انعكس هذا التغيير على الصراع القائم فى المنطقة على نحو عجل باندلاع الحرب الصومالية الأثيوبية الثانية فى عام ١٩٧٧ / ١٩٧٨ وقد تصاعدت الحرب فى المنطقة فى ظل عاملين استجدا فى القرن الأفريقى هما : الاختيار الشيوعيى للورقة الأثيوبية على حساب الصداقة مع الصومال ثم التقارب الذى جرى بين هذا الأخير والدول العربية والغرب .

ان هذين العاملين قد جعلا من ساحة القتال لأول مرة فى تاريخ المنطقة مسرحا للتنافس الجارى بين الدولتين العظميين .

وبالرغم من التنافس الأمريكى السوفييتى فى المنطقة والعوامل الاقليمية فى حوض البحر الأحمر فان القوة الصومالية وتطلعها الى الصومال الكبرى هى فى نهاية الأمر التى تقف فى وجه القومية الأثيوبية (١٠)

وخلاصة القول أن القوميات المتصارعة فى منطقة القرن الأفريقى ما زالت هى العنصر الثابت فى حرب اوجادين الثانية أما العوامل الدولية والاقليمية فهى متغيرات لا يمكن الارتكاز عليها كأساس للبحث عن تسوية للنزاع بل لابد ان تتجه الجهود الى التوفيق بين هذه القوميات .

موقف القوتين العظميين من الصراع فى القرن الأفريقى :

خاطر الاتحاد السوفييتى بكسب عداء الصومال ابتغاء الحصول على حليف أكبر وأكثر نفوذا وهو اثيوبيا واضعا فى حسابه أنه يعمل فى ظل ظروف الصراع مع الغرب والصين فى أفريقيا .

ويعتبر حماية النفوذ على جانبى البحر الأحمر لا سيما فى منطقة القرن الافريقى احد المكونات الأساسية المرتبطة بذلك الصراع فى التفكير الاستراتيجى السوفييتى الذى نجح أولا ثم أصيب بنكسة حادة فى مصر منذ عام ١٩٧٢ وبينها مع السودان عام ١٩٧١ وأخيرا مع الصومال عام ١٩٧٨ وان كانت الدلالات أقل تأثيرا (١١) .

ويهدف الاتحاد السوفييتى من بسط نفوذه على القرن الأفريقى الى الالتفاف حول حزام القواعد البحرية والبرية التى أنشئت حول حدوده وحول دول حلف وارسو بدائرة أوسع .

كذلك فانه يعمل على اقامة التوازن البحرى فى منطقة المحيط الهندى والبحر الأحمر مع الوجود البحرى الأمريكى فضلا عن الاقتراب من منابع البترول وابعاد النفوذ الصينى عن أفريقيا .

---

(١٠) نبيه الأصفهانى ، المواجهة المسلحة الأثيوبية الصومالية . السياسة الدولية ، العدد ٥٤ ، ص ص ٢٢ — ٧ .

(١١) مجدى حماد ، الاتحاد السوفييتى مع كوبا والقرن الأفريقى ، السياسة الدولية . عدد ٥٤ ، ص ٣٢ .

أما عن السياسة الامريكية فى القرن الافريقى فما زالت لا تولى الأحداث الافريقية اهتماما كافيا . لذلك لم يواجه الجانب الأمريكى الاستعدادات السوفييتية فى القارة وعندما تحولت السياسة السوفييتية الى اثيوبيا وتدفقت عليها المساعدات العسكرة والقوات الكوبية ظلت الولايات المتحدة على تحفظها ولم تتخذ موقفا فعالا وكانت النتيجة أن جاء هذا التغلغل السوفييتى فى هذه المنطقة دون رد مناسب من الولايات المتحدة فأتاحت بذلك الفرصة أمام السيطرة السوفيتية لتصول وتجول فى هذه المنطقة الهامة .

وقد وقفت الولايات المتحدة موقفا محايدا تماما من النزاع الصومالى الاثيوبى واصيب الصومال بخيبه امل كبيرة من جراء هذا الموقف المحايد .

الا انه فى نهاية شهر فبراير ١٩٧٨ انتقلت الولايات المتحدة الى تهديد السوفييت بالربط بين التدخل السوفييتى الكوبى فى افريقيا وبين سياسة الوفاق وأنذرت بأن سياسة الاتحاد السوفييتى ستكون وخيمة العواقب فى مجالات اخرى من العلاقات الامريكية السوفييتية (١٢) . وبرغم ذلك ظل الاتحاد السوفييتى هو الدوله الاقوى ويتمتع بوجود عسكرى هام فى منطقه من أكثر المناطق حيويه فى العالم .

وما زالت سياسه الولايات المتحده ترمى الى اتباع سياسه المراقبه فى مواجهه الوجود السوفييتى الى أن تلفظه افريقيا من الداخل مع الاستعانه بالدول الصديقه فى المنطقه والحليفه فى أوربا لمواجهة أى صراع قد يتطور لصالح السوفييت اذا فشلت الحلول السلمية فى السيطره على الموقف فضلا عن تشجيع حق الحلفاء لتداخل القاره سلميا مع استغلال النفوذ الصينى مرحليا لمواجهه المد السوفييتى فى القاره .

ثم ننتقل الى اثر الصراع فى القرن الافريقى على دول البحر الأحمر فنقول ان هذا الصراع وما يستتبعه من تدخل القوى العظمى يمثل تهديدا

---

(١٢) سوسن حسين . السياسة الأمريكيه فى القرن الافريقى السياسة الدولية . عدد ٥٤ . ص ص ٤٧ - ٥٠ .

مبارخا للدول العربية المتدة على جانبى البحر الأحمر بالاضافة الى دخول العالم العربى الى دائرة الصراع حيث تسعى الدول الكبرى الى الحصول على قواعد وتسهيلات مما أدى الى انقسام العالم العربى . كما أن الصراع فى القرن الأفريقى يهىء المناخ لاعادة تدخل الدول الكبرى وسيطرتها على ثروات القارة حيث تسعى الراسمالية الغربية إلى استعادة نفوذها فى القارة استمرارا لاستنزاف ثرواتها ودعما لظاهرة التبعية الاقتصادية .

وبالاضافة الى الصراع فى القرن الأفريقى نجد التنافس العربى والخلافات بين الدول العربية المطلة على البحر الاحمر . فقد اتسمت منطقة البحر الأحمر فى الستينيات بالنزاع المصرى — السعودى الذى بلغ ذروته أبان حرب اليمن ولكنه تضاءل فى اعقاب حرب يونية ١٩٦٧ ثم انتهى فى السبعينيات بيد أنه ما زالت هناك عدة نزاعات بين اليمن الشمالى واليمن الجنوبى وبين السعودية واليمن الجنوبى وبين اليمن الجنوبى وسلطنة عمان . ثم هناك النزاع الاثيوبى السودانى على الحدود بسبب مساعدة نميرى لثوار اريتريا . ان وجود هذه الخلافات يهدد امن البحر الاحمر وامن أقطاره فضلا عن صعوبة القيام بعمل مشترك لابعاد الاخطار الخارجيه وضمان أمن البحر خاصة تأمين مدخله الجنوبى امام المحاولات الخارجية (١٢) .

المخاطر والتحديات المحدقة بأمن البحر الأحمر :

تأتى المخاطر والتحديات التى يتعرض لها امن البحر الاحمر من جانب قوى عالمية واخرى اقليمية .

ولنبدأ بالقوى العالمية التى تعتبر قواتها البحرية هى أداة التدخل الخارجى الرئيسى الذى يهدد أمن البحر الأحمر خاصة الاتحاد السوفييتى لما له من نقط ارتكاز فى اليمن الجنوبية وأثيوبيا ومن قبل الصومال ثم تأتى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا .

---

(١٢) د. رأفت غنيمى الشيخ : أمن البحر الاحمر بين ميثاق جدة ومؤتمر تعز ، البحر الاحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة . ص ٦٢١ .

وبرغم أنه ليس من المحتمل قيام القوات البحرية للدول الكبرى بأعمال تعرضية ضد السفن أو الملاحة العربية فى المستقبل القريب الا أنها تشكل خطرا غير مباشر حيث يمكنها توفير الانذار والمعلومات للقوى المعادية علاوة على دفع الدول التى تتمركز فيها قواتها البحرية الى العمل ضد أمن البحر الأحمر بهدف ايجاد الذريعة والمبرر لتدخل هذه الدول الكبرى فى المنطقـــة بشكل سافر .

الوجود العسكرى للدول الكبرى فى المحيط الهندى والبحر الأحمر :

ظهر الوجود العسكرى السوفييتى فى المنطقة عام ١٩٥٥ بعد صفقة الأسلحة التشيكية لمصر ثم تزايد هذا الوجود بعد حرب عام ١٩٥٦ مستغلا الصراع الاسرائيلى العربى ، ومن ثم أصبح الوجود السوفييتى فى المنطقة قوة تؤثر على مجريات الاحداث بعد حرب عام ١٩٦٧ مباشرة . فقد دفعت موسكو الى المنطقة بقوات بحرية جديدة نتيجة التسهيلات التى منحها جمال عبد الناصر لهـــا فى الموانىء المصرية بهدف الحـــد من الانطلاق الاسرائيلى المعبر عن قوة الغرب ونفوذه فى منطقة الشرق الأوسط . وفى نفس الوقت أخذ الاتحاد السوفييتى يدعم قواته البحريه فى المحيط الهندى ثم تزايد ثقل الوجود السوفييتى بتزايد احتياجات مصر العسكرة خلال مرحلة الاستنزاف وتوقيع معاهدة صداقة سوفييتية مصرية فى مايو سنة ١٩٧١ الا أن هـــذه المعاهدة لم تؤخذ مأخذ الجد فسرعان ما تم طرد الخبراء السوفييت من مصر فى ١٧ يوليو سنة ١٩٧٢ . على أن حكومة موســــــكو نجحت فى ايجـــاد ما يعوض فقدان نفوذها فى مصر بالحصول على تســــهيلات هامة وكبيرة فى ميناء بربره الصومالى بعد توقيع معاهده صـــداقه وتعاون مع الصومال فى يوليو سنه ١٩٧٤ بالاضــافه الى دعم وجودها العســكرى فى اليمن الجنوبى . وبقيام نظام يسارى فى اثيوبيا سنة ١٩٧٤ اكتمل للاتحاد السوفييتى تحقيق السيطرة على المدخل الجنوبى للبحر الاحمر وبناء حائط يسارى يتكون من اليمن الجنوبى والصومال واثيوبيا . ولكن سرعان ما ســـقط الصومال من هذا الحـــد بسبب انحياز السوفييت الى اثيوبيا اثناء حربها مع الصومال .

وحسب تقدير الأكاديمية العسكرية المصرية فى سنة ١٩٧٨ فقد بلغ

الوجود البحرى السوفييتى فى المحيط الهندى حجما يتراوح بين ٢٠ — ٣٠ وحدة بحرية فى المتوسط . ويتركز هذا الوجود فى منطقة بحر العرب وخليج عدن مع وجود محدود فى منطقة الخليج والمناطق الأخرى .

ويحتفظ الاتحاد السوفييتى بعدد من القواعد السكرية التى تخدم اهدافه فى المنطقة اهمها تلك التى يحتفظ بها فى اليمن الجنوبى مثل قاعدة (بين الجبلين الجوية) وقاعدة (التواهى) البحرية . كما يستخدم السوفييت عددا من اراضى الهبوط فى جزيرة سوقطرة . فى حين تنتشر بعض القطع البحرية السوفييتية فى المنطقة فى المحيط الهندى — البحر الأحمر فى عدة مراسى شمال جزيرة سوقطرة وشمال غرب جزيرة بريم .

كذلك تحتفظ كوبا بقاعدة عسكرية تضم مطارا حربيا ومركزا لتدريب القوات الخاصة بمنطقة يافع السفلى . كما تردد مؤخرا أن الاتحاد السوفييتى اقام قاعدة بحرية فى احدى جزر ارخبيل دهلك امام ساحل اريتريا .

وتتمثل الاخطار التى يشكلها الوجود السوفييتى فى تهديد أمن مصر وتهديد الأنظمة العربية المعتدلة فى الجزيرة العربية كذا محاولة التهديد المباشر لمنابع البترول فى منطقة الخليج العربى من خلال اقترابه من اليمن الجنوبى .

ثم ننتقل الى الكتلة الغربية فنبدأ بالولايات المتحدة التى اعتمدت على اساطيلها القوية فى فرض نفوذها وذلك فى غياب الوجود البحرى السوفييتى فيما وراء البحار وقد استمر ذلك حتى منتصف الستينيات . وبتعاظم القوة البحرية السوفييتية — بعد أزمة الصواريخ الكوبية — لم تعد الأساطيل الأمريكية مطلقة الحرية كما كانت من ذى قبل .

وتمثل الوجود العسكرى الأمريكى فى المحيط الهندى والبحر الأحمر والخليج العربى فى الأسطول السابع الأمريكى الذى يشق عباب المحيط الهندى وفى القواعد والتسهيلات الممنوحة للولايات المتحدة فى المنطقة .

ولنبدأ بمنطقة البحر الاحمر . تلك المنطقة التى تشكل الجزء الجنوبى الغربى من منطقة انتاج وتصدير البترول . وقد ادى التغيير الذى اعترى المنطقة الى سعى صانع القرار الأمريكى نحو تأصيل النفوذ الأمريكى فى المنطقة . وقد نجحت الولايات المتحدة فى الحصول على تسهيلات من جانب الصومال والسودان ومصر حيث تم التوصل بين كل من الصومال والولايات المتحدة الى اتفاق وقع فى ٢٢ اغسطس سنة ١٩٨٠ يسمح للأخيرة باستخدام قاعدة « بربرة » وميناء « كسمايو » على المحيط الهندى فى مقابل مساعدة عسكرية واقتصادية للصومال . وقد تمكنت الولايات المتحدة — بحصولها على هذه التسهيلات — من تعويض ما فقدته من وجود ونفوذ فى اثيوبيا بعد سقوط هيلاسيلاسى .

أما عن السودان فقد صرح الرئيس نميرى لوكالة رويتر يوم ١٩ مارس سنة ١٩٨١ بأنه طلب من الولايات المتحدة مساعدات مالية لبناء قواعد جوية وبحرية لاستخدام القوات المسلحة السودانية فى الاحوال العادية مع منح اصدقاء السودان خاصة أمريكا كل التسهيلات البحرية والجوية فى حالة مهاجمة السودان بواسطة قوى كبرى ومن ثم لا يستبعد وجود اتفاق على منح السودان تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة فى الموانىء السودانية على البحر الأحمر .

كذلك منحت مصر الولايات المتحدة تسهيلات بحرية وجوية تستطيع استخدامها بصفة مؤقتة فى ظل وجود مصرى فى منطقة « راس بناس » للدفاع عن أية دولة عربية أو اسلامية تتعرض لغزو اجنبى على أن تتولى الولايات المتحدة استكمال القاعدة بناء على خطة مشتركة . كما أنشأت الولايات المتحدة قاعدة جوية فى « تبوك » فى السعودية للدفاع عن حقول البترول وصد اى هجوم متوقع من العراق ولا يستهدف اسرائيل وذلك طبقا لتصريحات المسئولين الامريكيين (١٤) .

---

(١٤) جمال على زهران : القواعد والتسهيلات الأمريكية فى الشرق الاوسط . السياسة الدولية . العدد ٦٦ ؛ أكتوبر ١٩٨١ : ص ١٠٤ — ٥

هذا فضلا عن محطة الاتصالات الأمريكية الكبرى في « كانيو » شمال اسمرة عاصمة اقليم اريتريا .

ثم تاتي القواعد الأمريكية في المحيط الهندي واهمها قاعدة « دييجوجا رسيا » الواقعة الى الجنوب من جزر مالديف وتبعد ٢٥٠٠ ميل جنوبي مضيق هرمز ويشكل الوجود الأمريكي في الجزيرة أهمية بالغة لمراقبة كافة التطورات في المنطقة والاستعداد للتدخل السريع . وتعد من اهم القواعد الأمريكية للقاذفات الاستراتيجية واهم محطة للاتصالات في المحيط الهندي .

واخيرا منطقة الخليج العربي التي تشكل اهمية كبرى حيث يوجد مضيق هرمز الذي يتم عن طريقه نقل البترول ولذلك حصلت الولايات المتحدة على تسهيلات من امارة « دبي » في دولة الامارات وسلطنة عمان وامارة الشارقة والكويت والبحرين حيث يوجد في « دبي » مركز للاتصالات الأمريكية في قرية « بوعلي » .

وفي سلطنة عمان حصلت الولايات المتحدة على حق استخدام المنشآت العسكرية في عمان التي تشمل ميناء « قابوس » في مسقط وقاعدة « مصيرة » وميناء « صلاله » في اقليم ظفار ومطار عمان الدولي وقاعدة « سيب » الجوية بالقرب من مدخل مضيق هرمز . ولقد استطاعت الولايات المتحده — بهذه التسهيلات — تعويض ما فقدته من نفوذ في ايران .

كما تمكنت الولايات المتحده من الحصول على تسهيلات في ميناء الأحمدي في الكويت خلال عام ١٩٨٠ وتسهيلات في قاعدة « القاسميه » بامارة الشارقة فضلا عن تسهيلات كبيرة في البحرين (١٥) أهمها قاعدة « الجفير » وهي مركز قيادة القوات الأمريكية في الشرق الأوسط .

وفي الوقت الحاضر لا تحتفظ الولايات المتحدة بوجود بحري ثابت في منطقة البحر الأحمر ولكنها تقوم بدفع مفارز بحرية من امكانات الأسطول السابع في المحيط الهندي لتمارس شتى النشاطات في فترات مختلفة وغالبا

---

(١٥) نفس المصدر ، ص ١٠٣ — ٤ .

ما يرتبط دفـع المغارز البحرية بتطورات الموقف السـياسى فى المنطقة . ويهدف الوجود الأمريكى الى موازنة الوجود البحرى السوفييتى فى المنطقة وملء فراغ انسحاب بريطانيـا من شرق السـويس والتى ما زالت تحتفظ بوجود رمزى فى بعض قواعدها فى منطقة غرب المحيط الهندى ويتمثل هذا الوجود فى بعض القطع الخفيفة المتمركزة فى سلطنة عمان . هذا بالاضافة الى المجموعات البحرية التى يجرى دفعها عبر قناة السويس أو رأس الرجاء الصالح الى المنطقـة على فترات متباعدة ويتراوح حجمهـا فى المتوسط من ٨ — ١٢ وحدة بحرية .

بينما يتركز الوجود البحرى الفرنسى فى المنطقـة فى قاعدة جيبوتى بصفة اساسية . ويبلغ هذا الوجود نحو ١٤ قطعة بحرية — حسب تقدير الاكاديميـة — ويجرى تدعيم هـذا الوجود فى أوقات التوتر من امكانات الاسطول الفرنسى فى البحر المتوسط فضلا عن التنسيق مع الولايات المتحدة وبريطانيا كما يوجد لفرنسا وجود بحرى محدود فى قاعدتى رينيون ومايوت .

ويأتى ذلك كله دليلا على رؤية القوى الكبرى لكيفية التعامل مع المنطقة على ضوء اهميتها . ويمكننا القول بأن هذه القواعد والتسهيلات قد أكسبت الغرب — لا سيما الولايات المتحدة — ميزات كبيرة بما يكفل لهـا الحفاظ على استمرار وجودها الاستراتيجى بالمنطقة فضلا عن الحفاظ على التوازن الدولى الاقليمى الذى كاد يختل لصالح الاتحاد السوفييتى .

مخاطر الصراع الاقليمى فى البحر الأحمر :

لقد ادى صراع الدول الكبرى الذى يستخدم غالبـا أدوات اقليمية والوجود العسكرى لعـدد من الدول فى البحر الأحمر فضـلا عن المصالح التى تبغى الدول الكبرى والاقليميـة تحقيقهـا الى بروز عـدة اتجاهات سياسية وهى :

١ — اتجاه المملكة العربيـة السعودية الى القيـام بدور مؤثر فى المنطقة يتناسب مع امكاناتها الاقتصادية وينبع من واقع الحرص على تأمين وانتاج ونقل بترولها وذلك بالدعوة الى تحييـد المنطقة ووضع نظام

لأمن البحر الأحمر ويهدف هذا الاتجاه الى مواجهة النفوذ السوفييتى المتزايد فى شرق افريقيا .

٢ — اتجاه اسرائيل لتدعيم مبدا حرية الملاحة فى البحر الأحمر وضمان عدم اغلاق مضيق باب المندب فى وجه تجارتها وذلك بالسعى الى تعميق الخلاف بين دول البحر الأحمر والحيلولة دون تقريب وجهات نظرها للوصول الى صيغة بشأن تأمينه .

٣ — اتجاه اثيوبيا المعارض لأية ترتيبات جماعية فى البحر الأحمر وعدم تحمس اليمن الجنوبى لذلك وتأكيدها على اشراك اثيوبيا فى اية ترتيبات مقبلة علما بأن اثيوبيا ترفض الوصف الذائع للبحر الأحمر بانه بحيرة عربيـــة (١٦) .

ومن هنا يتضح ان المخاطر التى يتعرض لهـا أمن البحر الأحمر تأتى من وجود خصمين رئيسيين يتصديان لأية سيادة عربية مشتركة على البحر الأحمر هما اسرائيل وأثيوبيا .

استراتيجية اسرائيل فى البحر الأحمر :

كان النشاط الاسرائيلى فى شرق افريقيا قد بدأ فى مطلع الستينيات كجزء من أستراتيجية وطيدة موجهـة الى الحلقة الخارجية للشرق الأوسط التى تضم تركيا وايران واثيوبيا وكانت هذه الاستراتيجية فى مراحلها الأولى تقوم على فكرة الالتفاف حول الدول العربية فى « منطقة القلب » من الشرق الأوسط .

ويرجع الاهتمام الاسرائيلى بالبحر الأحمر الى عـدة اسبابه يدور محورها — كما هو ثابت من تصريحات قادتها — على اظهارها كقوة اقليمية لها اليد العليا فى القضايا المرتبطة بأمن البحر الأحمر كما أنها تخطط بدأب لكى يكون البحر الأحمر شريانها البحرى الحيوى . وقد أتمت تنفيذ مشروع خط انابيب ايلات — عسقلان ومهدت الطريق البرى بين ايلات وشمال

---

(١٦) د. على الدين هلال . المصدر السابق ، ص ٦٨٦ — ٧ .

اسرائيل لضمان حصولها على البترول بعيدا عن قنـاة السويس ولضمان استمرار ملاحتها فى البحر الأحمر (١٧) .

والواقع أن اسرائيل لم تكن تبدى كبير اهتمام — قبل عام ١٩٦٧ — بمسألة حرية الملاحة عبر مضيق باب المندب لأن فرنســا وبريطانيا كانتا موجودتين فى جيبوتى وعــدن .

وعقب عمليات ١٩٦٧ وحتى تكيف اسرائيل نفسها لمواجهة الظروف العسكرية والجغرافية الجديدة فى البحر الأحمر فقد رات ان حماية تجارتها الخارجيـــة مع دول شرق وجنوب افريقيــا واقطار الشرق الأقصى وجنوب آسيا وتأمين طريق ملاحة ناقلات البترول بين ايران وايلات لابد وان يعتمد على سيطرة مياه هذا البحر لا سيما وان الطائرات الاسرائيلية ليست لديها القــدرة المناسبة على تأمين خطوط الملاحة عبر البحر الأحمر وخاصـــة فى الجزء الجنوبى منه حيث يبعــد باب المنــدب حوالى ٢٣٠٠ كم عن ميناء « ايلات » وقد ادت حادثة هجوم الفدائيين الفلسطينيين على ناقلة البترول « كورال سى » قرب مضيق باب المندب الى اسراع اسرائيل الى دراسة واتخاذ اجراءات تأمين ملاحة ناقلات البترول بين ايران وايلات واســتقر رأى القيادة الاسرائيلية على ان الوسيلة المثلى لذلك هى زوارق البحرية صغيرة الحجم ذات السرعة العالية والمرونة الفائقة وقوة النيران الكبيرة .

واذا كان لابد من وجود قواعد تعمل منها القطع البحرية الاسرائيلية فان شرم الشيخ التى تقع على امتداد الساحل الغربى لخليج العقبة وعلى مقربة من مضيق تيران وكذا خليج عصب الواقـــع على الســـاحل الغربى للبحر الأحمر وعلى مقربة من مضيق باب المندب يعتبران نموذجين مناسبين من وجهـــة النظر الجغرافية والطبوغرافية ليكونا قاعدتين حربيتين مثاليتين تتحكمان فى مضيق تيران ومضيق باب المنــدب ، ومن هنـا يمكن أن يكون محور شرم الشـــيخ — رأس سنتيان (على خليج عصب) محسورا بحريا

---

(١٧) د. السـيد عليوة : سياسة اليمن فى البحر الأحمر ، السياسة الدولية ، عدد ٥٤ ، ص ١٠٢ .

استراتيجيا نموذجيا داخل البحر الأحمر يجذب الانتباه ويستدعى يقظة عربية موحدة (١٨) .

ثم كانت حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ التى غيرت الموقف جذريا وكان من الشروط التى وضعتها اسرائيل لتوقيع اتفاقية فصل القوات مع مصر أن ترفع مصر الحصار عن باب المندب . ومما هو جدير بالذكر أن اعتماد اسرائيل على النفط الايرانى تزايد بشكل كبير ولذلك يتخوف كثير من الاسرائيليين من انقطاع هذا الطريق مرة اخرى (١٩) .

ولما كانت القوات الجوية الاسرائيلية غير قادرة على السيطرة على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر عمدت اسرائيل الى تثبيت اقدامها فى اثيوبيا بالرغم من تغيير نظام الحكم هناك . وقد أصبح الدور الاسرائيلى يعمل فى اتجاهين اولهما تصعيد صراعات منطقة البحر الاحمر وتأييد فكرة تدويل مضيق باب المندب بينما يعتمد الاتجاه الآخر على دعم علاقاتها باثيوبيا اذ ان الحيلولة دون نجاح الثورة الأريترية يأتى فى مقدمة الاهتمامات الاسرائيلية فى المنطقة فهى تفضل اثيوبيا موالية للسوفييت ولكنها تسيطر على اريتريا على اثيوبيا موالية للغرب ولكنها فقدت منفذها الى البحر وتركت اسرائيل وحيدة فى مواجهة الدول المطلة عليه (٢٠) .

وخلاصة القول أن المفهوم الاسرائيلى للعلاقات مع اثيوبيا ينطلق من قاعدة محاولات اسرائيل للسيطرة على البحر الأحمر خاصة بعد حرب أكتبر عام ١٩٧٣ بغية تحقيق أهدافها الاستراتيجية والاقتصادية .

وتتمثل أهداف اسرائيل الاستراتيجية فى البحر الأحمر فى سعيها الى فرض وجودها البحرى فى مياهه وتأمين ملاحتها لاسيما فى منطقة جنوب

---

(١٨) عبد الفتاح محسن : محور شرم الشيخ — راس سينتيان ، المجلة العسكرية للقوات المسلحة ، يناير ١٩٧٤ ، ص ص ٣٣ — ٦ .

(١٩) جون ديوك انطونى : البحر الأحمر والسيطرة على مدخله الجنوبى ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، يناير ١٩٧٦ ، ص ١٩١ .

(٢٠) أمل الشاذلى : الأطماع الاسرائيلية فى القرن الأفريقى ، السياسة الدولية ، العدد ٥٤ ، ص ٥٣ .

البحر الاحمر لذلك خصصت زوارق حراسة سريعة لمرافقة السفن التجارية التى تحمل بضائع اسرائيلية مرورا بباب المندب حتى المحيط الهندى كذلك خلق عمق استراتيجى ووجود عسكرى مباشر يشتت الجهد العسكرى العربى فى البحر الاحمر فضلا عن كسر طرق الحصار السياسى العربى وبسط نفوذها الذى تقلص بشكل واضح فى الدول الافريقية والآسيوية عن طريق تأمين خطوط مواصلاتها البحرية مع هذه الدول وبالتالى زيادة حجم التعامل التجارى معها بالاضافة الى تأمين ملاحة ناقلات النفط بين ايران وايلات لضمان استمرار خط انابيب ايلات — اشدود وانعاش كل موانىء استقبال وتكرير النفط واعادة تصديره .

وتدعيما لهذه الاستراتيجية تبذل اسرائيل نشاطا متزايدا من اهمه الدعم المستمر للقمع الاثيوبى ضد الشعب الاريترى حيث انها تعتبر ان أمن اثيوبيا وسلامتها هو ضمان أمن اسرائيل .

أما اهدافهـا الاقتصادية فى قاع البحر الأحمر فتنبع من كونه أكبر المصايف العربية فضلا عن أنه يحتوى على ثروة بترولية كبيرة بالاضافة الى كميات هائلة من المعادن كالذهب والفوسفور والمنجنيز والنحاس والبوتاسيوم .

وتعد اثيوبيا احدى مصادر التهديد الاقليمية لامن البحر الأحمر حيث أنها تستطيع التعرض للملاحة البحرية فى المدخل الجنوبى للبحر كذلك تهديد منطقة الخليج ومصادر البترول بالتعاون مع قوى خارجية .

كما تعتبر ايران أحد مصادر التهديد غير المباشر لأمن البحر الأحمر اذ أن لها أطماعا فى منطقة الخليج العربى ومن المعروف أن الخليج العربى والبحر الأحمر ذراعا المحيط الهندى وهما يتأثران بما يحدث فى اى منهما .

العلاقة بين أمن البحر الأحمر وأمن المحيط الهندى والخليج العربى :

أولا — اهمية المحيط الهندى والعلاقة الأمنية بينه وبين البحر الأحمر :

يغمر المحيط الهندى نحو سبع رقعة الكرة الارضية . وهو يتخذ شكل شبه منحرف ضلع قاعدته القطب الجنوبى وضلعه الأعلى شبه

الجزيرة الهندية وشبه الجزيرة العربية ، وتحده شرقا الجزر الاندونيسية واستراليا ، اما غربا فتحده الشواطىء الافريقية . وتعتبر ماليزيا والجزر الاندونيسية مزلاج الباب الشرقي لهذه المنطقة بينما يعد الشرق الاوسط والسويس مزلاج بابها الغربي .

ولما كان المحيط الهندي يربط بين آسيا وافريقيا فقد أصبح — بحكم موقعه — محيطا افريقيا آسيوياً له اهمية استراتيجية كبرى . ان المحيط الهندي يجب ان يكون ركنا من اركان الايديولوجية الافريقية الآسيوية كما أصبح المحيط الاطلسي ركنا من الاركان الأيديولوجية الغربية . وكانت بريطانيا قد فرضت سيطرتها على المحيط الهندي من اجل الاحتفاظ بمستعمراتها في قارتي افريقيا وآسيا الا ان هذه السيطرة انهارت في النصف الثاني من القرن العشرين حين زالت دوافعها ولم يبق لبريطانيا الا اليسير من آثارها (٢١) . وقد عبر المارشال آلن بروك عن فقدان بريطانيا لسيطرتها على المحيط الهندي بقوله : « مع ضياع سلطة بريطانيا على الهند وبورما انهار الركن الرئيسي الذي تقوم عليه خطة دفاعنا وبدون الاحتياطي الاستراتيجي المتمثل في القوات التي كانت لنا في الهند وكان في قدرتها ان تتحرك نحو الغرب او الشرق فقد اصبحنا عاجزين » (٢٢) .

وكان من نتائج هذا التغيير ان لجأت الاستراتيجية البريطانية الى وسيلة اخرى تساعدها على ابقاء سيطرتها على المحيط الهندي وهذه الوسيلة هي التعاون مع العملاق الأمريكي . فبريطانيا تقدم له الجزر التي تمتلكها في المحيط الهندي بينما تتولى الولايات المتحدة نفقات اقامة القواعد العسكرية عليها على أن يكون الاشراف العسكري مشاركة بين الدولتين كما حدث في دييجوجارسيا (٢٣) .

---

(٢١) د. بطرس بطرس غالي : الاستراتيجية والسياسة الدولية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٥٦ — ٦١ .

(٢٢) Lord Alan brooke, Notes on my life, quoted in Arthur Byrant, Triumph in the West-London, 1959, P. 533.

(٢٣) د. بطرس بطرس غالي ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .

كذلك يمكن أن يقال ان للصين الشعبية خطة مرسومة للانطلاق نحو المحيط الهندى حيث انها ترمى الى زعامة العالم الافريقى الآسيوى . وفى سبيل الوصول الى تحقيق هذا الهدف تبدى الصين اهتماما كبيرا بجميع الدول المطلة على هذا المحيط .

اما العالم الافرو آسيوى — نظرا لشدة تفككه — فلا يستطيع أن ينسق سياسة شاملة تصل الى ابعاد المحيط الواسع الذى يربط مصير القارتين . ثم ننتقل الى احد اجزاء المحيط الهندى الهامة الا وهو الخليج العربى فنقول ان طرح مسألة أمن الخليج تعود الى الفترة التالية لعام ١٩٧١ أى فى اعقاب الانسحاب البريطانى من شرق السويس . وقد تبلورت مسألة الأمن فى فكرة قيام حلف أمنى اقليمى لدول الخليج لسد الفراغ الذى خلفه ذلك الانسحاب .

وكانت هذه الفكرة تلقى تأييد الغرب كمضمون بيد أن موقفه لم يكن واضحا ازاء التطبيق العملى . وبعد توقيع الاتفاقية الايرانية — العراقية فى عام ١٩٧٥ ، وتحسن العلاقات السعودية العراقية بعد حل مشكلات الحدود بينهما ، وبعد ان زار الامير فهد ايران ظهر اعلان اطلق عليه « تعاون وثيق » بين الدولة المطلة على الخليج ، ثم انعقد مؤتمر وزراء خارجية ايران والسعودية والعراق والكويت وقطر وعمان والامارات فى مسقط فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٧٦ لكنه لم يتوصل الى شىء . وكانت النظرة الى الأمن مختلفة بين دول المنطقة ايران الشاه والعربية السعودية والعراق . فكان التصور الايرانى يعتمد على سوق آسيوية مشتركة بين ايران والهند وباكستان بهدف تشكيل تكتل مواجه للقومية العربية بينما انطلق التصور السعودى من مفهوم الأخوة الاسلامية اما التصور العراقى فكان يركز على عروبة الخليج وعلى التنمية ويعتبرهما أسس تحقيق الأمن فى المنطقة (٢٤) .

---

(٢٤) عبد العاطى محمد احمد : التوتر ومشكلات الأمن فى الخليج العربى ، السياسة الدولية ، العدد ٥٩ ، ص ١٠٣ .

وعموما فقد رأت الدول العربية أن أمن الخليج يجب أن يرتبط بالأمن العربي وهو ما لم توافق عليه ايران .

وفي ضوء اختلاف وجهات النظر كان الاتجاه العـام من جانب الدول العربية الذى تزعمته السعودية والعراق هو رفض الدخول في احلاف امنية للدفاع عن الخليج وكان البديل هو تحسين العلاقات السياسية والتضامن بين دول المنطقة فضلا عن اتباع التدابير الذاتية . ولما كان المحيط الهندى يمتد من رأس الرجاء الصالح الى البحر الأحمر والخليج العربي وخليج ملقا فقد تعاظمت أهميته الاستراتيجية في عصر الصواريخ الموجهة والغواصات النووية وسفن السطح الصاروخية والذى يتحكم في المحيط الهنـدى يمكنه السيطرة على المنشآت النووية في قلب الصين ومراكز الصناعة الحربية السوفييتية في وسط آسيا .

لقد أصبح المحيط الهندى أحدث مسرح لتنافس القوى الكبرى ولا يمكن السيطرة عليه الا باستراتيجية بحرية ومن ثم فلابد من أن تصاحب هـذه الاستراتيجية التسـهيلات البحرية قرب مناطق انتـاج البترول في الشرق الأوسط والخليج العربي والقرن الافريقي وفي الهند واندونيسيا حتى تتوفر حرية الحركة وضمان الامداد والصيانة .

ثانيـا — التأثير الاستراتيجي المتبـادل بين البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهنـدى :

تكشف لنا الوثائق المحفوظة في دار الوثائق القومية بعابدين عن مدى تأثير أحـداث الخليج العربي على منطقة البحر الأحمر ومدى تأثير منطقـة البحر الأحمر على الخليج العربي في القرن التاسع عشر (٢٥) . وقد استمر هذا التأثير بل وازداد في التاريخ المعاصر .

ان البحر الأحمر والخليج العربي يعدان مركز الثقل لصراع استراتيجي

---

(٢٥) د. عبد العزيز نوار : التأثير الاستراتيجي والسياسي المتبـادل بين منطقتي البحر الاحمر والخليج العـربي ، البحر الأحمر في التـاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، ص ٣٥٠ .

عالمى تتلاطم تياراته على شواطىء تلك المنطقة . وهما متوازيان تقريبـــا ويتصل كل منهما بأعالى البحار ببوابات بحرية ذات اهميـــة استراتيجية كبيرة .

فمضيق هرمز هو البوابة البحرية التى تصـــل الخليج العربى بخليج عمان والمحيط الهندى . ويقابل ذلك بالنسبة للبحر الاحمر مضيق باب المندب الذى يصل هذا البحر بخليج عدن وبحر العرب ثم المحيط الهندى . وكلاهما طريق عالمى للامداد بالبترول .

وقد أدى تعاظم القـــوة البحرية لكل من الولايات المتحـــدة والاتحاد السوفييتى فى المحيط الهندى الى توفير العمق الاستراتيجى اللازم لوجود القوتين العظميين على مقربة من مدخـــل البحر الأحمر والخليج العربى . وقد قاد هذا الاهتمام الى ايجاد أحزمة تحيط بالمنطقة منها الحزام الشمالى الذى يتكون من الأسطول الســادس الأمريكى والقواعد العسكرية الأمريكية فى شرق البحر المتوسـط وتشـــكل الحزام الجنوبى من القـــاعدة الأمريكية الضخمة فى اثيوبيا (٢٦) وهى ترتبط بالقواعد الأمريكية البريطانية فى جزر المحيط الهندى والتى يؤثر وجودها على الصراع فى الشاطىء الشرقى لأفريقيا وشـــواطىء آســـيا .

ان كل الدلائل تؤكد تزايد أهمية المحيط الهنـــدى فى الصراع الدولى نظرا لأهميـــة الوضع الجغرافى للخليج العربى والبحر الأحمر وما يترتب على ذلك من أهمية استراتيجية لهذين المحورين البحريين الهامين .

ان الخليج العربى منطقـــة متسـعة تمتـــد طولا وعمقا وتقـــل كثافة السكان فيهـــا ومن ثم تخف كثافة القوات المسلحة المســـئولة عن الدفاع عن تلك الارض كما أن المنطقة تفتقر الى المواصلات والطرق البرية الكافية والسكك الحديدية والموانىء المجهزة والكافية لمواجهة تطور الحياة فى السلم والاستعداد لاستقبال ومواجهـــة متطلبات الدفاع ضد من يفـــكر فى غزو

---

(٢٦) تم تصفية القاعدة عام ١٩٧٨ .

الشاطىء الطويل الممتد من جنوب العراق الى مدخل مضيق هرمز لاكثر من ٢٠٠٠ ميل تصلح كلها لعمليات الابرار البحرى والجوى (٢٧) .

وفى الخليج تنطلق رؤوس الامـوال العربيـة لتحقيق موازنة كثير من الدول الكبرى ماليا مما اسال لعاب المسئولين عن استراتيجية تلك الدول بالطمع بدلا من العرفان بالجميل .

ولما كان البحر الأحمر تطـل على مياهه دول جميعها عربية فيما عدا اسرائيل واثيوبيـا فقـد أصبح مع الخليج يمثلان ركنى الحساسية الأول فى كيان العرب . وأصبحت سلامة الخليج مرتبطة تماما ارتباطا عضـويا مباشرا بسلامة البحر الأحمر والعكس صحيح .

واذا تصورنا احتمالات تهـديد الجزيرة العربيـة لوجـدنا أن أكثر انقطاعات تعرضا للخطر هو جناحها الشرقى فى الخليج وقطاعاتها الشمالية والجنوبيه الغربية المطلة على البحر الأحمر حيث توجد المضايق الاستراتيجية التى تحكم الملاحة فى هذا البحر وأن مصـادر الخطر اما أن تكون اسرائيل أو القوات الأجنبية التابعة للدول الكبرى والتى يمكن أن تعمل من القواعد السوفييتية فى اثربيجان أو من غواصاتهـا وسـفنها فى المحيط الهنـدى أو من القواعد الأمريكية فى تركيا والمحيط الهندى أو من الأساطيل السابحة فيه ، ان تسلل القوى الثلاث الى مياه البحر الأحمر ينبىء عن أخطار رهيبة تنطلق منـه لارهاب منطقة الخليج التى تعتمـد بدرجة كبيرة على الملاحة البحرية فى تسويق بترولها وفى استيراد مقومات حياتها وان تعرض البحر الاحمر ومداخله الجنوبيـة بالذات لاى خطـر ينعكس مباشرة على ملاحة الخليج وأمن شعوبه (٢٨) ومن بين التوقعات التى يرددها الخبراء الغربيون ان الاتحاد السوفيتى سيتحول فى الثمانينيـات من دولة مصـدرة للنفط الى دولة مستوردة له وفى رأيهم أن ذلك قـد يؤدى الى تدخـل عسكرى سوفييتى فى منطقـة الخليج خاصـة انه لا تتوفر لديه العمـلة الصعبة

---

(٢٧) د. محمد كمال عبد الحميد : أمن الخليج وأمن البحر الأحمر قضـية واحدة ، الهـلال ، سبتمبر ١٩٧٧ ، ص ١٢ — ٤ .

(٢٨) نفس المصدر ، ص ١٧ .

للاستيراد ، إلا أن الإتحاد السوفييتي قد يستطيع الحصول على العملات الصعبة الكافية من تجارة الأسلحة المربحة . وبمناسبة غزو افغانستان فقد ذكرت مصادر اعلامية مصرية بأن الاتحاد السوفييتي يحتفظ بنحو ٢٤ فرقة مشاه ومدرعة بالاضافة الى سبع فرق محمولة جوا ، ٥٠٠ طائرة قتال فى الخط الأول فى منطقة القوقاز هذا الى جانب ٤ — ٦ بارجة حربية فى المحيط الهندى (٢٩) .

أما الولايات المتحدة فترى أن محاولة السيطرة على الخليج هى بمثابة تهديد لشريان الحياة البترولى لها وللدول الغربية واليابان مما يشكل مبررا لتدخل العسكرى فى المنطقة اذ أن ٥٠٪ من استهلاك أوربا الغربية من البترول الخام ، ٦٢٪ من استهلاك اليابان يأتى من دول الخليج . وفى حين لا تمثل واردات الولايات المتحدة من البترول من هذه المنطقة اكثر من ١١٪ فى الوقت الحاضر الا انها سوف تصبح ٥٠٪ مع حلول عام ١٩٨٥ حسب تقديرات الخبراء (٣٠) .

وقد كانت الولايات المتحدة تعتبر ايران فى ظل الشاه القوة الرئيسية التى تعتمد عليها فى تدعيم نفوذها ومصالحها . وكانت تعد القاعدة الرئيسية فى محاصرة جنوب الاتحاد السوفييتي والتصنت على تحركاته العسكريه من خلال قواعد التصنت والانذار الالكترونية الأمريكية فى الأراضى الايرانية .

كما كانت استراتيجية الولايات المتحدة فى مواجهة التدخل السوفييتي تتركز فى قيام القوات الايرانية بعمليات دفاعية فى المناطق الجبلية شمالى ايران ثم تعاونها بعد ذلك قوات أمريكية جوية ومدرعة . الا ان ظروف الصراع الجديدة فرضت سرعة اتخاذ تدابير أمنية ومن ثم انبعثت من جديد أفكار الأحلاف الاقليمية أو صيغ الأمن الجماعية كما رفضت بعض الأطراف تحركات قواتها المسلحة . وفى نفس الوقت سارعت الولايات المتحدة الى ايفاد

(٢٩) د. عبد السلام بغوى : احتمالات التدخل وابعاده فى منطقة الخليج ، الأهرام فى ١٠/١٠/١٩٨٠ ، ص ٣ .
(٣٠) نفس المصدر .

وزير دفاعها فى فبراير سنة ١٩٧٩ الى المنطقة بشأن استراتيجية الولايات المتحدة ازاء الخليج العربى بعد احداث ايران .

ان منطقة الخليج تفتقر الى القوة البشريه التى يمكن أن تساعد على توفير الأمن الاستراتيجى لها بينما توجد هذه القوة البشرية فى العمق الطبيعى لها — فى منطقة البحر الأحمر — الذى يكون مع الخليج العربى اركانا متممة ومساندة لبعضها البعض . ومعنى هذا انه لا يمكن توفير الأمن الا بالعمل المشترك من جبهة الخليج وجبهة البحر الأحمر وبالتنسيق المستمر بينهما ومن امثلته :

١ — انشاء القواعد الجوية والمطارات بحيث يمكنها حماية سماء الجزيرة .

٢ — اقامة شبكات الانذار والاستطلاع على شاطىء البحر الاحمر فى منطقة الخليج مع تجهيزها بأحدث المعدات واكفا الفنيين .

٣ — الاهتمام بالوعى العسكرى لدى الشباب عدة المستقبل .

٤ — توزيع مستودعات التخزين الاستراتيجية اللازمة للمنطقة كلها طبقا لخطة مدروسة .

٥ — انشاء قيادة عليا موحدة لمنطقتى الخليج والبحر الاحمر مع وجود قيادة اقليمية لكل منطقة وبذلك نواجه الخطر المشترك بعمل واحد منسق فى تخطيطه وموارده .

٦ — الاسراع فى تنفيذ برامج انتاج السلاح وتوحيد اساليب التدريب وتبادل المعلومات وتصفية الخلافات المحلية وتنسيق برامج الانتاج لمواجهة اية ضغوط اقتصادية والتوسع فى تصنيع البترول حتى اذا تم تنفيذ انشاء خط الانابيب من شاطىء الخليج « جنوب الكويت وشمال السعودية » الى ميناء الوجه مثلا فيمكن توجيه البترول اما لتصنيعه فى السويس او بورسودان او عدن او ضخه فى خط انابيب السويس — سيدى كرير او نقله عبر القناة الى اوربا او الى باب المندب واسواق الشرق الاقصى وامريكا فى حالة اغلاق مضيق هرمز .

وبذلك تبقى منافذ التعامل الاقتصـــادى والاستراتيجى مفتوحة أمام أقطار الخليج (٣١) .

٧ — زيادة طرق المواصلات بكافة وسائلها فى البر والبحر والجو فى دول الخليج العربى مع التوســـع فى كفاءة الموانىء البحرية وما يلزمهـــا من مرافق الخدمات وذلك لامكان سرعة نقل القوات والأفراد والمعدات من منطقة ما الى اية منطقة مهددة .

٨ — تطوير التعليم فى كل منطقـــة الخليج ليواجه طبيعـــة المسئوليـــات الحضارية والدفاعية والعلمية الجديدة .

٩ — ضرورة التنسيق الاعلامى والدبلوماسى بين كل دول المنطقة .

١٠ — تنويع الاستثمارات لضـــمان استمرار « الوفرة » اذا تعرضت موارد البترول للتوقف لفترة ايا كان طولها (٣٢) .

حرب اليمن (١٩٦٢ — ١٩٦٧) وأمن البحر الأحمر :

ان السؤال الذى ينبغى طرحه فى مستهل هذا الموضوع هو هل كان للتدخل المصرى فى اليمن ميزات استراتيجية بحيث ادت الى تقـــوية دعائم الأمن العربى أم انه كان على العكس عامل اضعاف أتاح مزيدا من الصراع الدولى وتدخل اسرائيل فى صراعها مع العرب ؟.

فى الواقع انه لم يكن للقيـــادة المصرية استراتيجية شاملة للحـــرب فى اليمن اذ شكلت حملة اليمن ضربة عسكرية مضـــادة للضربة السياسية التى وجهت الى مصر ونجم عنها الانفصال .

وقد برز حينذاك اتجاهان متضادان بشأن التدخل العسكرى فى اليمن :

الاتجـــاه الأول :

وكان يشـــكل عامل اجتـــذاب وتبرير لحكومة عبد الناصر يدفعهـــا

(٣١) د. محمد كمال عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٢٠ — ١ .

(٣٢) د. محمد كمال عبد الحميد : أمن الخليج مسئولية أخرى للعرب ، الهـــلال ، ديسمبر ١٩٧٧ ، ص ١٨ .

الى ارسال قوات مصرية وتحمل أعباء اقتصادية وبشرية تؤثر على حالة مصر والمواجهة المحتملة مع اسرائيل . واستند أنصار التدخل في اليمن الى أن للناصرية أصدقاء يشكلون جبهات معارضة في العراق ضد نظام عبد الكريم قاسم وفي سوريا لمناوأة الانفصاليين وفي الأردن ضد الملك حسين واذا تقاعست مصر عن انقاذ الثورة اليمنية فان ذلك سيضعف عناصر المعارضة سالفة الذكر .

الاتجاه الثاني :

وكان من شأنه أن يجعل المسئولين في مصر يترددون في المغامرة بارسال قوات الى اليمن . وقد أدرك معارضو التدخل العسكري مدى الصعوبات التي ستواجهها القوات المصرية (٣٣) .

وقد تغلب الاتجاه الأول وأبحرت أول قوة مصرية الى اليمن من ميناء الأدبية ليلة ٢/٣ اكتوبر سنة ١٩٦٢ .

وقد حددت توجيهات العمليات مهمة القوات المصرية في اليمن كالآتي :

١ — تأمين ثورة اليمن عن طريق تأمين قاعدة الثورة في صنعاء .

٢ — تأمين سلامة القوات المصرية بالدفاع عن ميناء الحديدة الذي كان قاعدة متقدمة في مسرح الحرب يستقبل القوات والامدادات القادمة من مصر بحرا .

كان من المخطط استخدام لواءين من المشاة في تحقيق تلك المهمة الا أن تطور الموقف أدى الى استمرار تدفق القوات المصرية الى اليمن حتى بلغ حجمها ١٢ لواء مشاة ولواء مدرعا وعددا من الوحدات الخاصة « صاعقة ومظليون » (٣٤) .

---

(٣٣) د. صلاح العقاد : المشرق العربي المعاصر ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٥٥٤ .

(٣٤) هيئة البحوث العسكرية ، مجموعة وثائق حرب اليمن .

مواقف القوى من ثورة اليمن :

اختلفت المواقف التى اتخذتها دول العالم بصفة عامة والدول العربية بصفة خاصة حيث بدت مشكلة اليمن كمحور انقسام بين الدول العربية ، وكانت مصر أول دولة تعترف بالنظام الجديد ثم تلتها سوريا ومن بعد معظم الحكومات الجمهورية .

وفى الجانب المضاد اتفقت المملكة العربية السعودية مع المملكة الاردنية الهاشمية على معارضة النظام الجديد وتحالفتا على الوقوف ضده أما باقى الدول العربية فقد اثرت الانتظار حتى يتضح الموقف . ولما كانت السعودية والأردن من دول البحر الاحمر حق لنا أن نتناول موقفيهما بشىء من التفصيل .

فبالنسبة للسعودية تولد لدى الأسرة المالكة خوف من امتداد تأثير ثورة اليمن الى النظام السعودى واصبح سقوط الامامة فى نظر السعودية بمثابة نذير بسقوطها هى مما ينبغى التحرك لاجهاضه (٣٥) .

كما كان حكام السعودية مقتنعين بأن هدف عبد الناصر من مساندة ثورة اليمن هو الحصول على موطىء قدم فى شبه الجزيرة العربية يطيح منه بالنظام السعودى .

وقد انتهى النظام السعودى الى اتخاذ سياسة دعم الملكيين مقتصرا تدخله العسكرى غير المباشر على توفير القاعدة الخارجية للملكيين فى نجران وغيرها وتقديم الأموال والسلاح (٣٦) . كذلك ساعد السعوديون الملكيين فى تجنيد اليمنيين العاملين فى السعودية بالقوة أو بالاغراء المادى للعمل فى صفوف الملكيين ، كما تجلت المساندة الدبلوماسية فى اتخاذ السعودية خطا ثابتا يقوم على المطالبة بوقف أى تدخل فى الشئون اليمنية الداخلية وترك اليمنيين ليقرروا مصيرهم بحرية (٣٧) . ثم المساندة الدعائية وكانت

---

(٣٥) فؤاد مطر : بصراحة عن عبد الناصر ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٢١١ .

(٣٦) O, Ballance, War in Yemen, P. 85.

(٣٧) تصريحات الملك فيصل فى المؤتمر الصحفى فى نيويورك ، ١٩٦٢/١٠/١٩ ، نقلا عن الاهرام ، ١٩٦٢/١٠/٢٠

السعودية فى هذه المرحلة تقوم نيابة عن الملكيين بكل المجهود الدعائى لخلق الاهتمام والتعاطف الخارجيين مع قضيتهم (٣٨) .

اما عن الأردن فقد تدخل ايضا لصالح الملكيين وان كانت اهمية التدخل الأردنى اقل بحكم نقص الموارد الأردنية ومع ذلك فقد كانت له فائدة كبيرة فى اسابيع القتال الاولى . ويمكن تطبيق التحليل السابق للموقف السعودى — فى خطوطه العامة — على الموقف الأردنى مع اختلاف فى التفاصيل .

وقد تطور الموقف فى اليمن — بعد أن استخدم السلال سرية الصاعقة المصرية التى ارسلتها مصر بناء على طلب مجلس قيادة الثورة اليمنية ووطئت ميناء الحديدة يوم ٥ اكتوبر سنة ١٩٦٢ — تطورا اظهر للعالم أن مصر تساند ثورة اليمن عسكريا . ونتيجة لذلك انشأت السعودية والأردن قيادة عسكرية مشتركة انتقلت الى منطقة نجران فى جنوب السعودية لتكون على مقربة من الأحداث . ثم تطور الموقف بسرعة اثر وصول خبراء اجانب الى الاراضى اليمنية وتسلل الرجال وتسرب الأسلحة والمعدات الى الملكيين فاتخذت القيادة المصرية قرار التدخل العسكرى المسلح وارسال وحدات عسكرية متكاملة الى اليمن للدفاع عن الثورة بعد أن ثبت رسميا وصول كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر الى الملكيين تقدر بنحو ١٢٠,٠٠٠ بندقية ، ٥٠٠ رشاش خفيف ومتوسط ، ١٣٠ مدفع مضاد للدبابات ، ٩٠ هاون أنواع ، ١٦ مدفع مضاد للطائرات ، ٢٠ مليون طلقة مختلفة الأنواع ، ٨٦٠٠ لغم مضاد للدبابات (٣٩) .

وقد كان للتدخل السعودى — الأردنى الى صفوف الملكيين اثره الكبير فى دعم موقفهم مما ادى الى تصعيد المقاومة الملكية ضد القوات المصرية فاضطرت قيادة القوات المصرية فى اليمن الى تخصيص جزء من مجهودها الجوى لمهاجمة قواعد الملكيين فى السعودية فى سلسلة من الغارات تمت فى الفترة من نوفمبر ١٩٦٢ — يناير ١٩٦٢ (٤٠) .

---

(٣٨) O'Ballance, Op, Cit, P. 94.

(٣٩) مركز دراسات التاريخ العسكرى ، مجموعة وثائق حرب اليمن .

(٤٠) O'Ballance, Op, Cit, P. 86.

موقف بريطانيا من ثورة اليمن :

انتهى الامر بدوائر صنع السياسة البريطانية الى عدم الاعتراف بالنظام الجمهورى فى اليمن وان استمر موضوع الاعتراف مطروحا للنقاش حتى نهاية يناير سنة ١٩٦٣ على الرغم من أن مجلس العموم البريطانى صوت فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦٢ فى صف عدم الاعتراف (٤١) .

وقد كان واضحا ان نقطة الاستقرار النهائى فى الموقف البريطانى على قرار الاعتراف قد اتت مع نهاية يناير . ففى ٤ فبراير سنة ١٩٦٣ صرح مصدر مسئول فى الحكومة البريطانية بأن الموقف فى اليمن « غير واضح بما يكفى لتبرير الاعتراف » . وبعدها بيومين صرح لورد دوجلاس هيوم وزير الخارجية البريطانية بأن الممارسة المعتادة للحكومة البريطانية هى الاعتراف بالحكومة حين تملك السيطرة الفعلة على البلاد (٤٢) .

وعلى الرغم من حرص الحكومة البريطانية على تأكيد اتباعها سياسة عدم التدخل فى الشئون اليمنية الا انه لم يكن هنالك ثمة شك فى تقديم الدعم البريطانى غير المباشر وغير الرسمى — ولكنه يحظى بموافقة رسمية — الى الملكيين وقد تمثل هذا الدعم فى امداد القبائل الملكية بالمعدات والأسلحة والخبراء الذين شاركوا فى تخطيط وتوجيه العمليات الملكية فضلا عن قيام البريطانيين بأعمال الاستطلاع الجوى والبحرى لصالح الملكيين (٤٣) .

وقد كان هذا الموقف البريطانى راجعا الى حرصه على استمرار المصالح البريطانية فضلا عن تطور الموقف اليمنى فى الشمال من حركة التحرير فى الجنوب سياسيا وعسكريا ابتداء من يونية سنة ١٩٦٣ وبصفة خاصة فى ابريل سنة ١٩٦٤ وقد دفعت المصالح المشتركة لكل من بريطانيا والسعودية الى نوع من التنسيق العسكرى بين الدولتين كان حده الادنى

---

(٤١) Julian Paget, Last Post : Aden, 1964 – 1967, P.35.

(٤٢) Fred Halli day, Arabia without Sultans, London, 1975, P. 189.

(٤٣) مركز دراسات التاريخ العسكرى ، مجموعة وثائق حرب اليمن

هو دعوة بعثة عسكرية بريطانية إلى السعودية لاعادة تنظيم جزء من القوات المسلحة السعودية (٤٤) .

وفى هذا المقام يجب الا يغيب عنا دور المرتزقة فى دعم الملكيين . ذلك الدور الذى لا يمكن فصله عن السياستين السعودية والبريطانية لأنه بدون المال السعودى لم يكن تجنيدهم ممكنا ولأن البريطانيين منهم كانوا أدوات غير رسمية لتنفيذ السياسة البريطانية . وتشير بعض المصادر الى بدء استعانة الملكيين بهم فى نوفمبر سنة ١٩٦٣ (٤٥) .

وقد أقدمت بريطانيا على ما سبق بعد أن تحددت السياسة البريطانية بمجموعة من المصالح فى الشرق الأوسط التى كان يحكمها البترول والمرور عبر الشرق الأوسط ليكون فى مقدورها تقديم الدعم العسكرى لبلاد الكومنولث فى شرق افريقيا أو فى جنوب شرق آسيا أو بصفة عامة الحفاظ على قدرتها على القيام بعمل عسكرى سريع ومحدود فى المنطقة شرقى السويس ولتحقيق هذه الرغبة كانت لبريطانيا — آنذاك — قواتها فى عدن وسنغافورة .

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من ثورة اليمن :

تحددت السياسة الأمريكية من الثورة اليمنية والتدخل المصرى بتفاعل عاملين اساسيين ، أولهما : المصالح الأمريكية ، وثانيهما : السياسة الأمريكية فى عهد الرئيس كيندى الذى تولى الحكم فى يناير سنة ١٩٦١ وقد تمثلت المصالح الأمريكية أولا فى بترول الشرق الأوسط حيث بلغ نصيب الشركات الأمريكية من انتاج البترول فى المنطقة — حينذاك — نحو ٣٠٪ (٤٦) .

وثانيا فى المرور الاستراتيجى عبر الشرق الأوسط لدعم وجودها

---

(٤٤) د. احمد يوسف احمد : الدور المصرى فى اليمن ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٠ .

(٤٥) O'Ballance, Op, Cit. P. 119.

(٤٦) د. احمد يوسف احمد ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

العسكرى فى منطقة المحيط الهادى حيث تقدم قناة لسويس صلة ذات قيمة بين الأسطول السابع فى المحيط الهندى والأسطول السادس فى البحر المتوسط علاوة على أن الطرق الجوية العسكرية عبر الشرق الأوسط كانت أكثر الطرق ملاءمة لامداد المنشآت الأمريكية فى اثيوبيا والخيج وايران . فضلا عن منع السيطرة المعادية على الشرق الأوسط .

أما عن سياسة كيندى الجديدة فى الشرق الأوسط فقد انطلقت الى تأييد الوطنيين غير الشيوعيين اعتقادا منها انها افضل لتحقيق المصالح الامريكية من تأييد النظم المحافظة التى لا تتصف بالكفاءة (٤٧) » ولذلك اعترفت الولايات المتحدة مبكرا بالنظام الجمهورى فى اليمن وربما ربطتها بالنظام الناصرى بعض روابط الود الا أن ذلك لم يكن يعنى انها ايدت التدخل العسكرى المصرى فى اليمن بل على العكس درج المتخصصون الغربيون فى الشئون العربية على افهام الغرب بأن ذلك التدخل المصرى ليس جزءا من تيار وطنى تقدمى بل يمثل نزعة توسعية لدى عبد الناصر تستهدف فى نهاية الأمر الاستيلاء على منابع البترول ، وقد تمثلت أبعاد السياسة الأمريكية فى ثلاثة عناصر : أولا الاعتراف بالنظام الجمهورى — الذى تم فى ١٩٦٢/١٢/١٦ وثانيا نية الدفاع عن السعودية وثالثا جهود فض الاشتباك . وقد تضمنت رسالة كنيدى الى عبد الناصر فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٢ اقتراحا بفض الاشتباك يقوم على أساس الكف المتبادل عن العون الخارجى لأطراف الحرب الأهلية اليمنية وقد قبل جمال عبد لناصر اقتراح كيندى (٤٨) وتم التوصل الى اتفاقية فض الاشتباك نتيجة جهود رالف بانش مساعد السكرتير العام للشئون السياسية الخاصة آنذاك) الا أن هذه الاتفاقية لم يقدر لها النجاح فى انهاء الحرب الأهلية فى اليمن اذ أنه أمام النجاح النسبى الذى حققه الملكيون فى اليمن لم يكن أمام مصر سوى تصعيد الحرب بدرجة تؤدى الى سيطرة لجمهوريين الكاملة على اليمن قبل تنفيذ

---

(٤٧) Schmit, Civil War in Yemen, PP. 126 – 7. — Halliday, Op. Cit, P. 142.

(٤٨) محمد حسنين هيكل ؛ عبد الناصر والعالم ، ص ٢٩٨ .

اتفاقية فض الاشتباك (٤٩) وهكذا استمرت القوات المصرية فى مواقعها كما واصلت السعودية مساعداتها للملكيين (٥٠) .

السياسة السوفييتية تجاه حرب اليمن :

كان الاتحاد السوفييتى أول دولة غير عربية تعترف بالجمهورية اليمنية فى أول اكتوبر سنة ١٩٦٢ . وقد اعلن على لسان خروشوف ان اى تدخل اجنبى من أى نوع فى شئون اليمن الداخلية لا يمكن السماح به (٥١) .

أما بشأن موقف السوفييت من التدخل المصرى فانهم لم يعطوا تأييدهم السياسى الصريح له وان كانت التعقيبات السوفييتية قد تحدثت عنه بما يفيد التأييد الضمنى غير ان الموقف السوفييتى لم يقف عند حد التأييد الضمنى بل أنه قدم مساعدات للثورة اليمنية ابرزها تعزيز التدخل المصرى المتمثل فى تقديم الأسلحة والعتاد والمشورة الفنية . وقد هدف السوفييت من تأييد ثورة اليمن الى استبعاد السيطرة والنفوذ الغربيين من الشرق الأوسط وتقوية الوضع السوفييتى فيه بأقوى ما يمكن كما انه كان يعتقد فى امكانية قيام نفوذ سوفييتى — عن طريق الوجود المصرى فى اليمن — يصبح له دور مؤثر على مناطق البترول فى الشرق الأوسط وعلى المدخل الجنوبى للبحر الاحمر وأيضا على دول شرق أفريقيا والعديد من الدول النامية .

تأثير حرب اليمن على أمن البحر الأحمر :

كان لحرب اليمن تأثيرات معظمها ضار بأمن البحر الأحمر بالاضافة الى تأثيرات مواتية (ايجابية) ولعل أهم الأبعاد المرتبطة بآثار التدخل المصرى فى اليمن هى الأبعاد العسكرية حيث ان التدخل كان فى بدايته عملا

---

(٤٩) مركز دراسات التاريخ العسكرى ، مجموعة وثائق حرب اليمن .

(٥٠) د. بطرس بطرس غالى ، الحرب الاهلية فى اليمن سنة ١٩٦٢ ، الجامعة العربية وتسوية المنازعات المحلية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٧ ، ص ١١٤ .

(٥١) د. احمد يوسف أحمد ، المصدر السابق ، ص ١٩١ .

عسكريا استهدف مناصرة النظام الجمهورى الجديد وتقديم المساعدة العسكرية البحتة له الا انه تورط فيما بعد فى الخلافات بين الزعماء الجمهوريين ثم انه انتهى من ناحية أخرى نتيجة الهزيمة العسكرية الساحقة فى حرب يونيو ١٩٦٧ مما أثار تساؤلات حول دور حرب اليمن فى هذه الهزيمة التى أدت الى الاخلال بأمن البحر الأحمر لا سيما فى شماله .

ويمكننا القول ان القرار السياسى الاستراتيجى بالتدخل ضد اسرائيل ودفع القوات المسلحة الى سيناء ثم تصعيد الموقف الى حالة الحرب الفعلية بين مصر واسرائيل لم يضع فى حسبانه حالة القوات المسلحة الفعلية المادية والمعنوية ومدى ما تركه مسرح اليمن فيهما من آثار على الرغم من ان عبد الناصر كان قد أعلن فى مايو سنة ١٩٦٥ انه ليس فى مقدوره الهجوم على اسرائيل بينما يوجد فى اليمن خمسين الف مقاتل مصرى . كما ان الفريق اول عبد المحسن كامل مرتجى افصح عن أن عبد الناصر قد أكد له فى ابريل سنة ١٩٦٤ نفس المعنى السابق (٥٢) .

فضلا عن ان الخطة الدفاعية « قاهرة » التى وضعت فى علم ١٩٦٤ للدفاع عن جبهة سيناء قد تأثر تماما بحرب اليمن حيث لم تتوفر لها القوات اللازمة للوفاء بمتطلباتها حتى منتصف علم ١٩٦٦ . كما أشار الفريق صلاح الحديدى الى انه تقرر فى علم ١٩٦٦/١٩٦٧ ضغط ميزانية القوات المسلحة نتيجة الانفاق فى اليمن مما اضر باستعداد القوات المسلحة .

وقد أدى عدم كفاية اجراءات الأمن فى سيناء الى الاخلال بأمن شمال البحر الأحمر الذى بلغ ذروته بهزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ .

كما أدى التدخل غير المباشر من القوى المحلية المتمثلة فى السعودية والأردن واسرائيل التى تحدثت بعض التقارير عن تأييدها للملكيين فى اليمن

---

(٥٢) الفريق مرتجى يدلى بشهادة للتاريخ ، روز اليوسف ، ١٠/١٠/١٩٧٧ ، ص ١٩ .

الذى وصل الى درجة ارسال يهود يمنيين من الذين هاجروا الى فلسطين لكى يحاربوا فى صفوف الملكيين (٥٣) كذا القوى الأجنبية المتمثلة فى بريطانيا الى الاخلال بأمن جنوب البحر الأحمر — وهكذا أصبح البحر الأحمر نهبا للصراع المحلى والدولى .

ولما كان الاعتماد الادارى للقوات المسلحة المصرية فى اليمن يقوم على القاعدة الادارية المتقدمة فى الحديدة التى كانت تستعوض الاحتياجات من القاعدة الادارية الرئيسية فى مصر عبر البحر الأحمر فقد ترتب على هذا الوضع خطورة الموقف الادارى للقوات فى حالة التعرض لخطوط المواصلات البحرية المصرية فى البحر الأحمر من جانب القوى المعادية لا سيما بريطانيا — برغم ضعف هذا الاحتمال — مما كان سيؤدى الى تحرج موقف ثورة اليمن و يما القضاء عليها لاسيما فى المرحلة المبكرة فى عامى ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ حيث كان من المتوقع أن تفقد القوات المصرية مصدر امدادها بعد نفاد الاحتياجات المكدسة فى اليمن . وكان سيؤدى هذا الموقف الى توطيد اقدام بريطانيا فى عدن وتشديد قبضتها على مضيق باب المندب مما يخل بأمن جنوب البحر الأحمر .

أما عن الآثار الاستراتيجية الايجابية فكانت تتمثل فى سيطرة القوى الثورية العربية على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر منذ عام ١٩٦٦ كذلك قرار اليمن الشمالية فى ٣٠ ابريل سنة ١٩٦٧ بمد مياهها الاقليمية من ثلاثة الى اثنى عشر ميلا وهو ما نظر اليه من ذلك الحين على أنه ينبىء عن خطة لمنع مرور اسرائيل من باب المندب فى ضوء الانسحاب البريطانى المتوقع من جنوب اليمن قبل نهاية عام ١٩٦٨ . كما أنه ليس هناك خلاف على الاطلاق حول الأهمية الحاسمة للتدخل المصرى فى اليمن كأحد عوامل تحقيق الاستقلال فى جنوب اليمن وحسبنا اعتراف حركة التحرر الوطنى بقيادة الجبهة القومية والدوائر الاستعمارية (٥٤). وقد يقال كيف تسارع بريطانيا الى الخروج من عدن فى وقت مبكر عما كان مخططا له من قبل برغم الوجود

---

(٥٣) Fred Halliday, Op, Cit, P. 140.

(٥٤) الشهاوى : عبد الناصر وثورة اليمن ، ص ٧٥ — ٦ .

العسكرى المصرى فى اليمن بينما يقتضى المنطق تشبثها بالجنوب حتى لا يسقط فى يد موالية لعبد الناصر ؟ . والجواب على ذلك أن بريطانيا رأت خير وسيلة لمواجهة هذا الاحتمال هو تأييد القوى المعارضة لعبدالناصر حتى ولو كانت تضم عناصر يسارية . الا أنه ما يمكن أن ينسب للتدخل المصرى على وجه التحديد هو الفضل فى التوقيت الذى بدأت فيه المقاومة المنظمة فضلا عن تصاعد المقاومة السياسية ومن ثم التعجيل باستقلال جنوب اليمن مما زاد من ابعاد تأمين جنوب البحر الأحمر بالتعاون مع الجمهورية العربية اليمنية .

حرب اكتوبر ١٩٧٣ وأمن البحر الاحمر :

أدت نتائج حرب يونيو سنة ١٩٦٧ الى حرمان مصر من استخدام قناة السويس واطلاق حرية اسرائيل فى المرور عبر مضيق تيران والبحر الاحمر بل ان الواقع يقول ان اسرائيل استمرت فى الملاحة فى هذا الممر البحرى فى أعقاب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ولم تتحرك اية دولة عربية أو أفريقية للتصدى للملاحة الاسرائيلية فى البحر الأحمر مما قوض من دعائم أمن هذا البحر . وظل الحال كذلك الى ان بدأ التفكير الذاتى لجمهورية مصر العربية خلال عام ١٩٧١ فى النظر الى البعد الثالث للبحر الأحمر وهو باب المندب سعيا وراء احداث توازن استراتيجى فى مواجهة احدى ركائز نظرية الأمن الاسرائيلى وسط مناخ سياسى دولى بالغ التعقيد تتحكم فيه القوتان العظميان .

ومن هنا أخذت القيادات المخططة على المستوى الاستراتيجى فى مصر — وهى بصدد التخطيط لاستئناف الصراع المسلح مع اسرائيل — أن تقدر وتحلل الاستراتيجية المعادية التى كانت نظرية الأمن أهم مقوماتها . وهى لا تعدو الا أن تكون ستارا لتحقيق اهدافها التوسعية على حساب الدول العربية استنادا الى قوة مسلحة متفوقة مع الارتباط بقوة دولية كبرى كحليف مضمون يعاونها على تحقيق اهدافها مرحليا بالاضافة الى العمل على اضعاف وتهديد الطاقات العربية .

ولما كانت نظرية الحدود الآمنة أهم ركائز الأمن الاسرائيلية فقد ركزت

اسرائيل جهودها على المضـــايق البحرية فى شرم الشـــيخ لتأمين خطوط مواصلاتها البحرية عبر البحر الأحمر .

وأمام رفض اسرائيل لجميع الحلول السلمية التى طرحت فى أعقـــاب حرب يونيو ١٩٦٧ لم يبق أمام مصر الا ادارة الصراع المســـلح مرة أخرى لانتزاع حقوقها .

ومن ثم فقد تم التخطيط لحرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ على أنهـــا حرب محلية تستخدم فيها الأسلحة التقليدية فقط لتحطيم نظرية الأمن الاسرائيلى، وفى يوم ٢ اكتوبر ١٩٧٣ حدد الرئيس أنور السادات للقائد العام للقوات المسلحة الهدف الاستراتيجى للحرب ويتلخص فيما يلى :

" تحدى نظرية الأمن الاسرائيلى وذلك عن طريق عمل عسكرى حسب امكانات القوات المسلحة يكون الهدف منه الحاق اكبر قدر من الخســـائر بالعدو واقناعه بأن مواصلة احتلاله لأراضينا يفرض عليه ثمنا لا يستطيع دفعـــه " .

لد كان الهدف الأول من الحرب هو ان نثبت للعـــالم أن التفـــوق العسكرى الاسرائيلى وان دعوى الأمن القائمة على السلاح لا يمكن أن تقرر مصاير الأمور فى المنطقة .

اما بالنسبة للبحر الأحمر فانه اخذ يفرض ثقله كعامل رئيسى فى احداث التوازن الاستراتيجى لاحباط نظرية الحدود الآمنة التى تنادى بها اسرائيل خاصة فى مجال ابطال مفعول اهمية سيطرتها العسكرية على شرم الشيخ .

وقد بدا التحرك المصرى فى اطار التنسيق العربى الثنائى من خـــلال جامعة الدول العربية (٥٥) وقد حدد المسار المصرى مع دول هذه المنطقة فى اطار المصالح المشتركة مع تجنب الحساسيات القائمة بين دولها . وقد بات يقينا على المستويين الســـياسى والعســـكرى فى مصر ان التخطيط

---

(٥٥) صلاح فهمى ، اســـتراتيجية البحر الأحمر فى اطار حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، ص ٦٤٩ .

الاستراتيجى لادارة الصراع المسلح فى منطقة الشرق الأوسط سوف يشمل فى أبعاده وفكرته التخطيط للتعرض لخطوط الملاحة الاسرائيلية فى البحر الأحمر فى محورين : المحور الاول ويتضمن مدخل خليج العقبة وخليج السويس والمحور الثانى ويتناول التخطيط للتعرض البحرى فى منطقة جنوب البحر الأحمر لاضفاء العمق المناسب والبديل المؤكد . ولدراسة المحور الثانى أوفدت لجنة عسكرية خاصة الى منطقة البحر الأحمر خلال الفترة من ٣٠ ابريل الى ١٤ مايو ١٩٧٣ وذلك فى اطار الجامعة العربية . ومن بين ابرز النتائج أن اللجنة تأكدت من عدم الوجود العسكرى الاسرائيلى على جميع الجزر العربية فى جنوب البحر الأحمر وان جميع الجزر العربية باستثناء « قمران » و « بريم » غير محتلة بأية عناصر عربية من دولتى اليمن ، وقد اعتبرت اللجنة ان منطقة المر الملاحى عند جزيرة « أبو عيل » بالاضافة الى منطقة المخا وجزيرة « بريم » ذات اهمية استراتيجية للارتكاز عليها فى مجال العمق التعرضى لخطوط المواصلات البحرية فى جنوب البحر الأحمر . ومن ثم اتضحت ملامح التخطيط التى اتخذت اتجاهين : الاتجاه الأول وكان يأخذ شكل العمل العربى فى اطار جامعة الدول العربية لتقديم التوصيات اللازمة لدعم الوجود العربى بمجموعة الجزائر العربية فى جنوب البحر الأحمر وقد تمثلت فى خلق وجود يمنى مناسب على الجزائر اليمنية الهامة وتوفير نظام انذار بحرى ثم توفير تجميع بحرى وجوى لتأمين المنطقة تحت قيادة مشتركة فى مكان ما على الساحل اليمنى .

أما الاتجاه الثانى فكان يهدف الى الاعداد النهائى لفكرة التعرض لخطوط مواصلات العدو البحرية فى جنوب البحر الاحمر وقد تم ذلك فى اطار من السرية الشديدة وفقا لامكانات مصر الذاتية دون اشتراك خارجى عربى أو أجنبى . وفى النهاية اكتسب هذا التخطيط كافة المقومات التى تشتت العدو وتهدد مصالحه الحيوية وتهدم أهم ركائز نظرية الأمن الاسرائيلية .

وفى السادس من اكتوبر سنة ١٩٧٣ أعلنت مصر عن تحذيرها لسفن الدول بعدم الاقتراب من مناطق العمليات البحرية طبقـا لقواعد القانون

الدولى . واخذت القوات البحرية المصرية تباشر مهامها فى مجال التعرض لخطوط مواصلات العدو فى البحرين المتوسط والأحمر .

وفوجئت اسرائيل بهذا البعد الجديد كما انها لم تتمكن من دخول خليج السويس لنقل بترول سيناء الى ايلات بالاضافة الى عدم قدرتها على التحرك أو اتخاذ أى اجراء فورى تجاه البعد الجديد سوى السعى الدائب الى الدول الكبرى لمعاونتها على رفع الحصار البحرى المصرى المفروض على باب المندب . وبذا تمكنت جمهوريه مصر العربية عند بدء القتال من تحقيق اهم الأهداف الاستراتيجية العسكرية وتقفل الملاحة البحرية فى منطقة « باب المندب » وبذلك سقطت نظرية الأمن الاسرائيلية .

لقد كان الاجراء الذى اتخذته مصر فى جنوب البحر الأحمر يهدف فى المقام الأول الى ضمان أمن البحر الأحمر بالنسبة لمصر وللدول العربية الواقعة على شاطئيه وحرمان اسرائيل ومن يساندها من انتهاك أمن هذا البحر وتهديد سلامته .

التحرك العربى نحو تأمين البحر الأحمر :

كانت أولى الخطوات تلك المبادرة التى اتخذتها مصر لضمان أمن البحر الأحمر بواسطة القوى الذاتيه للدول التى تطل عليه ومن هنا ظهر ما عرف بميثاق أمن جدة عام ١٩٥٦ الذى يضم كلا من مصر واليمن والمملكة العربية السعودية وهو على الرغم من كونه ميثاقا دفاعيا الا أنه يعنى حماية أمن البحر الأحمر من خلال الدفاع المشترك ضد الأخطار الخارجية .

وقد وقع ميثاق أمن جدة بين الدول سالفة الذكر فى مدينة جدة فى الحادى والعشرين من أبريل عام ١٩٥٦ كحلقة من حلقات الاتفاقات بين الدول العربية التى تزعمتها مصر (٥٦) .

وترجع أهمية هذا الميثاق الى أن الدول التى وقعته تشرف على جزء

---

(٥٦) د. رأفت غنيمى الشيخ ، المصدر السابق ، ص ٦١٨ .

كبير من شاطئى البحر الاحمر الآسيوى والأفريقى كما تمسك بمدخل البحر الاحمر من الجنوب والشمال .

وقد جاء فى صلب الميثاق « أن حكومات جمهورية مصر والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية توطيدا لميثاق الجامعة العربية وتأكيدا لاخلاص الدول المتعاقدة لهذه المبادىء ورغبة منها فى زيادة تقوية وتوثيق التعاون العسكرى وحرصا على استقلال بلادها ومحافظة على سلامتها وايمانا منها بأن اقامة نظام أمن مشترك فيما بينها يعتبر عاملا رئيسيا فى تأمين سلامة واستقلال كل منها وتحقيقا لأمانيها فى الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الأمن والسلام وفقا لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة واهدافها وعملا بما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة التاسعة من ميثاق الجامعة العربية فقد اتفقت على عقد اتفاقية لهذه الغاية » .

وحيث أن هذه الدول تطل على البحر الاحمر ولها فيه مياه اقليمية فان تأمين هذا البحر ضد أى عدوان خارجى يقع ضمن مسئوليتها كدفاعها عن الأرض .

وبالرغم من أن ميثاق أمن جدة خطوة عربية لضمان أمن البحر الأحمر ولمواجهة أية تهديدات خارجية الا انه كان فارغا من اى محلول عملى وكان عملا سياسيا أكثر منه عملا واقعيا حيث أن هذه الدول وقعت هذا الميثاق لأهداف متباينة كما لم تتوافر لها القوة البحرية التى تكفل تأمين هذا البحر .

كما اعتبر اتفاقية جدة الموقعة بين مصر والسعودية فى الرابع والعشرين من أغسطس سنة ١٩٦٥ لانهاء الحرب الأهلية فى اليمن وتوفير الاستقرار على الأرض اليمنية — لو قدر لها النجاح — خطوة على طريق أمن البحر الأحمر اذ انها كانت ستنهى الصراع المحلى القائم بين اربع دول تطل على مياهه فى الأردن واليمن الشمالية والسعودية ومصر مما يوحد جهودها ضد الأخطار الخارجية لا سيما ضد الاستعمار البريطانى فى جنوب اليمن .

ثم تصدرت المملكة العربية السعودية الدعوة الى التنسيق بين الدول المطلة على البحر الأحمر منذ عام ١٩٧٢ وكانت تهدف الدعوة أساسا الى بحث الوسائل اللازمة للمحافظة على ثر ات البحر الأحمر . لذا انعقد المؤتمر الأول فى جدة فى ١٩٧٢/٧/١٥ وبحث السبل والوسائل اللازمة للمحافظة على حقوق الدول المطلة على البحر الأحمر فى ثرواته وقد اشتركت فيه كل من مصر واثيوبيا والسودان واليمن الشمالية والسعودية وقد اتفقت الدول مجتمعة على استغلال هذه الموارد كذا اتخاذ اجراءات حمايتها ضد تدخل الدول والهيئات الأجنبية .

أما بعد عام ١٩٧٢ فقد انعقد فى جده فى ١٩٧٦/١/١٢ مؤتمر البرنامج الاقليمى لدراسة أمن البحر الأحمر وخليج عدن وحضره كل من مصر والسودان واثيوبيا والصومال واليمن الشمالية واليمن الجنوبية والسعودية والأردن .

كذلك انعقد فى ٢٧ فبراير ١٩٧٧ مؤتمر القمة الثلاثى بين مصر وسوريا والسودان فى الخرطوم وكان احد موضوعاته الرئيسية أمن البحر الأحمر .

ثم انعقد فى ٢٣/٢٢ مارس ١٩٧٧ مؤتمر تعز كخطوة عملية بارزة المعالم على طريق ضمان أمن البحر الأحمر ضد العدوان الخارجى (٥٧) وقد حضره رؤساء السودان ، اليمن الشمالية ، اليمن الجنوبية والصومال .

ولكن هذا المؤتمر لم يكلل بالنجاح بسبب موقف اليمن الجنوبية من جهة وضعف امكانات الدول المشتركة فيه وعدم قدرتها على اتخاذ عمل فعال نحو أمن البحر الأحمر .

القوى الاقليمية فى حوض البحر الأحمر وامكاناتها فى تحقيق امنه :

يشير الوضع الديموغرافى الى ان معظم شعوب المنطقة تنتمى الى الاصل السامى وتجمع بين شعوبها العربية وحدة اللغة والدين والتاريخ والمصالح المشتركة كما تعتبر قواها البشرية من أهم عناصر قوتها .

---

(٥٧) د. رأفت غنيمى الشيخ ، المصدر السابق ، ص ٦٢٣ .

بينما يتسم الوضع السياسى للدول المطلة على البحر الأحمر بولائها الشديد للدول الغربية فيما عدا اليمن الجنوبى والصومال (٥٨) . كذلك يتميز بعدم الاستقرار وكثرة المشاكل والخلافات والصراعات المحلية .

وتعتبر معظم دول البحر الأحمر خاصة العربية منها دولا نامية حديثة الاستقلال . وعلى الرغم من ثراء بعضها كالسعودية الا انها تعانى مظاهر التخلف مما جعلها جميعا تحتاج الى الارتباط بأى من المعسكرين الغربى او الشرقى وتختلف اتجاهات وأيديولوجيات هذه الدول طبقا لمدى ارتباطاتها السياسية والاقتصادية بأى من القوتين العظميين . وتمثل مصر احدى الركائز الأساسية فى استقرار الموقف العربى كما تفرض امكاناتها البشرية والتكنولوجية والاقتصادية مسئولية كاملة عليها فى التصدى لاية اطماع محلية أو دولية ومن ثم تبرز اهمية تدعيم السودان اقتصاديا وعسكريا حتى يتمكن من الاسهام فى استقرار المنطقة كذلك تدعيم الصومال اقتصاديا وعسكريا حتى لا يرتمى فى احضان الاتحاد السوفييتى بينما يتضح لنا أن أثيوبيا هى الدولة الوحيدة فى المنطقة التى يمكن لاسرائيل الارتكاز عليها لتأمين مصالحها فى جنوب البحر الأحمر .

وتشير حقائق الوضع الاستراتيجى والعسكرى الى ان الدول العربية المطلة على البحر الأحمر — فيما عدا مصر — ذات قدرات عسكرية محدودة أو متخلفة بحريا وبالتالى فهى قاصرة عن الدفاع عن نفسها بحرا أو برا . فى حين أن قوة هذه الدول نفسها هى التى تشكل الأساس لتقويم الوضع الاستراتيجى لا سيما أن وجود القوى الكبرى يتركز خارج البحر الأحمر أكثر منه داخله وأن دعوتها الى المنطقة عادة ما تتم من جانب القوى المحلية لسد النقص فى قوتها العسكرية أو وضعها الاقتصادى الأمر الذى أحال المنطقة الى ساحة للصراع والتنافس (٥٩) .

---

(٥٨) تحول الصومال عن الاتحاد السوفييتى بينما انحازت اثيوبيا اليه منذ عام ١٩٧٨ .

(٥٩) د. السيد عليوة ، الجوانب الاستراتيجية فى صراعات البحر الأحمر - السياسة الدولية ، عدد ٥٩ ، ص ٣٨ .

وإذا أنعمنا النظر فى أرقام الجدول الآتى لإنتهينا الى عـدة حقائق من أهمها ان اسرائيل ومصر تعدان من أبرز القوى العسكرية فى المنطقة أما المملكة العربية السعودية فعلى الرغم من امكاناتها الاقتصادية الفائقة فان هناك عوامل تقيد من تصاعد قوتها العسكرية — لعدة سنوات قادمة على الاقل — وليس هناك خلاف على أن الأسطول البحرى القادر على العمل الفعال فى البحر الأحمر هو لمصر أولا ثم لاسرائيل .

ولعل أفضل اسلوب لتأمين الدول العربية هو أن تتعاون مع مصر على أساس استراتيجية مخططة علميا يتم خلالها تنسيق الدفاع والأمن فيما بينها مع السعى الدائب الى احتواء الصراعات المحلية والعمل على استمرار عروبة ارتريا وضمها الى الأمة العربية وتقليص النفوذ السوفييتى فى المنطقة .

اقطـار البحـر الأحمـر (٦٠)

« يناير ١٩٨٠ »

الدولة	عدد السكان بالمليون	طول الساحل بالميل	اجمالى الناتج القومى بالمليون دولار	عدد القوات المسلحة بالألف
مصـر	٤١ر٠	٨٩٨	١٨١٠٠	٣٩٥
السودان	٢١ر٠	٣٠٩	٦١٥	٦٣
اثيوبيا	٣٠ر٠	٤٢٥	٣٠٠٠	٢٢٢
جيبوتى	٣ر٠	٢٥	٦٥	٣
اسرائيل	٣ر٨	٧	١٠٥٠٠	٤٠٠
الأردن	٣ر٠	٥	١٨٠٠	٦٨
السعودية	٨ر٠	١١٢٥	٦٤٠٠٠	٤٥
اليمن الشمالية	٧ر٥	٢٧٥	١٥٠٠	٣٦
اليمن الجنوبية	١ر٩	—	٥٠٠	١٩
الصومال	٣ر٥	—	٤٢٥	٤٧

(٦٠) د. السيد عليوة ، المصدر السابق ، محمود توفيق ، البحر الأحمر فى الاستراتيجية الدولية ، السياسة الدولية ، العدد ٥٧ ، ص ٣٢

سياسات ومواقف الدول العربية من قضية تأمين البحر الأحمر :

١ — جمهورية مصر العربية :

استطاعت جمهورية مصر العربية تقفل باب المندب فى وجه الملاحة الاسرائيلية فى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ . وقد بات من المتوقع أن تعمل اسرائيل على تلافى ذلك مستقبلا فيما لو نشبت حرب جديدة . لذلك يجب على مصر أن تعيد النظر فى تجهيز مسرح عمليات البحر الأحمر على ضوء الاحتمالات المقبلة بالتنسيق مع دول البحر العربية مستغلة امتداد سواحلها لمسافات طويلة مما يوفر لقواتها عمقا استراتيجيا فضلا عما تمثله سواحل الدول العربية الأخرى كامتداد لهذا العمق .

ولما كان مسرح عمليات البحر الأحمر ضيقا نسبيا فانه يتطلب قوات بحرية تتميز بالكيف وليس بالكم .

وعلى ضوء ما سبق يمكن لمصر تنفيذ خطة ناجحة فى احكام الحصار حول اسرائيل من خلال تمهيد سياسى وعسكرى مع الدول العربية المطلة على البحر الأحمر .

٢ — السودان :

يشكل السودان عمقا استراتيجيا لمصر كما أن سواحله على البحر الأحمر تعتبر امتدادا طبيعيا لسواحل مصر . ويمكن الاعتماد على السودان فى القيام بدور محدود فى البحر الأحمر لامكانياته العسكرية المحدودة الا انه يستطيع أن يقدم التسهيلات اللازمة للقوات الجوية والبحرية المصرية للتمركز والعمل من موانيه ومطاراته . ولا يغيب عن الأذهان أن مصر والسودان تكونان وحدة عسكرية متماسكة حيث تعد مصر خط الدفاع الشمالى القريب للسودان . كذلك يعتبر السودان بمثابة خط الدفاع الجنوبى لمصر كما أنه من وجهة النظر الدفاعية يعتبر القاعدة الوطيدة التى ترتكز عليها مصر فى حالة تعرضها لخطر الغزو الخارجى لاتساع مساحته وتعدد منافذه وثغرات اتصاله بالعالم الخارجى . كما أن السودان يحتاج الى مصر لكي يحافظ على امنه وسلامته ضد اي خطر يهدده من شرقه أو

جنوبه او غربه . ولا يخفى على احد ان السودان فى حاجة الى الاستقرار السياسى الذى يمكنه من ان يقوم بدوره فى المنطقة . ولقد رأينا كيف كرر الاستعمار محاولته لاثارة مؤامرة فصل جنوب السودان عن شماله وكيف ابدت مصر استعدادها الكامل لوضع قواتها تحت تصرف السودان منذ عام ١٩٦٤/١٩٦٥ . كما أسهمت مصر فى القضاء على الانقلاب الشيوعى الذى قام به هاشم العطا فى يوليو سنة ١٩٧١ ضد الرئيس جعفر نميرى لحساب بعض العسكريين السودانيين الشيوعيين الذين كانوا خارج السودان فى حين انتقلت الكلية الحربية المصرية الى السودان اثناء الاعداد لحرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، كما تمركزت بعض القاذفات المتوسطة فى مطارات السودان فى تلك الفترة بعيدا عن متناول الطيران الاسرائيلى . كذلك ساندت مصر نظام الرئيس نميرى فى محاولة الانقلاب ضده فى يوليو ١٩٧٦ .

٣ — الصومال :

تدخل سواحل الصومال فى نطاق حزام الأمن الاستراتيجى للدول المطلة على البحر الأحمر الا ان سعى الصومال الى ابراز دوره فى البحر الأحمر يرجع الى عدة أسباب اهمها الحصول على الدعم المادى والعسكرى من الدول العربية لمواجهة اثيوبيا .

وليس من المتوقع قيامه بدور مؤثر فى تأمين البحر الأحمر فى الوقت الحاضر لانشغاله فى صراع مسلح مع أثيوبيا فى اقليم أوجادين فضلا عن عدم الاستقرار الداخلى وضعف امكاناته العسكرية والاقتصادية .

٤ — المملكة الأردنية الهاشمية :

ان موقع الأردن الجغرافى ووقوعه تحت التهديد المباشر لاسرائيل خاصة فى منطقة البحر الأحمر ثم ارتباطه بالسياسة الغربية والأمريكية بوجه خاص يجعلانه معزولا تماما عن الاسهام فى أى عمل عربى مشترك فى منطقة البحر الأحمر .

٥ — المملكة العربية السعودية :

تتمتع السعودية بدور اقليمي مؤثر في المنطقة العربية وترتكز السياسة الخارجية السعودية على ثلاث اعتبارات . الأول مواجهة النفوذ السوفييتي في الشرق الأوسط والقرن الأفريقي والثاني اقامة انظمة معتدلة حول منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر والثالث تأمين وحماية طرق البترول (٦١) .

وترتبط هذه الاعتبارات بالاستراتيجية الأمريكية في المنطقة . وقد ازداد اهتمام السعودية بالمنطقة بعد ارتفاع أسعار البترول وسقوط نظام هيلاسلاسي كذلك اطردت المصالح السعودية في البحر الأحمر بعد مشروع خط انابيب ينبع الذي يمتد لنقل البترول من حقول ابقيق الى ميناء ينبع على البحر الأحمر والهدف من انشاء هذا الخط هو تقليل اعتماد السعودية في تصدير بترولها على الخليج العربي والاعتماد بشكل اكبر على البحر الأحمر .

وتنتهج السعودية سياسة خاصة تتفق مع مصالحها وعدم مجابهتها للغرب وبالنسبة للبحر الأحمر تنادى السعودية بجعل البحر الأحمر منطقة أمن وسلام وابعاده عن مناطق الصراع . لذلك فانه من المستبعد اسهام السعودية في أى عمل عسكرى مشترك في البحر الأحمر ولكن يمكن الاعتماد عليها فقط في التسهيلات التى تمنحها للقوات المصرية في موانيها ومطاراتها والعمل من سواحلها للسيطرة على مضيق باب المندب اذا ما دعت الضرورة الى ذلك .

٦ — الجمهورية العربية اليمنية :

تشترك مع اليمن الجنوبى من حيث الموقع في السيطرة على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر . ويمكنها القيام بدور فعال في السيطرة على هذا المدخل اذا ما وفرت لها الدول العربية الامكانات العسكرية والاقتصادية اللازمة . الا أنها تتفق مع السعودية في الرأى القائل بجعل البحر الأحمر

---

(٦١) نائلة صبرى ، المساعدات المالية والعربية الى دول البحر الأفريقية، السياسة الدولية ، عدد ٥٩ ، يناير ١٩٨٠ ، ص ٢٩ .

منطقة أمن وســـلام بعيدة عن الصراع الدولى بالاضافة الى تبنيها فكرة التنسيق بين الدول العربية المطلة على البحر لاستغلاله اقتصـاديا ونظرا لضعف امكاناتها العسكرية فانه لا يعتمد عليها فى القيام باى عمل عسكرى فى البحر الأحمر غير أنه يمكنها منح تسـهيلات للقوات العربية فى موانيهـا ومطاراتها .

٧ — جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :

تعتبر أكثر الدول العربيـة المطلة على البحر الأحمر اهمية من حيث الموقع الجغرافى الا ان ارتباطهـا بالاتحاد السوفييتى أخرجهـا عن المسار العربى فى تأمين البحر الأحمر . لذلك فانه يستبعد قيـام اليمن الجنـوبى باى دور فعـال فى الوقت الحاضر ولكنه قد يوفر تسهيلات بحرية وجوية محدودة . وجـدير بالذكر ان لليمن الجنوبى دورا خاصا فى القرن الأفريقى يتصادم مع السياسة الاسلامية فبعد أن كانت تؤيد الاريتريين لعدة سنوات من نضالهم من اجـل الاستقلال عن أثيوبيـا اتجهت الى تأييـد الأخيـرة بعـد أن انحازت حكومة مانجستو الى الاتحاد السوفييتى . ونتيجة لهذا الموقف الجديد أصبح اليمن الجنوبى معزولا عن العالم العربى .

ويتضح من هذا العرض أن القيام بعمل عربى مشترك من شأنه تأمين البحر الأحمر امر مستبعد فى ظل الظروف الراهنة . لذلك فان الأمل البعيد هو اشراك جميع الدول العربية فى خطة موحدة لتأمين البحر الأحمر سياسيا وعسكريا واقتصاديا .

العلاقات العربية الافريقية وأمن البحر الأحمر :

ليس هناك كبير اختلاف على أن خضوع كل من أفريقيا والعالم العربى فى نفس الحقبة التاريخية للاستعمار قد أتى بمتغيرات جـديدة كلية ابرزها أن الاستعمار قد قضى على امكان أن يلعب العرب والأفارقة دور الفـاعل المستقل فى النظام الدولى ومن ثم فان الحديث عن علاقات عربية افريقيـة غير وارد أصلا ومن جهـة أخرى اصطدمت قوى الاستعمار مباشرة وأولا بالعرب فى أفريقيا سواء لانهم كانوا فئة مميزة وبالتالى كانوا أصحاب مصلحة للتصـدي للاستعمار او لان الدين الاسلامى كان دافعـا محتملا لمقـاومة

الاستعمار « المسيحي » . ولذا كان على الاستعمار أن يفرض ثقافته الخاصة في افريقيا ومن ناحية ثالثة ربط الاستعمار اقتصاد المستعمرات عضويا باقتصاد البلد المستعمر . وهكذا قضي على الصلات العربية الأفريقية سواء في المجال السياسي او الثقافي أو الاقتصادي (٦٢) . ومما يثير العجب أن نفس الاستعمار هو الذي قدم الأساس القوي لازدهار هذه العلاقات في الفترة المعاصرة ، وذلك لأنه وضع كلا من العرب والأفارقة في نفس الموضع داخل النظام الدولي . وعلى الرغم من غياب التنسيق بينهم فقد وجدوا أنفسهم حلفاء طبيعيين في معركة واحدة ضد الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الثانية .

وعندما نتناول مسألة الأمن العربي الأفريقي نجدها أكثر المسائل اثارة للاحباط للمهتمين بتعزيز العلاقات العربية الأفريقية . فمن الناحية النظرية هناك دوافع لوجود استراتيجية لأمن عربي — أفريقي . فالعامل الجغرافي يستوجب وجود مسائل أمنية مشتركة بين العرب والأفارقة لعل اوضحها أمن البحر الأحمر ثم هناك التهديد الاسرائيلي لكلا الجانبين كذلك تهديد النظم العنصرية في أفريقيا . ومن المفروض أن يؤدي ذلك الى عمل مشترك لمواجهة هذا التهديد . وأخيرا هناك التهديد المتمثل في تدخل القوى العظمى في الصراعات الاقليمية في المنطقتين . بيد أن مصادر التهديد السابقة لم تؤد الى تبني استراتيجية عربية — أفريقية مشتركة . فالعرب طرحوا قضية أمن البحر الأحمر في صورة تحقيق عروبة البحر أما بالنسبة لتهديد اسرائيل والنظم العنصرية فلم تتعد المسائل التضامن السياسي وبعض التبرعات العربية الرمزية لحركات التحرر الأفريقية الحالية . ولا ريب أن الانقسامات السياسية بين العرب والأفارقة وفي داخل كل منهما يجعل الحديث عن أية مواجهة مشتركة للتهديدات الخارجية لا سيما تدخل القوى الكبرى في الصراعات الاقليمية مفاجأة سياسية .

---

(٦٤) د. أحمد يوسف أحمد ، سياسات البحر الأحمر والعلاقات العربية الأفريقية ، السياسة الدولية ، العدد ٥٩ ، يناير ١٩٨٠ ، ص ١٧ .

ان ما تحقق من تعاون عربي — افريقي ربما كان كبيرا الا انه مازال هشا وهو اقل ما يبدو وضوحا في اقليم البحر الأحمر (٦٣) .

الاستراتيجية المقترحة للدول العربية تجاه امن البحر الاحمر :

تعني هذه الاستراتيجية في المقام الأول جميع الدول العربية المطلة على البحر الاحمر بما فيها اليمن الجنوبية حيث ان نظامها الماركسي لا ينتظر ان يستمر لفترة طويلة . ويمكن تحديد الهدف الاقليمي العربي في البحر الأحمر ليكون « استمرار البحر الاحمر كشريان لخدمة التجارة العالمية بعيدا عن تأثيرات الصراعات المحلية والعالمية بما يحقق المصالح المشتركة لدوله وذلك باتباع استراتيجية عربية موحدة » .

وطبقا لذلك يمكن أن تتضمن الاستراتيجية العربية الشاملة ، استراتيجية سياسية ودبلوماسية واستراتيجية اقتصادية واستراتيجية ايديولوجية ومعنوية ثم استراتيجية عسكرية .

وتشتمل الاستراتيجية السياسية على عدة مقومات منها وضع قواعد ثابتة لمرور السفن من باب المندب على اساس احترام حقوق جميع الدول في المرور البحري وحسم التبعية السياسية لجزر البحر الأحمر والتمسك بعروبتها مع السعي الى تحييد اثيوبيا واضعاف الوجود الأجنبي فيها واستمالة اليمن الجنوبية الى الخط العربي بالاضافة الى دعم التضامن العربي الأفريقي وضمان تأييد منظمة الوحدة الافريقية للحقوق العربية في البحر الأحمر وذلك بالتنسيق المشترك بين منظمة الوحدة الأفريقية وجامعة الدول العربية ثم ضمان موقف مؤيد من الولايات المتحدة للهدف العربي تجاه البحر الأحمر .

أما الاستراتيجية الاقتصادية فيجب ان تهدف الى مساندة العمل السياسي والدبلوماسي وربط مصالح دول شرق افريقيا الاقتصادية بالأسواق العربية مع التركيز على كل من اثيوبيا وجيبوتي واوغندا وكينيا ومنافسة النشاط الاقتصادي الاسرائيلي في هذه الدول كذلك استخدام المصالح

---

(٦٣) نفس المصدر ، ص ٢٨ .

الأوربية فى الدول العربية كوسيلة لاقناع الدول الأوربية بتأييد الهدف العربى تجاه البحر الأحمر .

بينما يجب أن تتضمن الاستراتيجية الأيديولوجية والمعنوية تدعيم الروابط بين الدول العربية ومنظماتها السياسية والشعبية والثقافية مع ايضاح مخاطر الصراع بين الدول الكبرى فى منطقة المحيط الهندى على أمن دول حوض البحر الأحمر فضلا عن تنمية الدعوة الاسلامية فى كل من أثيوبيا وجيبوتى ودول شرق أفريقيا مع كشف دور الأيديولوجية الشيوعية وأهدافها فى المنطقة ثم يأتى دور الاستراتيجية العسكرية التى يجب أن يبدأ التخطيط لها من منطلق أساسى هو الهدف السياسى العسكرى الذى اقترح أن يكون « تحقيق أمن الدول العربية فى حوض البحر الأحمر فى مواجهة الأخطار المحتملة وذلك بالتنسيق العسكرى المشترك بين هذه الدول » .

ولكى نصل الى الأسلوب المقترح لتحقيق الهدف السياسى العسكرى لابد من دراسة مصادر التهديد والموقف العسكرى للدول العربية المطلة على البحر أو موقف المطارات والموانىء وهو ما سلف ذكره .

وعلى ضوء ما تقدم يمكن تحديد الأسلوب المقترح لتحقيق الهدف السياسى العسكرى فى النقاط الآتية :

١ — ضمان الحد الأدنى للتنسيق العسكرى بصفة عامة مع وضع الخطط المرحلية كتنسيق الجهود العسكرية للدول العربية المطلة على البحر الأحمر والعمل على انشاء قوة مشتركة تتبع قيادة موحدة أو مشتركة .

٢ — تحديد حجم القوات المشتركة التى يجب أن تخصصها كل دولة للاشتراك فى تحقيق هذا الهدف وبالتالى مناطق تمركزها ونظام فتحها الاستراتيجى والتعبوى وتكوين تجميع القوات المناسب ومهامه على أن تكون هذه القوات قادرة على تأمين مضايق البحر الأحمر وجزره بقوات مناسبة كذلك تأمين الجسور البحرية التى يمكن أن تمد بين الدول العربية مثل مصر والسودان — ومصر والسعودية — السعودية والسودان — مصر واليمن الشمالية .

مع قدرتهـا على اضعاف تجميع اسرائيل البحرى فى البحر الاحمر وفى خليج عدن وفى قواعده فى ايلات ومراسى سيناء وكذا اية قواعد يرتكز عليها فى اثيوبيا او فى دول شرق ووسط افريقيـا . بالاضافة الى توجيـه الضربات البحرية والجوية والبرية ضد هذه القواعد . فضـلا عن فرض حصار بحرى فعال ضد ايلات مع حماية الملاحة البحرية العربية والصديقة فى البحر الاحمر وتقوية الدفاع عن السـواحل العربيـة كذا تقوية عناصر الدفاع الجوى والاحتفاظ باحتياطى استراتيجى ووسـائل نقله جوا وبرا قادر على تقديم مساعدة فعالة وعاجلة . هـذا فضـلا عن تطوير القوات المسلحة ورفع كفاءتها القتالية لتحقيق اهدافها بنجاح .

٣ — اعداد مسرح العمليات :

ويشتمل على تطوير الموانىء والمراسى والمطـارات وانشـاء شبكة جديدة من المطارات لا سـيما فى منطقة حلايب وطوكر وكسلا بالسـودان والمنطقة بين راس بناس وسفاجا فى مصر تخدمها شبكة متكاملة من وسائل الانذار والرادارات الاستطلاع الجوى والبحرى . كما انه من الحيوى انشاء شركات ملاحـة مشتركة للعمـل بين الموانىء المصرية يمكن استخدامهـا عند الضرورة لعمل جسور بحرية بين دول المنطقـة بالاضافة الى انشـاء شـبكة مواصـلات متطورة مع التركيز على طرق المواصـلات بين مصر والسودان ، وبين السـعودية والأردن وبين السـعودية واليمن الشمالية ثم اعداد القوات واجراء المناورات المشتركة بين دول المنطقـة . كذلك الاهتمام المستمر بالجزر الموجودة فى البحر الاحمـر اذ يخشى أن تستخدم هـذه الجزر كنقط وثوب على الدول المطلة على البحر وان تصـبح قواعد عسكرية تخدم اغراضا عدوانية ضد دول المنطقة مع تحويل بعض الجزر التى تتمتع بموقع جغرافى واستراتيجى هام الى قواعـد عسـكرية لحماية المضايق الشمالية والجنوبية والموانىء البحرية وفرض الوجود الحضـارى العربى على الجزر ذات الاهميـة الاستراتيجية لتكون مواقع أمن متقدمة لمواجهة أى عدو يهدد سواحل البحر الاحمر .

هل يمكن ان نجعل من البحر الاحمر بحيرة عربية ؟

ان هــدف تحييد البحر الأحمر أو اعلانه منطقة ســلام هو مسألة لا تتوقف على ارادة القوى الاقليمية بقــدر ما ترتبط باستراتيجيات القوى العظمى والتى على الرغم من اختلاف اهدافها ومصالحها فانهــا تتفق على الرغبة فى الاستمرار فى الوجود العسكرى فى المنطقة . وهكذا فان تحييد البحر الأحمر يدخل فى باب الأمانى والنوايا الحسنة .

كما ان الحديث عن اعتبار البحر الأحمر بحيرة عربية ما دامت الدول المطلة على شواطئه تكاد تكون كلها عربية وما دامت مفاتيح منافذ هذا البحر فى ايد عربية قد يكون تعبيرا عن آمال وتطلعات تنقصها الفرص والامكانات .

ولو تصورنا — فرضا — ان القوى المحلية وقفت جميعها معا وارادت أن تحول بحرا ما الى « بحــيرة » فيما بينهــا وفى منأى عن الدول الكبرى والصراعات الدولية فان ذلك لا يعدو الا أن يكون أمنيات هيهات أن تتحقق . اذ ان حرية حركة هــذه القوى فى البحار مسألة ضرورية وحيوية لهــا . ان الضغط والمنــع والحرمان فى ظروف الاســتقطاب الدولى بما يتسم به من صراع محكوم مسألة غير واقعية وهذا يدفع بنا الى الحديث فيما يراه البعض من ان ينجح العرب — اذا اجتمعت كلمتهم — فى تحويل البحر الأحمر الى بحيرة عربية . ولما كنا قد أوضحنا استحالة تنفيذ ذلك بالنسبة للقوى الكبرى فان هذا ينسحب ايضا على القوى المحلية .

فاذا تصورنا ان كلمة جميع دول البحر الأحمر قد اتحــدت على منع اسرائيل من استخدام هذا البحر فان ذلك لا يعنى تحقيق الهدف لأن هناك دولا خارجية يمس هذا التصرف مصالحها ومكانتها وهى قادرة على شل حركة من يحاولون هذا المنع (٦٤) كما انه ليس من مصلحة الجانب الآخر فى ظل الصراع الدولى ان يساعد على هذا المنع . غير ان افتراض اتحاد كلمة كل الدول المطــلة على البحر الأحمر فى ظــل الاستقطاب والصراع

---

(٦٤) د. ابراهيم صقر : أمن البحر الأحمر ، البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، جامعة عين شمس ، ص ص ٦٦٧ — ٨ .

الاجتماعى التى تمر بها دول العالم الثالث افتراض غير واقعى وقد اثبتت تجربة حرب اكتوبر ١٩٧٣ ان محاولة اغلاق البحر الأحمر امام اسرائيل لا يمكن ان تستمر لأن الدول الغربية لا سيما الولايات المتحدة الامريكية لا يمكن ان تسمح بهذا (٦٥) .

ان الدول العربية فى حوض البحر الأحمر لا تستطيع كلها — فى ظل الأوضاع الراهنة — ان تنتهج سياسة ذاتية خاصة كما يفتقر معظمها الى القوة العسكرية التى تحول دون اشتراكها بدور فعال فى اى مخطط عربى لواجهة اسرائيل فضلا عن ان حاجة هذه الدول الى التنمية يجعلها تحت ضغط وتأثير القوى الخارجية كما ادت التناقضات بين هذه الدول وتخلفها السياسى الى التفريط فى الحق العربى فى بعض الجزر (تسليم بريطانيا بعض الجزر العربية الى أثيوبيا) .

وعلى ضوء هذا العرض يقفز السؤال الحقيقى الذى يجب ان يطرح وهو كيف يمكن لدول البحر الأحمر العربية ان تحقق اقصى قدر متاح من الأمن القومى لها على ضوء معطيات الصراع الدولى فى المنطقة ؟ هل هو التنسيق العسكرى فيما بينها لتحقيق أهداف محددة ؟.

هل هو فى تشكيل قوات بحرية عربية مشتركة او قيادة عربية مشتركة فى البحر الأحمر ؟.

هل يتمثل ذلك فى زيادة وجودها العسكرى فى البحر بشكل مؤثر وفعال ؟.

هل هو العمل على تطوير التعاون فيما بينها كدول او كعمل مشترك ؟.

ان تحقيق هذه الأهداف او بعضها يتطلب الاتفاق حول حد أدنى من مفهوم الأمن العربى فى البحر الأحمر وتحديد الأساليب التى يمكن اتباعها .

---

(٦٥) هذه الافتراضات مبنية على اساس ما كان قائما قبل اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل .

الفصل السادس

القيمة الاستراتيجية للبحر الأحمر ومؤثراتها في العالم الاسلامي

الخصائص الاستراتيجية والعصر النووي :

تتضمن القيمة الأستراتيجية لحوض البحر الأحمر الخصائص الاستراتيجية للبحر وللدول المطلة عليه . حيث ان قوة اى منهما ركن مكمل لقوة الآخر .

ويرجع المفكرون قوة الدولة الى خمسة عوامل : جغرافى ، اقتصادى ، سياسى ، عسكرى ، ومعنوى . وهى ما تعرف بالخصائص الاستراتيجية . فالموقع الجغرافى يعنى مدى اشرافه على البحار ومدى قربه من مناطق المواد الحيوية والأسواق الاستهلاكية ومدى التعرض للظواهر الجوية واثرها على الانتاج . كما يتضمن استعداد الاقليم للتوسع فى شئون النقل والمواصلات ومدى توفير العمق الاستراتيجى وتختلف اهمية الموقع باختلاف الظروف السياسية .

أما القدرة الاقتصادية فترتكز على مدى توفر المواد والخامات والصناعة والأيدى العاملة ووسائل النقل والمواصلات والقوى المحركة بينما تتمثل الأهمية السياسية فى الاستقرار السياسى الذى يزيد من الكفاءة الاستراتيجية للدولة وبالاضافة الى ذلك فان القوة او النفوذ السياسى الذى تكتسبه دولة بالنسبة لما حولها انما يزيدها تألقا فى السماء الدولية ويكسبها اهمية خاصة .

ثم ننتقل الى الأهمية العسكرية فنراها تقوم على مجموعة من العناصر ذات الصلة الوثيقة بالعمليات العسكرية واهمها القوة البشرية التى يمكن تجنيدها ومستواها الفنى والاجتماعى والقدرة على الانتاج الحربى ثم القدرة على الكفاءة على القيام بالخدمات المختلفة وتعنى كفاءة وسائل المواصلات وصلاحية القواعد التى يمكن انشاؤها فى الاقليم ،

ثم نأتى الى الجانب المعنوى الذى يعتبر ميدانا رئيسيا من ميادين الصراع بين القوى المختلفة منذ أن تطورت أساليب ووسائل الدعاية كسلاح فعال يجب تقدير خطورته ودراسة خصائصه والتدريب على تطبيق اصوله (١) . ونشير الى مضمون العناصر المعنوية التى تقاس بها هذه الخصائص والتى تشمل المركز الأدبى الذى تحتله الدولة بالنسبة لجيرانها وقوة وسائل الاعلام والمركز الدينى والقوة المعنوية للشعب .

ومن دراسة هذه العوامل الخمسة يمكن تقدير القيمة الاستراتيجية للدولة او لمجموعة الدول بينما بدراسة اهمية الموقع والأهمية الاقتصادية والأهمية العسكرية يمكن الوصول الى القيمة الاستراتيجية للبحر .

وليس هناك ادنى شك فى أن الانقلاب النووى قد أصاب مقومات الاستراتيجية فى الصميم لا سيما الموقع الجغرافى . فقد الغى الصاروخ عابر القارات الميزات التى كانت للمواقع القريبة واصبحت كل المواقع فى العالم فى متناول الصاروخ عابر القارات واصبح القرب والبعد الجغرافى سيان . وبذلك انتقلت الاستراتيجية من المكان الى الزمان أو على اقل تقدير جعلت من الزمان البعد الرابع للمكان الاستراتيجى (٢) . الا أن الموقع الجغرافى لم يفقد قيمته الا فى حالة الحرب النووية ولكن فى ظل المعارك التقليدية وفى حالة اسلام يبقى للموقع الجغرافى كل ميزاته وأهميته للتجاره والمواصلات . وبالنسبة للمساحة الكبيرة فقد ضاعت قيمتها هى الأخرى — فى حالة الحرب النووية — حيث أن المساحة الكبيرة والصغيرة معرضة للتدمير على حد سواء . كما فقد حجم السكان اهميته لأن الضربة النووية يمكنها قتل ملايين البشر فى دقائق معدودة .

اما من حيث الموارد الاقتصادية فقد تضاءلت أهميتها اذ أن دولة صغيرة تمتلك قوة نووية تعد أقوى من دولة كبيرة غنية لا تمتلك هذه الأسلحة

---

(١) محمد كمال عبد الحميد : الشرق الأوسط فى الميزان الاستراتيجى ، ص ٤ — ١٤ .

(٢) د. محمد محمود الديب : الجغرافيا السياسية ـ أسس وتطبيقات ، ص ٣٩١ .

كما هو الحال فى اسرائيل والسعودية ولو أن الغنى المادى شرط أساسى لدخول العصر النووى .

وفى هـذا العصر لم تعد تتمثل عوامل قوة الدولة فى الموقع الجغرافى او الامتداد المساحى او حجم السـكان او الموارد الاقتصادية وانما تتركز فى مقـدرة تحويل هـذه الميزات جميعـا الى ارقى مراحل العلم الحديث اى تكنولوجيـا الذرة . ومن هنـا اصبحت أركان الاستراتيجيـة الحديثة ومقوماتها تتمثل فى ارقى مراحل التكنولوجيا الحديثة اى انه تم الانتقـال من الجيواستراتيجى الى التكنوستراتيجى فالشكل الجديد للقوة هو العـلم الحديث وان كانت المساحة والموقع وحجم السـكان والموارد الاقتصادية من عوامل الدخول الى العلم النووى .

القيمة الاستراتيجية للبحر الأحمر :

اين تكمن قيمة البحر الاحمر ؟.

الرد هو ان قيمة البحر الأحمر فى الموقع أساسـا .

وليس ادل على بروز اهميـة الموقع بالنسبة للبحر الأحمر من بروز القيمـة الاستراتيجية الكبرى من جـديد للبحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندى — وبالتالى للبحر الاحمر بينهما — وصراع العملاقين من أجل السيادة البحرية . وتكمن اهمية هـذا البحر ايضا فى انه يعد حاليا اهم ممر عالمى استراتيجى لأهم سلعة استراتيجيـة فى العـالم (٣) . فعن طريق قنـاة السويس فى شماله وباب المندب فى جنوبه يتحكم فى احـد الطرق الرئيسية لتجارة العالم لا سيما فى مجال البترول . كما انه يربط بين منطقتين من اخطر مناطق الصراع الاقليمى والدولى وهما الشرق الأوسـط والقرن الأفريقى ويجاور منطقة الخليج التى اصبحت تتأثر بشـدة بما يجرى فيهما . وبذلك يكون البحر الأحمر حلقـة الوصـل بينهم جميعا . اى ان البحر الاحمر لا يكتسب أهميته فقط كممر مائى يخدم التجارة العالمية وانما أيضا كموقع للنفوذ والسيطرة والوثوب الى المنـاطق الحساسـة والمتفجرة بالصراع

---

(٣) د. جمال حمدان : قناة السويس نبض مصر ، ص ٣٥ .

فى الشرق الأوسط وافريقيا . ثم نأتى الى الأهمية العسكرية التى اكتسبها ايضا من موقعه متصــلا أو مجاورا لمناطق فى غاية الأهميــة الاستراتيجية ومن قواعده بالرغم من أن مسرح عملياته البحرى والساحلى ليس بالميدان الجيد للأعمال القتالية . ثم اخيرا اهميته الاقتصادية المتمثلة فى ثرواته الكامنة فى قاعه أو على سواحله أو السابحة فى مياهه وهى لا تكسب حاليا البحر الاحمر قيمة ذات بال .

ولما كانت قيمة البحر الاحمر الاستراتيجية تنبع أساسا من موقعــه فقد استوجب ذلك دراسة العناصر التى شكلت هذه القيمة الاستراتيجية .

بادىء ذى بدء ، لابد أن ندرك ان قيمة الموقع تنحصر اساسا فى الموقع النسبى . ذلك الموقع الفعــال الذى يحمل مغزى ودلالة واضحة بالنسبة للمناطق المحيطة به . وما دام الموقع نسبيا فمن الواضــح أن قيمته ليست فى حد ذاته بل هى طارئة بالنسبة الى عوامل وملابسات خارجية بعيدة (٤) .

فالبحر الاحمر يتميز بموقعــه المتوسط بين القارات مما جعله همزة الوصل بين قارتى آسيا وافريقيا حيث أن التداخل بين القارتين عبر البحر الأحمر حقيقة واقعــة لضيق البحر وانتشار الجزر التى تزيد من تقــارب ساحليه . وقد ساعد على هذا التداخل تشابه الظروف المناخية والنباتية على جانبى البحر الأحمر . كما أنه يعد حجر الزاوية بين القــارات الثلاث لكونه يتوسط القلب المعمور والفعال من العالم القديم .

ويمتاز البحر الأحمر بموقعه الوسيط بين البحار الشرقية والغربيــة بصفة عامة وبين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندى بصفة خاصة .

ولعل اهم ما يميز البحر الاحمر كطريق هو امتداده بين الشمال الغربى والجنوب الشرقى بحيث يربط بينهما من اقصر طريق وبذلك تتوافر له صفة اقصر واسرع طريق بين الشرق والغرب بصفة عامة وبين المحيط الهنــدى والبحر المتوسط بصفة خاصة . وقد اصبح البحر الأحمر اهم اجزاء السلسلة

---

(٤) د. جمال حمدان : جغرافية المدن ، ص ص ٤٣٠ — ٢ .

البشرية فى عالم القـوة البحرية والتى تتكون من المحيط الأطلسى ، البحر المتوسط ، البحر الاحمر ، والمحيط الهندى والتى تعتبر أخطر بحر داخلى بموقعها المتوسط فضلا عن انهـا المركز الرئيسى من حيث كثافة الملاحـة واحجام الاساطول التجارية والحربية التى تمر فيه (٥) .

كما يمتاز البحر الاحمر بموقعه الوسيط بين أكبر مناطق انتاج البترول فى العالم واكبر مناطق اسـتهلاكه ، بالاضافة الى أنه نجح فى نقل البترول من مناطق الانتاج الى مناطق الاستهلاك .

أما موقع البحر الأحمر بالنسبة للدول المجاورة (المطلة عليه) فيكاد يتوسط رقعة المجموعة العربية . كما تشكل السواحل العربية نحو ٢ر٩٠٪ من الطول الاجمالى لسواحل البحر الاحمر وخليج عدن .

هذا بالاضافة الى انه المنفذ الوحيد لكثير من الدول العربية مثل الأردن واليمن الشمالية واليمن الجنوبية وجيبوتى والسودان ؛ فضـلا عن كونه الطريق الرئيسى الذى يتخذ منه البترول العربى معبرا الى أسواق التصدير لا سيما أن بعض اقتصاديات الدول العربيـة تعتمد اساسا على تصـدير البترول كذلك يعتبر المصدر الرئيسى لدخل بعض الدول العربية مثل اليمن الجنوبية وجيبوتى .

وبالرغم من قصر ساحل اسرائيل على البحر الاحمر فانها ترتبط به ارتباطا قويا اذ انه يعنى بالنسبة لها تخطى حاجز الحصار العربى السياسى والوصول الى أفريقيا وآسيا لتحقيق التوازن الدبلوماسى كما انه يعنى أيضا تجوز المقاطعة العربية الاقتصادية والوصول الى الاسواق الافرو آسيوية ومصادر المواد الخام .

اما اثيوبيا فان البحر الأحمر بالنسبة لها هو المنفذ الوحيد الذى يربطها بالعالم الخارجى مما دفعها الى الخروج عن حدودها القومية التاريخية وضم اريتريا بالقوة .

ولا تخفى اهمية موقع البحر الاحمر بالنسبة للقوى العالمية سواء كممر مائى يخدم التجارة العالمية او كموقع للنفوذ والسيطرة .

واذا تتبعنا الآثار السياسية لموقع البحر الاحمر ابتداء من الحرب العالمية الأولى لوجدنا ان الهجوم التركى على القناة فى عامى ١٩١٥ - ١٩١٦ كان يستهدف الاستيلاء عليها بينما ادى فشله الى مطاردة البريطانيين للعثمانيين وانتزاعهم سيناء وفلسطين وسوريا وزوال الخطر عن المدخل الشمالى للبحر الأحمر .

اما فى فترة ما بين الحربين العالميتين فقد استخدمت ايطاليا البحر الاحمر وقناة السويس لنقل قواتها الى ارتيريا والصومال لغزو الحبشه وقد شهدت الحرب العالمية الثانية صراعا عنيفا بين المانيا وايطاليا من جهة وبريطانيا من جهة أخرى للسيطرة على قناة السويس حتى تضاءلت اهميتها بينما برزت اهمية عدن الاستراتيجية كقاعدة للحلفاء فى حملتهم على المستعمرات الايطالية فى شرق أفريقيا سنة ١٩٤١ .

اما بعد الحرب العالمية الثانية فقد ازدادت اهمية موقع البحر الأحمر بالنسبة للكتلتين الغربية والشرقية على السواء . فمصالح الغرب فى منطقه البحر لاحمر هى مصالح استراتيجية بالدرجة الاولى حيث يمثل البحر الأحمر ى السياسة الغربية شريان البترول الرئيسى الى دول الغرب الصناعية التى تعتمد اساسا على بترول الخليج العربى .

اما بالنسبة للكتلة الشرقية فقد شغل البحر الأحمر حيزا كبيرا من اهتمام الاتحاد السوفييتى بعد ان اصبحت القوة البحرية عنصرا اساسيا فى استراتيجيته . وقد برز دور البحر الاحمر فى الاستراتيجية السوفييتية كأقصر وأسرع طريق بين البحر الأسود والمحيط الهندى .

ولكى يسيطر الاتحاد السوفييتى على المحيط الهندى والبحر الأحمر فقد حرص على أن يدعم وجوده بالقرب من الممرات الاستراتيجيه . ولا شك ان البحر الاحمر يشكل أهمية خاصة بالنسبة للاتحاد السوفييتى كخانق استراتيجى طويل تكتنفه نقط اختناق رئيسيه تتمثل فى قناة السويس

وبلب المندب . ولقد استغل الاتحاد السوفييتي الصراعات الاقليمية في منطقة البحر الأحمر لكي يوطد اقدامه هناك .

ثم نأتي بعد مشوار طويل الى العوامل الاقتصادية . فمع ازدياد حدة أزمة الطاقة على المستوى العالمي ومع تزايد الحاجة الى التنمية الاقتصادية تتصاعد في المستقبل القيمة الاقتصادية التي يمثلها البحر الأحمر والتي تنبع من مخزون البترول في باطن أراضي المناطق المجاورة بالاضافة الى كونه ممرا تجاريا هاما فضلا عن انه يطوى في أعماقه موارد وثروات هائلة من المعادن وغيرها لم تتوافر بعد وسائل التقنية لاستثمارها .

وفي مجال الأهمية العسكرية فقد اكتسب البحر الأحمر هذه الأهمية من موقعه ، حيث كانت قاعدة قناة السويس وقاعدة عدن مركز الثقل الاستراتيجي والعسكري حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية حيث انتقلت استراتيجية الدول الغربية الى الحزام الشمالي الذي يطوق حدود الاتحاد السوفييتي الجنوبية والذي يمتد من تركيا الى باكستان موصلا بين حلف الأطلنطي وحلف جنوب شرقي آسيا .

القيمة الاستراتيجية للدول العربية المطلة على البحر الأحمر :

اولا — الخصائص الاستراتيجية لدول الساحل الشرقي للبحر الأحمر :

نبدأ بالملكة الأردنية الهاشمية التي تمثل اقليما صحراويا ذا موقع جغرافي يتوسط قوس الهلال الخصيب وباقي الجزيرة العربية كما انه يشرف على خليج العقبة ويحتوى على ميناء العقبة الذي يمكن منه تهديد قاعدة ايلات مباشرة . هذا بالاضافة الى وقوعه في طريق المواصلات الجوية العالمية مع اعتباره حلقة في شبكة المواصلات الحديدية بين سوريا والحجاز فضلا عن مرور خط أنابيب البترول المعروف باسم « التابلاين » في أراضيه (٦) .

---

(٦) محمد كمال عبد الحميد : الشرق الأوسط في الميزان الاستراتيجي ، ص ص ٣٠٦ — ٣٠٨ .

طول حدوده مع اسرائيل جعل له اهمية استراتيجية كبرى حيث انه اكبر مسرح للعمليات الهجومية ضد اسرائيل ، وقد تضاعفت هذه الأهمية بعد احتلال اسرائيل للضفة الغربية في يونيو ١٩٦٧ . مساحته المحدودة (٩٧٫٧٤٠ كم٢) لا توفر له العمق الاستراتيجي المناسب كما ان وقوعه في متناول اسرائيل يقلل من قيمة اقامة قواعد عسكرية به بالاضافة الى أن قوته البشرية المحدودة التي تبلغ نحو ٣ مليون نسمة بما فيها سكان الضفة الغربية لا توفر له انشاء قوة عسكرية كبيرة كما أن مستوى السكان العلمي والفني والثقافي منخفض .

يعتمد الاقتصاد الأردني على الزراعة وتربية الحيوان وتجارة الترانزيت بينما لا تسهم الصناعة بأكثر من ١٠٪ من الدخل القومي ويتميز الأردن بشبكة مواصلات داخلية جيدة .

ثم نتناول المملكة العربية السعودية التي تحقق مساحتها الكبيرة (٢١٤٩٫٦٩٠ كم٢) مبدأ العمق في كل النواحي مثل توزيع مراكز الانتاج وتعدد مناطق الحشد وتجميع القوات واقامة القواعد العسكرية . كما أن وقوع المملكة العربية السعودية على شاطئين مفتوحين صالحين للملاحة طول العام (الخليج العربي في الشرق وخليج العقبة والبحر الاحمر في الغرب) يضفي عليها أهمية خاصة في الوزن الاستراتيجي .

ويبلغ عدد السكان في السعودية نحو ٩ مليون نسمة وبذلك تعتبر اكثر الدول تعدادا في مجموعة الجزيرة العربية الا أن مستواهم العلمي والثقافي والفني منخفض .

مواردها الزراعية ضعيفة والحيوانية قليلة ويعتبر البترول أهم موارد الدولة وأهم عناصر القوة المحركة . فاستخراج البترول الخام والغاز الطبيعي أسهم عام ١٩٧٤ بنحو ٨١٫٥٪ من الناتج المحلي الاجمالي (٧) . فضلا عن أن السعودية تعد اكبر مصدر للنفط وبها اكبر احتياطي من

---

(٧) روبرتو اليبوني ، استراتيجية التنمية الاقتصادية في العربية السعودية ، السياسة الدولية ، عدد ٥٩ ، ص ٥٠ .

البترول في العالم حيث بلغ نحو (١٤١٠٤٠ر) مليون برميل حسب تقديرات سنة ١٩٧٥ وتتميز السعودية بشبكة طرق برية وجوية جيدة وتلعب السعودية دورا قائدا في العالم العربي والاسلامي علاوة على وزنها الإقتصادى على المستويين العالمي والاسلامي .

قواتها العسكرية ضعيفة كما وكيفا على الرغم من تسليحها الحديث .

ثم نأتي الى الجمهورية العربية اليمنية ، ذات الطبيعة الجبلية والتي تبلغ مساحتها ٢٠٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع ، وهي تحتل موقعا جغرافيا ممتازا حيث تشترك في السيطرة على المنفذ الجنوبي للبحر الأحمر وتلاصق افريقيا من جهة الصومال . وقد اكتسبت اهمية استراتيجية كبرى في أعقاب اغلاق مضيق باب المندب في حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ كما اسهمت الأوضاع المتفجرة في القرن الافريقي في تدعيم هذه الاستراتيجية .

تشكل اليمن عمقا استراتيجيا لميدان السعودية والامارات الشرقية بالجزيرة العربية . ومن ثم يمكن لليمن اذا توافرت لها الامكانات المادية والعسكرية والسياسية ان تتزعم كل المنطقة الجنوبية من الجزيرة العربية. كما أن وقوع اليمن في الطريق الاستراتيجي بين منطقة الخليج العربي الغنية بموارد البترول وبين طريق عبوره وميادين استهلاكه في آسيا الجنوبية الغربية وافريقيا الشرقية وقربها من معامل التكرير الضخمة في عدن قد أكسبها اهمية عظيمة (٨) . يعد البحر الأحمر المنفذ الوحيد لليمن وتقع عليه اهم موانيه ومدنه مثل الحديدة والمخا والصليف .

كما تمتد بطول الساحل اليمنى اهم الجزر اليمنية ذات القيمة الاستراتيجية والسياسية في الصراع الدولي الراهن في منطقة القرن الافريقي .

يبلغ عدد سكان اليمن نحو ٧ مليون نسمة وهو على ضآلة حجمه يعد ذا ثقل ملحوظ بالنسبة لشبه الجزيرة العربية الا أن المستوى الصحى

---

(٨) محمد كمال عبد الحميد : المصدر السابق : ص ٤٥ — ٧ .

والعلمى والثقافى والفنى للسكان منخفض جدا . يعتمد أقتصاد اليمن اساسا على الزراعة وهى دولة ذات اقتصادى متخلف .

كما انها فقيرة جدا من حيث توافر طرق المواصلات الداخلية وتدرنها العسكرية محدودة جدا .

اما جمهورية اليمن الديمراطية الشعبية فتتميز بموقع استراتيجى هام لوقوعها على خليج عدن وبحـــر العرب والمحيط الهندى ممـا يؤدى الى سيطرتها على باب المندب . كما يقع فى الجزء الغربى من البلاد منطقة عدن حيث يوجـد بها ميناء عدن . وتتمتع المنطقة بموقع جغرافى هـام يمكنها من خدمة الاستراتيجية العربية فى صراعها ضد اسرائيل ويمكن تجهيزها للعمل كقاعدة بحرية حربية وايضا كقاعدة جوية . ولتصبح عدن اقوى قاعدة عربية فى جنوب الشرق الأوسط تستطيع ان تهدد كل خطوط الملاحة الاسرائيليـة بين البحر الاحمر وخليج العقبة من جانب وبين بحـــر العرب والمحيطين الهنـدى والهادى من جانب آخـر (٩) . تبلغ مســاحة اليمن الجنوبية (١٠٠ر٣٨٨ كم٢) ويقوم اقتصادها على الخدمات البحرية وتكرير البترول فى مصفاة عدن وعلى الزراعة التى نجحت فى كثير من المناطق وخصوصـا الحبوب والقطن والتجارة بين عدن والعالم الخارجى (١٠) الا ان اقتصادها ضعيف بوجه عام ومواصلاتها البرية فقيرة اما مواصلاتها البحرية والجوية فهى الاكثر نجاحا مع الخطوط العالمية الكبرى . يبلغ تعداد اليمن الجنوبيه نحو ٩ر١ مليون نسمة مستواهم الصحى والعلمى والثقافى والفنى منخفض، كما ان امكاناتها العسكرية محدودة .

الخصائص الاستراتيجية لدول الساحل الغربى للبحر الأحمر :

تطالعنا جيبوتى . ذلك الاقليم الصحراوى الواقع على خليج عـدن والذى تبلغ مساحته (٧٨٢ر٢١ كم٢) وعدد سكانه نحو ربع مليون نسـمة

اغلبيتهم الساحقة من قبائل عفروعيسى ذات الأصل العربى . مستوى السكان الصحى والعلمى والثقافى والفنى منخفض جدا .

ترجع اهمية جيبوتى الاستراتيجية الى اشرافها على الملاحة فى مضيق باب المندب والقرن الأفريقى .

تعتبر صمام الأمن من وجهة نظر الكتلة الغربية لمواجهة تهديد الكتلة الشرقية فى ظل نظام اليمن الجنوبى .

فقيرة اقتصاديا . ويعتمد اقتصادها على الخدمات البحرية لميناء جيبوتى بالاضافة الى الزراعة والثروة الحيوانية المحدودة والمعونة الفرنسية التى تبلغ ٦٠ مليونا من الدولارات سنويا .

ثم ننتقل الى الصومال ، احدى دول القرن الأفريقى والتى تطل مواتيها على خليج عدن والمحيط الهندى ، ولذلك فهى تتميز بموقع استراتيجى هام يؤثر على الملاحة فى البحر الأحمر . تبلغ مساحتها ٦٣٧٫٦٥٧ كيلومتر مربع وعدد السكان نحو ٣ مليون نسمة مستواهم الصحى والعلمى والثقافى والفنى منخفض جدا .

والصومال دولة ضعيفة اقتصاديا حيث انها دولة رعى اساسا ثم زراعة ثانوية (١١) .

ويوجد فى الصومال فقر معدنى كما أنها لا تمتلك اية مصادر للطاقة ، ولا يوجد بها نظام متطور للمواصلات . تمتلك الصومال قوة عسكرية مناسبة — بعد دعم السوفييت لها — مسلحة بأسلحة حديثة وطائرات مقاتلة (١٢) .

اما السودان فيتمتع بأهمية استراتيجية كبرى نظرا لطبيعة موقعه الجغرافى وتوسطه القارة الأفريقية واتصاله بكل أطراف القارة . وهو بحكم

---

(١١) د. جمال حمدان ، افريقيا الجديدة ، ص ٢١٥ .

(١٢) محمد كمال عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص ص ٥٦٢ — ٤ .

موقعه يتصل اتصالا وثيقا بأفريقيا الوسطى وافريقيا الشرقية كما انه يمتلك ساحلا طويلا على البحر الأحمر يقع عليه ميناء بور سودان فضلا عن امتلاكه لكثير من الموارد الجنوبية لمياه النيل .

والسودان يمثل عمقا استراتيجيا هاما بالنسبة لمصر ويمتد الى عمق يشمل الجزء الأكبر من الساحل الغربي للبحر الأحمر وحوض النيل . ويتمتع بمساحة كبيرة تبلغ ٨١٢ر٥٠٥ر٢ كيلومتر مربع مما يمكنه من خدمه واعاشة ملايين كثيرة وامكان توزيع مراكز الانتاج ومرافق الخدمات ومحطات القوى المختلفة بين ربوعه بما يكفل سلامتها . كما يتوفر للسودان عمق كبير لاقامة القواعد ولكن امكانات السودان الاقتصادية المحدودة لا تساعده على ذلك .

وللسودان أهمية خاصة بالنسبة للتعديل الذى طرا على الاستراتيجية البريطانية شرقى السويس وقيام الولايات المتحدة بالاشتراك مع بريطانيا فى اقامة قواعد فى جزر المحيط الهندى والتى يمكن ان نهددها اية قواعد جوية أو صاروخية تعمل من اراضى جنوب وشرق السودان (١٣) . تكامل السودان مع مصر يؤدى الى وجود قوة ضخمة لوادى النيل من جميع الوجوه يتيح لها الزعامة الحقة لكل القارة الأفريقية بل ولكل مجموعة الشرق الأوسط وتعمل على استقرار السودان داخليا مما يمكنه من الاتجاه المباشر السريع الى التنمية والانطلاق . يتميز السودان بموارده الاقتصادية الكبيرة لكنها لم تستغل بعد وتعتبر الزراعة وتربية الحيوان اساس الاقتصاد السودانى واهم المحصولات الزراعية النقدية هو القطن الذى يمثل ٦٠٪ من الصادرات (١٤) أما عن وسائل النقل فهى من الضعف والقلة بحيث تعرقل اى مشروع للنهوض بموارده . كما أن ايجاد مواصلات فعالة فى السودان يشكل مشكلة اساسية . ويفصل العاصمة السودانية عن الميناء الحديث الوحيد بور سودان منطقة جافة قاسية .

عدد السكان نحو ١٨ مليون نسمة مستواهم الاجتماعى والعلمى والفنى منخفض .

---

(١٣) محمد كمال عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص ٥٦٢ — ٤ .
(١٤) د. جمال حمدان ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ .

قوات السودان المسلحة محدودة وتواجه مشـــاكل الأمن الداخلى ومشاكل الحدود مع الدول المجاورة .

ثم اخيرا جمهورية مصر العربية التى اكتسبت مركزا ممتازا بسبب موقعها الجغرافى ومواردها ومناخها وعدد سكانها وثقافتهم ومهارتهم فمصر تتوسط بموقعها الجغرافى القارات الثلاث آسـيا ، أوروبا ، افريقيا كما تشرف على البحر المتوسط والبحر الاحمر وتمتلك مفاتيح قناة السويس فضلا عن انها تتميز بمساحة كبيرة تبلغ ٠٠٠ر٠٠٢ر١ كيلومتر مربع صالحة لانشاء واقامة كثير من القواعد المختلفة . هذا بالاضافة الى كثرة مواردها الزراعية والانتاجية . ويعتمد اقتصـــاد مصر على الزراعة اولا ثم الصناعة ثانيا وعائدات البترول وقناة السـويس فهى دول نامية . وتتميز مصر بكفـاءة مواصلاتها الحديدية فى البر والبحر والجو اذ توجد بها شبكة ضـخمة من المواصــلات الحديدية والطرق المرية وشـبكة كبيرة من خطوط انابيب البترول بالاضـافة الى النقل النهرى . الا ان التطور السريع فى التنميـة يتطلب استكمال شبكة المواصلات ودعم الاسطول التجارى واطراد التوسع فى المواصلات الجوية الداخلية وربطها بالخطوط العالمية .

يبلغ تعداد السكان نحو ٤١ مليون نسمة وبذلك تتفوق مصر فى قوتها البشرية بالنسبة لدول البحر الاحمر بل بالنسبة لكافة دول الشرق الاوسط ومع هذا التفوق العددى تتفوق ايضا فى ارتفاع نسبة الاخصائيين والفنيين بما يتيح لمصر تجنيد قوة عسكرية ضخمة فى وقت قصير ومدربة تدريبـا راقيـا :

تتوافر لدى مصر قوة عسكرية كبيرة تعد أكبر قوة فى العالم العربى ، تلعب مصر دورا رئيسيا فى حوض البحر الأحمر وفى الشرق الأوسط وكذلك فى افريقيا اذ ان زعامة مصر العسكرية والسياسية للدول الأفريقية والعربية قد جعلها ركنا رئيسيا تقوم عليه خطة التعامل الاستراتيجى بين القـوى الكبرى .

يتضح من هذه الدراسة ان القيمة الاستراتيجية لحوض البحر الأحمر تنبع اساسا من موقع البحر النسبى ومن موقع الدول المطلة عليه اذ تشكل

دول البحر العربية قلب العـــالم العربي الذى يعتبر معبرا بريا يربط بين آســـيا وافريقيا واوربا كما يعد مفتاح الدفاع عن افريقيا التى هى مفتاح الدفاع عن أوربا أى أى العالم العربي قاســم مشــترك أعظم للدفاع عن افريقيا وأوربا ، كما يستمد حوض البحر الأحمر قيمته الاســتراتيجية من موقعة المركزى فى قلب الشرق الأوسط ذى الأهمية الاستراتيجية العظمى .

كما تتمتع معظم دول البحر الأحمر بوفرة الموارد الأولية الزراعيـــة والانتاج الحيوانى والخامات المعدنية وبعضــها يســتخرج البترول وتعد السعودية أكبر مصادره مما يشكل ثروة اقتصادية كبرى الا أن الصناعات التحويلية تحتل مكانا متواضــعا كمصــدر للدخل القومى وان معدلات النمو لا زالت دون المستوى المطلوب . ودول البحر الأحمر العربية بوجه عــام ذات اقتصـــاد متخلف وهى دول نامية صغيرة فيما عدا الســـعودية ، لا تتمتع بوزن ســـياسى كبير على المســتوى العـــالمى فيما عدا مصر والسعودية .

وسائل المواصلات بها غير كافية ولا تساير التطور بالرغم من كونها ملتقى لطرق المواصـــلات العالمية مما يؤثر على وزنهـــا الاقتصـــادى والاستراتيجى تتوافر لها قوة بشرية مناسبة (نحو ٨٤ مليون نسمة) وهذا العدد يشكل نحو ١/٨ سكان العالم الاسلامى . الا أن نسبة التعليم فى تلك البلدان منخفضة كما أن مستوى السكان الصحى والفنى منخفض بوجـــه عـــام .

ولا تتوافر لهذه الدول قوات عســـكرية قوية الا لجمهـــورية مصر العربيـــة .

ومن هنا يكتسب حوض البحر الأحمر قيمته الاستراتيجية من الموقع اساسا ثم من الموارد الاقتصادية للدول المطلة عليه .

الأبعاد الاستراتيجية للعالم الإسلامى :

تتضمن الأبعاد الاستراتيجية للعالم الاسلامى المعاصر ما يأتى

اولا : العوامل الجغرافية .

ثانيا : التركيب الطبيعى والسكانى .

ثالثا : التركيب العرقى والمذهبى والاجتماعى .

رابعا : العوامل الاقتصادية .

وتبين هذه الأبعاد القيمة الاستراتيجية للعالم الاسلامى وجوانب الوحدة والتنوع وعوامل الائتلاف والاختلاف .

اولا : العوامل الجغرافية :

يمتد العالم الاسلامى من ساحل افريقيا الشمالية المطلة على المحيط الأطلسى غربا الى اقصى الجزر الأندونيسية المطلة على المحيط الهادى شرقا ومن خط عرض ١٠° جنوب خط الاستواء جنوبا الى خط عرض ٥٥° شمالا (١٥) .

ومن الناحية المساحية فان الوحدات المكونة للعالم الاسلامى تبلغ نحو ١٢ مليون كيلومتر مربع وبذلك تعادل نحو ٢٢٪ من اجمالى مساحة اليابس أو ما يوازى ثلاثة امثال القارة الأوربية تقريبا (١٦) .

وقد أدى هذا الامتداد الكبير للوحدات السياسية المكونة للكتلة الاسلامية الى تباين الظروف والخصائص الطبيعية والبشرية من منطقة لأخرى ، حيث يشتمل العالم الاسلامى على عدد كبير من الأقاليم المناخية والنباتية ، من الاقليم الاستوائى الى الاقليم المدارى والاقليم الصحراوى واقليم البحر المتوسط حتى الاقليم المعتدل البارد مما ادى الى تنوع وتعدد مصادر الثروة النباتية والزراعية والحيوانية فى أجزاء العالم الاسلامى المختلفة .

وقد ادى امتداد العالم الاسلامى فوق مناطق متعددة الجبهات الى ان

---

(١٥) د. محمد صبحى عبد الحكيم ، محاضرات فى جغرافية العالم الاسلامى ، معهد الدراسات الاسلامية ، ص ٥ .

(١٦) د. محمود طه أبو العلا ، دراسات فى جغرافية العالم الاسلامى ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٦٦ ، ص ١١ — ٢ .

يشغل موقعا استراتيجيا ممتازا بين مناطق العالم الأخرى . فهو يقـــع فى قلب العالم القديم ويطل على مسطحات مائية هامة تخترق خطوط الملاحـــة العالمية وتفرض قدرا كبيرا من مرونة الحركة بين الشرق والغرب . ومن ثم فهو مركز حركة المواصـــلات العالمية بكل انعكاســـات ذلك اقتصـــاديا واستراتيجيا . فمن جهة الغرب يشارك العالم الاسلامى مناطق العـــالم الاخرى المطلة على المحيط الأطلسى الشمالى الذى يتركز فيه ٢/٣ التجـــارة العالميـــة .

كما يمتـد من المحيط الأطلسى ذراع بحرى هام هو البحـــر الأبيض المتوســـط الذى يعد من اقصر الطرق الملاحيـــة التى تربط بين المحيطين الأطلسى والهندى . كما ان سـواحله الجنوبية والشرقية والشمالية الشرقية كلها سـواحل اسلامية .

وتتحكم الدول الاسلامية فى معظم مداخل هذا البحر اذ تسيطر المغرب على الساحل الجنوبى لمضيق جبل طارق وتتحكم مصر فى المدخل الجنوبى لهذا البحر من خلال سيطرتها على قناة السويس كما تسيطر على مضيقى البســـفور والدردنيل اللذين يتحكمان فى الملاحـــة بين البحرين المتوســـط والأســـود .

ويشرف العالم الاســـلامى من جهة الجنوب على المحيط الهندى ذى الاهمية الاستراتيجية الكبرى ويتحكم المســـلمون فى اهم مداخله ، فمضيق باب المندب يقع تحت سيطرة كل من جمهورية اليمن الديمقراطية الشـــعبية من جهة وجيبوتى من جهة اخرى . كما ان مضيق ملقا وهو المدخل الرئيسى للمحيط الهندى من جهـــة الشرق يقع بين شـــبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة الاندونيســـية حيث يتصل المحيط الهندى بالمحيط الهادى .

كذلك يمتد من المحيط الهندى ذراعان مائيان من جهة الشمال الغربى هما البحر الأحمر والخليج العربى اللذان يتغلغلان فى اراض اسلامية بحتة ثم مضيق هرمز الذى يعبره بترول الخليج العربى الى المحيط الهندى . ومن ثم كان الوضع الذى يفرض صفة الموقع الجغرافى الحاكم وكانت الأهميـــة التى تمثل اضافة فى مجال تقييم هذا الموقع .

كما تشرف بعض سواحل العالم الاسلامى على المحيط الهادى وتتمثل فى سواحل بعض الجزر الشرقية فى جمهورية اندونيسيا مثل ايريان الغربية ولما كانت الأرض الاسلامية تمتد فى ظهير الجبهة المتوسطية فى أفريقيا على محور عام من الشمال الى الجنوب وتتوغل توغلا فيه كبيرا فمعنى هذا أن تكون بمثابة جسر عريض يطل على قلب افريقيا مثلما يطل على شرقها المشرف على المحيط الهندى وغربها المشرف على المحيط الأطلنطى الجنوبى . ولا شك أن هذا التوغل له دلالة عظيمة من حيث وضع الأرض الاسلامية وكونها نافذة هامة تزيد بها قيمة الموقع الحاكم عمقا واتساعا ، ذلك أنها تتحكم فى كل محاور الحركة على الطرق البرية وصولا الى الجبهة الأفريقية المتوسطية وانها تتحكم فى كل محاور الطيران والخدمات الجوية البعيدة المدى فيما بين أوربا وافريقيا من ناحية وبين أوربا وأمريكا اللاتينية من ناحية اخرى وبمعنى ذلك الشىء الكثير من وجهة النظر الاستراتيجية فى السلم والحرب بالنسبة للدول الأفريقية فيما وراء أرض العالم الاسلامى جنوبا (١٧) .

كما تمد الأرض الاسلامية من ظهير الجبهة المتوسطة الآسيوية على محور هام من الغرب الى الشرق وبعمق كبير ويدعم هذا العمق الكبير فى آسيا الموقع الحاكم فى اطار الحاجز الجبلى الهائل فى شمال الهضبة الايرانية وقد لعب موقع العالم الاسلامى ادوارا عظيمة الاهمية فى تاريخ الحضارة الانسانية اذ مكنته المسطحات المائية الكثيرة التى يشرف عليها من القيام بهذه الادوار كذلك طرق التجارة البرية التى جعلت العالم الاسلامى يتصل بعضه البعض وبغيره من اجزاء الدنيا .

وقد برزت اهمية العالم الاسلامى بالنسبة للملاحة الجوية نظرا لتوسط موقعه بين قارات العالم كلها ولصفاء جوه وخلو سمائه من الغيوم فى معظم الأحيان طوال شهور السنة فيما عدا جهات العالم الاسلامى الاستوائيه .

وهكذا ظل العالم الاسلامى محتفظا بمزايا موقعه النسبى فى مختلفه

---

(١٧) د. صلاح الدين على الشامى وآخر ، جغرافية العالم الاسلامى ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٤ ، ص ٨١ .

عصور التاريخ كما أن تدفق النفط في كثير من الدول الاسلامية قد اضاف أهمية جديدة الى موقع العالم الاسلامي .

ومهما يكن من أمر فان فهم كل الأمور التي تكسب موقع العالم هذه الأهمية من حيث انه حاكم يمكن أن تقدم لنا بعدا أساسيا يبنى عليه كل تحرك مضاد يستهدف العالم الاسلامي .

ثانيا : التركيب الطبيعي والسكاني :-

لا يشكل العالم الاسلامي اقليما طبيعيا له حدود فاصلة تميزه عن غيره بل هو سطح حضاري يشمل كثيرا من الدول التي يدين معظم سكانها او بعضها بالاسلام . وتوجد الغالبية العظمى من المسلمين في قارات العالم القديم وبخاصة قارتي آسيا وأفريقيا ضمن نطاقات كبيرة بعضها متصل بالبنيان وبعضها الآخر غير متصل .

اولا : النطاق الاسلامي المتصل :

وهو يمثل قلب العالم الاسلامي ويشمل معظم الدول الاسلامية المستقلة في العالم . ويمتد هذا النطاق في كل من النصف الشمالي من أفريقيا والربع الجنوبي الغربي من آسيا وساحل المحيط الاطلسي غربا الى الباكستان الغربية واقليم كشمير شرقا . ومن الحدود الشمالية لافغانستان وايران وتركيا وساحل أفريقيا على البحر المتوسط شمالا الى اقليم السافانا الأفريقي والصومال والسواحل الجنوبية للجزيرة العربية وباكستان الغربية جنوبا . ولا يتوزع السكان المسلمون في مختلف جهات هذا النطاق العظيم توزيعا متساويا وانما يتركزون في جهات معينة اهمها باكستان الغربية وعلى طول الاجزاء الشمالية والاطراف الجنوبية من هذا النطاق الكبير . بينما معظم وسط هذا النطاق صحاري مجدبة قليلة السكان — فيما عدا قلب هذا النطاق الذي يشقه نهر النيل وواديه الكثيف .

ولهذا النطاق الاسلامي الأصيل امتداد آخر غير متصل به يتمثل في نطاق آخر يمتد في جنوب شرقي آسيا حيث الجزر الاندونيسية وماليزيا بالاضافة الى اقليم باكستان الشرقية وجمهورية الملديف وجميعها دول اسلامية مستقلة (١٨) .

---

(١٨) د. محمد صبحي عبد الحكيم ، المصدر السابق ، ص ص ١٠ — ١١ .

وحول الوسط الجغرافي لهذا النطاق يقوم العالم العربي كقلب العالم الاسلامي النابض باعتباره مهد العقيدة وموطن الأماكن المقدسة . ولما كان العالم العربي نواة الاسلام ويضم نحو خمس المسلمين جميعا كان مقدورا له ان يلعب في العالم الاسلامي دورا خاصا لا على المستوى الديني فحسب بل على المستوى السياسي كذلك (١٩) .

ثانيا : نطاق التناقص العددي :

ويشمل هذا النطاق الجمهوريات الاسلامية السوفييتية التي في وسط آسيا وغربها كما يشمل ايضا اقليم سينكانج وبعض المناطق الاسلامية في وسط وجنوب الصين الشعبية . ويسكن هذا القطاع نحو سبعين مليونا من المسلمين .

ثالثا : نطاق الكسب العددي :

وهذا هو نطاق السافانا الافريقي الذي أخذ الاسلام ينتشر فيه حضاريا خلال صلات الشمال الاسلامي بالمجتمعات الوثنية في الدول حديثة الاستقلال في غربي النطاق .

ولتحديد الدول والاقاليم الاسلامية اتفق الكثيرون على اعتبار كل دولة يزيد عدد المسلمين فيها على ٥٠٪ من مجموع عدد سكانها دولة اسلامية . وعلى اساس هذا المعيار نجد في العالم ٤٠ دولة اسلامية مستقلة هم اعضاء المؤتمر الاسلامي (٢٠) .

بينما تتمثل الوحدات السياسية غير تامة الاستقلال في الجمهوريات السوفيتية الاسلامية في وسط آسيا وغربها وفي سلطنة بروناي الواقعه على ساحل جزيرة بورينو الشمالي ثم اقليم كشمير وجامو واقليم الصحراء الاسبانية في غرب افريقيا واقليم اريتريا الذي ضمته اثيوبيا اليها .

---

(١٩) د. جمال حمدان ، العالم الاسلامي المعاصر ، عالم الكتب ، ١٩٧١ ص ٢٦ .

(٢٠) د. السيد عليوه ، الأبعاد السياسية لازمة الواقع الاسلامي — السياسة الدولية ، العدد ٦١ ، يوليو ١٩٨٠ ، ص ١٠١ .

أما الأقليات الاسلامية فيعتبر أهمها الأقليات الاسلامية فى الهند والصين الشعبية والاتحاد السوفييتى (٢١).

ويختلف تقدير القوة البشرية فى العالم الاســـــلامى طبقـــا لاختلاف المصادر الا أن المصادر الاسلامية هى أكثر تقاربا . حيث يقدر أحد الباحثين اعداد المسلمين فى أوائل السبعينيات بنحو ١٥٪ من ســكان العالم آنذاك (٣٥٠٠ — ٣٦٠٠ نسمة) (٢٢).

وتقدر رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة اعداد المســلمين فى عام ١٩٧٣ بما يصل الى ٧٣٢٫٩٨٦٫٠٠٠ مسلم أى ما يمثل حوالى ٢٠٫٧٪ من جملة سكان العالم . بينما قدر باحث ثالث عدد المسلمين فى العالم ســـنة ١٩٧٠ بما يتراوح بين ٦٤٥ — ٦٩٥ مليونا (٢٣) .

وبذلك يمكن أن يصل عدد سكان العالم الاسلامى عام ١٩٨٠ الى رقم يتراوح بين ٧٥٠ — ٧٧٠ مليون نسمة . وتقع دول العالم الاسلامى — من حيث التوصيف — بين الوحدات السياسية المكونة للعالم الثالث .

ثالثا : التركيب العرقى والمذهبى والاجتماعى :

يتميز العالم الاســـــلامى بالتنوع العرقى واللغوى والدينى والثقافى . فالاسلام ينتظم الكثير من الاجناس والســـــلالات فضلا عن القوميات التى تندرج تحت العربية والتركية والايرانية ثم الطورانية فى وســـط آسيا الى الملاوية والأندونيسية فى جنوبها . كما ان هذه القوميات ينقسم الى مزيد من التفريعات والتصانيف (٢٤) والاسلام يتصف بتعدد المذاهب . فهناك مذهب سنى يشكل الغالبية وآخر شــيعى ينقســـــم الى امامية وزيدية وعلوية واسماعيلية .. الخ .

---

(٢١) د. محمد صبحى عبد الحكيم : نفس المصدر ، ص ٢٨ — ٣١ .

(٢٢) د. جمال حمدان : العالم الاسلامى المعاصر ، عالم الكتب ، ١٩٧١ ، ص ١٢ .

(٢٣) د. محمد صبحى عبد الحكيم : المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٢٤) د. جمال حمدان : المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

وتختلف الوحدات السياسية الإسلامية من حيث توزيع الأجناس ومن حيث تجانسها العرقي . فالشعوب الاسلامية تمثل الأجناس الرئيسية الثلاثة التي تسود العالم وهي الجنس القوقازي والجنس الزنجي والجنس المغولي . والشعوب الاسلامية تشكل الأقسام الفرعية والسلالات الثانوية لهذه الأجناس . ولا توجد الآن جنس فرعي أو سلالة ثانوية نقية فثمة تمازج عرقي قد تم نتيجة لعمليات عديدة .

وقد أدى اختلاف السلالات الجنسية وتعدد اللغات والمذاهب والثقافات الى التأثير في قوة وتماسك العالم الاسلامي . كذلك يختلف التركيب الاجتماعي للعالم الاسلامي ، فبعض المجتمعات الاسلامية حضرية والبعض الآخر قبلي . وكثير من الدول الاسلامية محكوم بأنظمة فردية وعلى الرغم من أن القبلية أمر لا يعرفه الاسلام الا ان بعض الدول الاسلامية تدار بأسلوب قبلي وتحكم بطريقة بعيدة عن الشورى والديمقراطية .

وينعكس اثر التخلف في العالم الاسلامي على غياب كثير من الكوادر الفنية كما أن الأمية منتشرة تماما بين الشعوب الاسلامية فضلا عن انخفاض المستوى الصحي ومستوى الدخول وبروز الفوارق الاجتماعية الشاسعة في هذه البلاد بالاضافة الى التبعية الثقافية في غالبية دول العالم الاسلامي اذ صاحب عملية التنمية وفق النظام الغربي عملية اجتثاث تدريجية لقيم وثقافة البلد المحلية لتحل محلها قيم وثقافة غربية مسخت قيم المجتمع الاصيلة واضعفت الثقافة الاسلامية . كما أن هذه البلاد تعاني تناقضات معقدة بين الطبقات الاجتماعية .

إن العالم الاسلامي يمتلك كثيرا من مصادر القوة البشرية ولكنها غير موظفة بالطريقة التي تكفل أعلى قدر من التقدم للمجتمعات المسلمة .

ان هذا التخلف الاجتماعي يشكل عامل اضعاف لكيان العالم الاسلامي

العوامل الاقتصادية :-

تمتلك دول العالم الاسلامي مصادر متنوعة كثيرة الا ان سوء توزيع المواد وسوء توزيع السكان والعجز في الاستثمار بين الغني والفقير من الدول الاسلامية يؤثر تأثيرا سلبيا في الواقع الاقتصادي .

- ويعتمد معظم اقتصاد الدول الاسلامية على الزراعة الى حد بعيد وتحصل منها على معظم دخلها . ويتنوع الانتاج الزراعى تنوعا شديدا فى دول العالم الاسلامى . وبينما يمثل ٤٠٪ من سكانه قوى العمل الكلية تستوعب الزراعة أكثر من ٧٠٪ من هذه النسبة بوجه عام (٥٠) .

وتحقق الزراعة انتاجا متنوعا من محاصيل غذائية كثيرة وهى فى جملتها تحقق حصصا من الحجم الكلى لاحتياجات الاستهلاك المحلى فى دول العالم الإسلامى ويمثل الأرز القمة من حيث حجم الانتاج الكلى ويقدر انتاج الدول الإسلامية من محصول الأرز بحوالى ١٣٪ من جملة انتاج محصول الأرز العالمى ويحتل القمح المركز الثانى ويقدر الانتاج بحوالي ١٠٪ من جملة الانتاج العالمى . ويأتى الذرة فى المركز الثالث ويمثل ٥٪ من الانتاج العالمى .

يتضح من ذلك ان زراعة الحبوب الغذائية فى العالم الاسلامى لا تحقق فى جملتها الانتاج الكافى للاستهلاك وبمعدلاته المناسبة الا ان امكانات التوسع فى مساحات جديدة من الأرض القابلة للزراعة قائمة .

اما عن انتاج الخامات الزراعية فيشمل المطاط . القطن . قصب السكر وبعض الحبوب والثمار الزيتية .

وتبلغ جملة انتاج العالم الاسلامى من المطاط الخام حوالى ٥٤٪ من الانتاج العالمى كله بينما يبلغ انتاج القطن ٤٠٪ من انتاج العالم .

وتسهم مجموعة الدول العربية فى اطار العالم الاسلامي بنصيب كبير فى تجارة القطن الدولية حيث يبلغ نسبة تتراوح بين ٢٥ – ٣٠٪ من جملة الأقطان التى تدخل فى حركة التجارة الدولية (٢٦) .

ويبلغ انتاج قصب السكر فى العالم الاسلامى نحو ١٠٪ من الانتاج العالمى بينما يقدر انتاج محصول بنجر السكر بحوالى ٥٪ من انتاج العالم .

---

(٢٥) د. صلاح الدين على الشامى وآخر ، المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .
(٢٦) نفس المصدر ، ص ٣٠٩ .

ثم ننتقل الى الثروة الحيوانية وهى تقدر بحوالى ١١٪ من جملة لأبقار ، ٢٥٪ من الأغنام ، ٣٠٪ من الماعز فى العالم . كما ينتج العالم الاسلامى ٧٠٪ من انتاج العالم من الصوف .

فى حين يبلغ صيد البحر نحو ٣٫٥٪ من انتاج العالم .

وتقدر الثروة الغابية بحوالى ٩٪ من جملة الانتاج العالمى (٢٧) على أن الدول الاسلامية تسهم بنسبة كبيرة من الانتاج المعدنى العالمى اذ تسهم فى انتاج البترول العالمى بأكثر من ٤١٪ وفى انتاج التصدير العالمى بأكثر من ٥٥٪ بينما يقدر انتاجها من الكروم بنحو ٤٥٪ والرصاص ١٢٪ ، والزنك ٦٪ ، الحديد ٥٪ من الانتاج العالمى بينما يبلغ احتياطى البترول نحو ٧٠٪ من الاحتياطى العالمى (٢٨) .

كما يشكل احتياطى العالم الاسلامى من الفوسفات أكثر من ثلث احتياطى العالم .

ويتكون الانتاج الصناعى فى الدول الاسلامية من الصناعات الخفيفة واهمها صناعة الغزل والنسيج ثم الصناعات الكيماوية وصناعة الدخان . وقد انجهت الاستثمارات بحذر الى الصناعات المعدنية الثقيلة .

ثم نأتى الى جغرافية النقل فنجد أن القوى البشرية والحيوانية مازالت هى الوسيلة السائدة فى المناطق الصحراوية والجبلية فى البلاد الاسلامية بينما تعتبر الطرق والسكك الحديدية غير كافية وفى حين يمثل النقل المائى الداخلى أهمية كبيرة نرى أن الملاحة البحرية لا تلقى الاهتمام الكافى اذ لا تمتلك الدول الاسلامية الا عددا يسيرا جدا من سفن الأسطول التجارى العالمى لكن الموانىء الاسلامية الهامة على خطوط الملاحة العالمية فى المحيط الهندى والبحر المتوسط لها أهمية اقتصادية كبيرة . وعلى نقيض الملاحة البحرية فان الدول الاسلامية تمتلك اسطولا كبيرا من الطائرات التى تربط بين المراكز التجارية والعمرانية فى العالم الاسلامى .

واذا حاولنا أن نحدد بعض الخصائص العامة لمجمل نشاط هذا العالم

---

(٢٧) نفس المصدر ، ص ٣٣٠ — ٩ .

(٢٨) نفس المصدر ، ص ٣٤٦ — ٣٥٢ .

لوجدناه يقع فى اطار عالم الموارد الأولية التابع وأبرز تسمات النشـــاط انسكانى للعالم الاسلامى هو سيادة الطابع الزراعى على معظم اقتصادياته باستثناء الدول الرعوية والبترولية .

فالنشاط الزراعى هو العمل الرئيسى للسكان والانتاج الزراعى هو المصدر الأول للدخل القومى فى دوله . وتعانى الزراعة تخلف الأســـاليب ولهذا كان الانتاج الزراعى هزيلا . وعلى الرغم من وفرة الثروة المعدنية فى كثير من الدول الاسلامية فان الشركات الأجنبية التى تتحكم فيها تستنزف مصادرها بغية تحقيق الأرباح فقط .

وتتسم العلاقات الاقتصـــادية بين الدول الاسلامية بالضعف اذ أن اجمالى صادرات الدول الاســـلامية الى بعضها البعض يبلغ نحو ٤٥٪ من اجمالى صادراتها بينما تصل الى نحو ٦٢٪ مع الدول الغربية (٢٩) .

ان تنمية ثروات العالم الاسلامى تستوجب بالضرورة التعاون المثمر بين وحداته السياســية لتوفير راس المال وتكوين أو تبادل الخبرات الفنية فيما بينها وانشاء شركات اســـلامية مشـــتركة لايجاد نوع من التكامل فى صادراتها ووارداتها .

ومما لا ريب فيه أن وفرة موارد العالم الاســـلامى تمثل عامل قوة فى بنيانه الا ان تعقد الأوضاع والنظم الاقتصادية فى الدول الاسلامية واخفاق النظم الحاكمة فى حل مشكلات التنمية والتحديث قد جعل منها دولا متخلفـــة ودولاتابعـــة .

ننتهى من هذه الدراسة الى ان القيمة الاستراتيجية للعالم الاسلامى تكمن أساسا فى موقعه الاستراتيجى الذى يقع فى قلب العالم ويشرف على مجموعة من المسطحات المائية ذات اهمية قصوى من الوجهتين الاستراتيجية والاقتصادية ثم فى موارده الاقتصادية المتنوعة التى تعد بمثابة شريان الحياة

---

(٢٩) د. محمد السيد سليم ، التضامن الاســـلامى والنظام الدولى ، السياسة الدولية ، العدد ٦١ ، يوليو ١٩٨٠ ، ص ٧٣ — ٤ .

العالم وثالثة في توجه البشرية واخيرا للوزن السياسي الذي تمثله بعض دوله مثل اندونيسيا وباكستان وتركيا ومصر والسعودية .

وعلى الرغم من غنى بعض الدول الاسلامية (البترولية) فان معظمها فقير يتميز بعدم الاستقرار السياسي .

وأذا كان الاسلام هو الرابطة الوثيقة بين الدول الاسلامية واذا كانت هناك جوانب أخرى مشتركة بينها فان هناك فروقا عديدة بين هذه البلاد سواء من حيث الحضارة او من حيث أوضاعها الاجتماعية والسياسية المختلفة ومن حيث شبكة علاقاتها الاقليمية والدولية .

وان اخطر ما يواجه العالم الاسلامي هو عدم وضوح البعد الفكري الذي يتصل بالمبادىء الاساسية والقيم الفكرية . فيضم العالم الاسلامي الهوية العنصرية العرقية والهوية الطائفية المذهبية والهوية القبلية العشائرية والهوية الوطنية والهوية الدينية (٣٠) .

وقد ترتب على ذلك ازمة هوية تأخذ بتلابيب الجميع . كذلك فان افتقاد المقاييس الحقيقية للبعد الأيديولوجي (العقائدي) في العالم الاسلامي يؤدي الى ازمة حادة . فهناك من يقتني ايديولوجية ثورية تفضل الطفرة وهناك من يؤمن بعقيدة تطورية تحبذ الاصلاح . وعلى هذا المسار تتدرج الاختيارات والمواقف الأيديولوجية من الرجعية الجامدة الى المحافظة الى الليبرالية المعتدلة الى التقدمية الراديكالية الى الماركسية الثورية . الا ان التحدي الذي يهدد الفكر الاسلامي هو بروز قوى ونظم تزعم أنها علمانية او الحادية او مادية على الرغم انها في تكوينها دينية (٣١) . كذلك تعرض جملة التناقضات نفسها على الحركة السياسية الاسلامية المعاصرة عند التصدي للتنظيم الشعبي او السياسي او الحكومي . ففي مجال التنظيم الحزبي هناك من ينادي بالتعددية وهناك من ينادي بالحزب الواحد ،

---

(٣٠) د. السيد عليوه ، المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٣١) د. السيد عليوة ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

وفى مجال التنظيم السياسى نجد البرلمانية والرياسية وفى الميدان الادارى يفضل بعضهم المركزية والآخر اللامركزية .

وتتعدد الخلافات فى العالم الاسلامى فمنها ما يدور محوره حول العامل الاقتصادى حيث أصبح الثراء والفقر عامل انقسام بين الدول الاسلامية الغنية والفقيرة .

ومنهـا ما ينبثق من السياسة الخارجية حيث يتبع سياسة موالية للغرب ويدور البعض فى فلك الاتحاد السوفييتى وقليل منها يتعامل مع الطرفين .

ثم هناك النزاع على الحدود بين الدول الاسلامية كالنزاع بين العراق وايران .

كما يحتدم الخلاف حول زعامة العالم الاسلامى لا سيما بين السعودية ومصر والذى بلغ أوجه فى سنة ١٩٦٦ عندما دعت السعودية الى « الحلف الاسلامى » وتصور عبد الناصر انها تسعى الى انتزاع زعامة لها على حساب مصر .

كذلك تبرز مشكلات العالم الاسلامى مثل مشكلة كشمير ، مشكلة الأكراد ، ومشكلة الزنوج فى جنوب السودان الا ان الصراع العربى الاسرائيلى هو اقواها واهمها فى الوقت الحاضر حيث يصطدم تيار الواقعية بتيار الحلم المرتقب وفى غياب الديمقراطية تزداد حدة هذه الخلافات .

وهكذا يتباين العالم الاسلامى نتيجة الفروق الاجتماعية والفكرية والعقائدية وتعدد الأجناس واللغات واللهجات وتنوع البيئات وظهور الطائفية والدعوة الى القوميات المحلية وتعدد الأنظمة السياسية والاقتصادية التى يعيش فى ظلها المسلمون .

اذن فالتنوع فى العالم الاسلامى يشكل القاعدة لا الاستثناء .

مؤثرات القيمة الاستراتيجية للبحر الأحمر فى العالم الاسلامى :

علمنا أن البحر الأحمر يكتسب قيمته الاستراتيجية أساسا من موقعه ثم من الموارد الاقتصادية للدول المطلة على مياهه لا سيما البترول ومن ثم فتأثير حوض البحر الأحمر فى العالم الاسلامى يحمله محوريت أساسيين .

أولاهما جغراف ، وثانيهما اقتصـــادى ثم هناك اتجاهان ثانويان احـــدهما سياسى والآخر معنوى .

ولما كان البحر الأحمر يقع فى قلب العـــالم المعمور وفى مركز منطقـــة الشرق الأوسط ويجاور كلا من الخليج العربى والقرن الأفريقى فقد أضفى عليه هذا الموقع بعدا استراتيجيا عظيما زاد من القيمة الاستراتيجية للعالم الاسلامى حيث تتطلع أنظار العالم الى تلك المنطقـــة الحساسة التى يقع البحر الأحمر فى سويداء القلب منها .

ومن ثم اشتعل التنافس بين العملاقين الكبيرين من أجـــل السيادة البحـرية حيث شـــهد منتصف الستينيات خـــروج الاتحاد الســـوفييتى الى المحيطات العالمية على نطاق واسـع لا سيما المحيط الهندى كذلك ازدواج الاسطول السادس الأمريكى فى البحر المتوسط بأسطول سوفييتى منافس لاسيما منذ حرب يونيو ١٩٦٧ .

كذلك اصبح كل من الشرق الأوسط والقرن الأفريقى بل افريقيا كلها مسرحا للتنافس بين الكتلتين الشرقية والغربية فضلا عن احتمالات الصراع الكامنة تحت السطح .

ولما كان العالم الاسلامى يتحكم فى مجموعة من الممرات المائية اهمها مضيق هرمز ومضيق ملقـــا ، مجموعة المضايق التركية (الدردنيل ، مرمرة والبوســـفور) .

فقد أصبح البحر الأحمر بموقعه وبوجود مضيق باب المندب وقنـــاة السويس مكملا للقيمة الاستراتيجية للممرات المائيـــة التى تخترق العـــالم الاسلامى حيث أنها تزيد من ابعاد المواقع الحاكمة فيـــه .

والبحر الأحمر بموقعه يؤثر فى كلا طريقى البترول عبر قناة السويس وعبر طريق رأس الرجاء الصالح وذلك بحكم وقوع قناة السويس فى شماله أو بحكم قربه الشـــديد — عبر باب المنـــدب — من القرن الأفريقى ، وكلا الطريقين مسرح لناقلات البترول الضخمة التى تحمل بداخلها شريان الحياة للعالم الصناعى ومصدر الثروة العظيم والرئيسى لدول الخليج العربى

وذلك من شأنه ان يضفى اهميـة استراتيجية كبرى على البحر الأحمر مما يضاعف القيمة الاستراتيجية للعالم الاسلامى .

هذا بالاضافة الى ان الاستراتيجية البريطانية كانت لفترة طويلة تعتمد على عدن فى ربط مستعمراتها فى جنوب شرق آسيا ومنها ماليزيا مما اثر فى العالم الاسلامى وزاد من أهميته الاستراتيجية .

كذلك كانت قناة السويس مركز الثقل الاستراتيجى والعسكرى فى الصراع العالمى بعد ان سيطرت عليها بريطانيا لمدة تناهز السبعين عاما حيث كانت الدول الغربية تتخذ من مصر محور ارتكاز فى كل سياسة عسكرية دفاعية أو هجومية فى الشرق الأوسط .

فضلا عن ان المزايا التى توفرها مناطق هامة بتجه اليهـا التنافس الدولى وتقع فى حوض البحر الأحمر أو تجاوره مثل قناة السويس وباب المندب او منطقة القرن الأفريقى أو سواحل الجزيرة العربيـة والخليج العربى التى تشكل احزمة ارضية استراتيجية قد اكسب البحر أهميـة استراتيجية فائقة انعكس تأثيرها على العالم الاسلامى .

كما اكتسب البحر الأحمر اهميتـه العسكرية من موقعـه ومن ثم من قواعده الهامة ومن طبيعته كبحر مفتوح ولطول سواحله التى تتحكم فى المجرى الملاحى هذه فضلا عن ان البحر الأحمر يعد الطريق الرئيسى لتقطع البحرية الحربية للدول الكبرى التى تأتى من البحر المتوسط الى المحيط الهندى ولما كان البحر الأحمر تطل عليـه دول عربية تتمتع بمساحة كبيرة تبلغ نحو ٣٠٪ من مساحة العـالم الاسـلامى أدى ذلك الى توفر العمق الاستراتيجى وامكان اقامة قواعد عسكرية مع تحقيق الأمن والانتشار لها .

كذا تمتعها بسماء صافية طوال العام مما يساعد على العمليات الجوية بالاضافة الى انسياب مياه البحر وكفاءة خطوط المواصلات البحرية والجوية مما يحقق الاتصال البحرى والجوى بين دول البحر ودول العالم الاسلامى . كما تتوافر للدول المطلة على البحر الأحمر القوى البشرية التى يمكن تجنيدها الا أن مستواها الفنى والاجتماعى ما زال منخفضا بوجه عام فضلا عن أن قدرتها على الانتاج الحربى ما زالت ضعيفة وقواتهـا العسكرية ما زالت محـدودة . وبالرغم من هـذه السلبيات فان اهميـة حوض البحر الأحمر

العسكرية تشكل اضافة الى القيمة الاستراتيجية للعالم الاسلامى لان كثيرا من دول العالم الاسلامى الأخرى ليست أحسن حالا .

ويتناول العوامل الاقتصادية تبرز القيمة الاقتصادية التى يمثلها حوض البحر الأحمر بحكم كون البحر ممرا عالميا استراتيجيا للبترول وطريقا يخدم التجارة العالمية وبحكم الموارد المختلفة فى المناطق المجاورة بالاضافة الى ما تحتوى عليه مياهه من موارد وثروات بترولية ومعدنية وسمكية .

وتتنوع موارد الدول العربية المطلة على البحر الأحمر . ومن حيث الموارد يعتبر القطن اهم الحاصلات الزراعية حيث تسهم مصر والسودان بنصيب كبير فى الانتاج الاسلامى وفى تجارة القطن الدولية .

وفى مجال الثروة الغابية تسهم السودان والصومال بنسبة متواضعة فى انتاج العالم الاسلامى . ويشكل الصمغ العربى المحصول الشجرى الأساسى من الغابات وتسهم السودان بنحو ٩٠٪ من الطلب العالمى للصمغ بينما تشارك الصومال بنسبة ضئيلة .

أما الثروة المعدنية فيعتبر البترول اهمها جميعا حيث ان اكثر دول العالم الاسلامى منتجة للبترول وتأتى السعودية على راس القائمة ، الا ان بعض دول العالم الاسلامى النامية لا تنتج البترول وليس لديها مصدر بديل للطاقة — كالصومال — مما يمثل البترول بالنسبة لها أهمية اقتصادية واستراتيجية كمصدر للطاقة .

وتعتبر مصر والسعودية والسودان من اكبر الدول الاسلامية التى تمتلك احتياطيا من خام الحديد كما تعد مصر فى مقدمة الدول الاسلامية انتاجا لخام الحديد ، كذلك يوجد خام الكروم فى السودان واليمن الديمقراطية الشعبية والمملكة العربية السعودية وفى مصر كما يوجد الرصاص والزنك فى مصر والسعودية ، وبالاضافة الى ذلك تسهم مصر والأردن والسعودية بحوالى ٨٪ من انتاج العالم الاسلامى من الفوسفات . كذلك تشارك مصر والسودان والسعودية فى انتاج الكبريت والنحاس فى العالم الاسلامى (٣٢) .

---

(٣٢) د. حامد محمد الشلطورى ، الموارد التعدينية فى دول العالم الاسلامى ، ملتقى الاسماعيلية للفكر الاسلامى ، اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، ٣٠ يناير — ٣ فبراير ١٩٨١ ، ص ص ٢ — ٩ .

كما تتوافر فى دول حوض البحر الأحمر الأيدى العاملة الرخيصة وبعض الكوادر الفنية — برغم قلتها — مما يمكن أن يسهم فى مجالات التنمية فى العالم الاسلامى . كما تعتبر دول البحر الأحمر سوقا استهلاكية كبيرة للمنتجات الاسلامية .

ان تعدد موارد حوض البحر الأحمر وتنوع موارد العالم الاسلامى يمكن أن يؤدى الى التكامل كما يمكن ان يتدعم موقفه الموارد المتشابهة فى مواجهة الاقتصاد العالمى فى حالة التنسيق الاقتصادى .

ولكن العالم الاسلامى يحتاج الى التقنية الحديثة لاستغلال هذه الموارد الكثيرة بما يعود بالخير على شعوبه كما يستوجب التعاون المثمر بين دوله .

كذلك اثر البحر الأحمر فى العالم الاسلامى سياسيا اذ اتخذت بريطانيا من عدن قاعدة استعمارية للسيطرة على بعض دول العالم الاسلامى . فقد انطلقت منها لتستولى على مصر والصومال ثم اتخذت من مصر قاعدة للاستيلاء على السودان وأوغندا وتنزانيا ونيجيريا ثم فلسطين وسوريا والعراق .

وتتمتع كل من مصر والسعودية بنفوذ سياسى قوى على المستوى العالمى مما ادى الى تألق نجم العالم الاسلامى .

وينحصر الجانب المعنوى فى عدة عوامل اهمها هو ان البحر الأحمر طريق للحج كما كان طريقا للدعوة الاسلامية .

وتتمتع مصر بمركز ادبى ودينى كبير لما قدمته الى الاسلام على مر العصور من فقهاء وعلماء اسهموا فى نشر الاسلام وبيان أحكامه كما ان للأزهر دورا رائدا فى نشر ودعم الدين الاسلامى ونشر الثقافة الاسلامية فضلا عن المنح التى تقدمها مصر الى كل الدول الاسلامية .

هذا بالاضافة الى ان مصر بحكم موقعها ومركزها التاريخى وزعامتها الفكرية والروحية للعالم العربى قد اكتسبت اهمية إستراتيجية أعلت من شأن العالم الإسلامى .

كما أن العربية السعودية ترتبط بعض اهميتها الاستراتيجية مباشرة بأهميتها الدينية للعـالم الاسـلامى لوجود الأماكن المقدسة بها ، ولا ريب أن هذه الاهمية الروحية والمعنوية لها اثرها الكبير فى القيمة الاستراتيجية للبحر الأحمر .

وقد فهم المسلمون هـذه القيمة الاستراتيجية وليس ادل على ذلك من اهتمام الدولة العثمانيـة باقليم الحجاز منـذ أن اصبح ولاية عثمانية . وقد برز هذا الاهتمام فى عدة امتيازات اختص بهـا السلطان سليم الأول ولاية الحجاز دون سائر الولايات العثمانية . وقد انتهج هذا النهج من جاء بعده من السلاطين بل عملوا على دعمها . وكان من بين هـذه الامتيازات الاعفاء الضريبى وتلقى اعتمادات مالية ضخمة من الحكومة المصرية كل عام كان يطلق عليها المصطلح التاريخى « الصرة » وكانت ترسل مع قافلة الحج المصرى .

كما شملت هذه الامتيازات اعفاء سكان الحجاز من التجنيد أو الخدمة العسكرية كذلك ابقت الدولة على الحكم الذاتى فى صـورة نظام الشرافة وأقامت بجانبه نظاما مدنيا (٣٣) .

وقد شغل اهتمام سلاطين الدولة العثمانية ابراز لقب دينى من بين القابهم الكثيرة لما يضفى عليهم من هالة دينية يخطف نورها ابصار المسلمين فى شتى بقاع العالم الاسلامى الا وهو لقب « حامى حمى الحرمين الشريفين » أو « خادم الحرمين الشريفين » وكان مرده الى تأكيد زعامة الدولة العثمانية للعـالم الاسلامى .

كذلك تولت الدولة العثمانية تنظيم الحج الى الحجاز وأشرفت عليه اشرافا فعليا واعتبرته واجبـا يقع على عاتقها فانشأت الآبار على الطرق المؤدية الى الحجاز وعملت على حراسـتها واقامت المخافر . وقد كانت تنظم كل سنة أربع قوافل حج رئيسية من جميـع ارجاء الدولة وفق نظام

---

(٣٣) د. عبد العزيز محمد الشناوى ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٦٥ — ٦ .

محدد وفى رفقة قوة عسكرية يقودها احد كبار العسكريين يسمى سردار الحج (٣٤) وكانت كل قافلة تراسها شخصية كبيرة تسمى أمير الحج .

ودعما للمكانة العثمانية فى نظر العالم الاسلامى حرص العثمانيون على حماية الأماكن الاسلامية المقدسة فى الحجاز والحفاظ على حرمتها وذلك ضمن خطتهم الاستراتيجية لتأمين البحر الأحمر ضد الأخطار الخارجية . ومن ثم تعقبوا خطر البرتغاليين المتزايد فى البحر الأحمر وبادروا باحكام سيطرتهم على مدخله الجنوبى منعا لتسرب اية سفينة برتغالية عبر مضيق باب المندب . ولم يكد ينقضى النصف الاول من القرن السادس عشر حتى كان العثمانيون قد طردوا البرتغاليين من البحر الأحمر واستولوا على الموانىء الهامة على شاطئيه الآسيوى والأفريقى وجعلوا من البحر الأحمر بحرا اسلاميا مغلقا فى وجه السفن غير الاسلامية بدءا بالسفن البرتغالية ثم عمموا هذا المبدأ على جميع السفن المسيحية فكان يحرم عليها تجاوز ميناء المخا فى اليمن . وكانت امثال تلك السفن تفرغ حمولتها فى هذا الميناء ثم يعاد شحنها فى سفن اسلامية يعمل عليها قباطنة وبحارة مسلمون تبحر بها الى جدة أو السويس أو غيرها من موانىء البحر الأحمر ، وظلت الدولة العثمانية حريصة على تطبيق هذا المبدأ حتى القرن الثامن عشر(٣٥) .

وقد استفاد المسلمون الذين كانوا يعيشون حول سواحل البحر الأحمر من حظر التجارة المسيحية فى تلك المياه وعلى رأس هؤلاء شريف مكة الذى كون اسطولا صغيرا كما ان التجار المصريين استخدموا ميناء السويس على نطاق واسع فالتجار المشتغلون بتجارة البن ، غير ان على بك الكبير الذى دخل فى صراع مع الدولة العثمانية وجد نفسه مضطرا الى البحث عن أصدقاء فى العالم الخارجى ودفع ثمنا لذلك التعاقد مع شركة الهند الشرقية للاتجار مباشرة مع مصر مما يعنى خرق التقليد الذى سار عليه العثمانيون . وعندما انتهت حياة هذا المملوك وعادت الدولة العثمانية الى حكم مصر

---

(٣٤) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٤١١ .

(٣٥) د. عبد العزيز محمد الشناوى ، المصدر السابق ، ص ٢١ .

جدد الباب العالى الحظر على السفن المسيحية فى البحر الأحمر بفرمان صدر سنة ١٧٧٩ .

وباستيلاء الحملة الفرنسية على مصر رأت الدولة العثمانية أنها فى حاجة الى محالفة بريطانيا لاخراج الفرنسيين من مصر . وقد أدى مجىء الامدادات البريطانية من الهند الى السويس عبر البحر الأحمر الى وضع نهاية للتقليد العثمانى الذى يقوم على أساس أن البحر الأحمر ينبغى ان يكون بحيرة اسلامية .

وهكذا نشرت الدولة العثمانية الأمن والأمان على مياه البحر الأحمر حيث نجحت فى تخفيف الضغط البرتغالى عن التجار العرب والامارات العربية الساحلية كما وقفت سدا منيعا أمام محاولات البرتغال للسيطرة على البحر الاحمر مما أقعدها عن أن تمد مواقعها الى داخله والى الولايات العربية الداخلية فحفظت للحجاز قدسيته وسحقت مساعى البرتغاليين لتكوين جبهة مسيحية بالتضامن مع الأحباش ضد القوى العربية الاسلامية فى البحر الأحمر .

الخاتمة

اكتسب البحر الاحمر أهميته من موقعه الجغرافى الذى يلاصق او يجاور مناطق حساسة مثل الساحل الشرقى لافريقيا والساحل الغربى لشبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربى ، وان هذا الموقع الفريد قد جعل من البحر الأحمر ممرا بحريا هاما وشريانا لأهم سلعة استراتيجية فى العالم . كما أن طبيعة البحر الجغرافية قد جعلت من السيطرة على مضايقه وجزره الهامة سببا الى التحكم فيه مما فتح باب التنافس امام القوى الكبرى للاستيلاء على تلك المفاتيح الاستراتيجية وقد ساعدها على ذلك ضعف دول البحر الأحمر سياسيا وعسكريا واقتصاديا .

ان الطبيعة الجغرافية التى هيأت البحر الاحمر لان يكون ممرا بحريا بالدرجة الأولى هى نفسها التى حرمته من أن يكون مقرا مناسبا بسبب سواحله الصحراوية المجدبة .

ولقد كانت بريطانيا اول الدول الاستعمارية التى أدركت أهمية البحر الأحمر فى العصر الحديث وذلك أثناء وجود الحملة الفرنسية فى مصر فاستولت على جزيرة بريم سنة ١٧٩٩ ثم عدن سنة ١٨٣٩ وانطلقت منهما لتسيطر على الساحل الغربى للبحر الأحمر ثم لتمد نفوذها على ساحله الشرقى بعد الحرب العالمية الأولى . وقد ساعدها ذلك على ادارة الصراع بنجاح فى منطقة الشرق الأوسط خلال النصف الأول من القرن العشرين .

ولما كان التنافس على أشده بين بريطانيا وفرنسا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فقد ساعدت بريطانيا ايطاليا على تأسيس مستعمرتى ارتريا والصومال للحيلولة دون امتداد النفوذ الفرنسى المتمركز فى أوبوك وتاجورة الا أن ايطاليا فى عهد موسولينى أخذت تسلك طريقا مستقلا للتوسع فى البحر الأحمر ولقد واتتها الظروف السياسية فى أوربا لكى تجهز على فريستها السوداء فى أفريقيا وتؤسس امبراطورية شرق أفريقيا الايطالية غير أن هذه الامبراطورية عصفت بها رياح الموت فى سنة ١٩٤١ .

كذلك كانت بريطانيا هى التى أصدرت تصريح بلفور فى نوفمبر سنة ١٩١٧ الذى تحقق عمليا بقيام اسرائيل فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ثم استيلائها على قرية « أم الرشراش » فى مارس سنة ١٩٤٩ وتحويلها فيما بعد الى ميناء ايلات لتكون منفذا لها الى البحر الاحمر .

وازاء الرفض المصرى للوجود الصهيونى كان الصراع بين العرب واسرائيل فى حوض البحر الاحمر بدءا بخليج العقبة وقناة السويس وانتهاء بمياهه الشمالية .

ونظرا للاهمية المتزايدة للبحر الأحمر فقد احتدمت الصراعات الدولية فوق مياهه واصطدمت استراتيجيات القوى العظمى التى سعت الى استقطاب دول البحر والحصول على التسهيلات والقواعد العسكرية .

وبرغم المخاطر المحدقة بأمن البحر الاحمر فلم تتحرك دوله على مسار استراتيجية موحدة تدرأ عنها هذه المخاطر والتحديات .

ولما كان البحر الاحمر قد آلت اليه قيمته الاستراتيجية — أساسا — من موقعه النسبى الذى يتوسط القارات الثلاث والمنطقة العربية والشرق الاوسط بل والعالم الاسلامى ثم من أهميته العسكرية والاقتصادية فقد اضافت هذه القيمة الاستراتيجية أهمية متزايدة الى أبعاد القيمة الاستراتيجية للعالم الاسلامى .

وهكذا أصبح البحر الاحمر قبلة أنظار العالم .



خريطة
حوض البحر الأحمر
سنة ١٩٧٣م
البحر الأبيض المتوسط
المملكة العربية السعودية
خليج عدن
بحر العرب
المحيط الهندي
إثيوبيا
خريطة رقم ٢٠

دول العالم الإسلامي

٤٠ دولة اسلامية مستقلة
١٩ فى افريقيا
٢٠ فى آسيا
١ فى أوروبا

خريطة رقم ٣

خريطة رقم ٢٧٥٣ . الأمم المتحدة
يوليو سنة ١٩٧٨

المصــــادر

اولا : المصــــادر العربيــــة

١ ـــ وثائق لم يسبق نشرها :

ـــ هيئـــة البحوث العسكرية ومركز دراسات التاريخ العسكرى .
حرب اليمن (١٩٦٢ ـــ ١٩٦٧)
حـــرب يونيو سنة ١٩٦٧ .

٢ ـــ وثائق منشـــورة :

ـــ دكتور عبد العزيز محمد الشناوى ودكتور جـــلال يحيى .
وثائق ونصـــوص التـــاريخ الحديث والمعاصر ، دار المعـــارف ـــ القـــاهرة سنة ١٩٦٩ .
واحتوى هذا الكتاب بصفة خاصة على الوثائق المتعلقة بقناة السويس والتنافس الدولى فى منطقة البحر الأحمر اثناء القرنين التاسع عشر والعشرين .

٣ ـــ مراجع عربيـــة :

ـــ ابراهيم أحمد رزقانة (دكتور) :
الجغرافيا السياسية : ط ٣ ، دار النهضـة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦
ـــ أ . ج . ب . تايلور :
أصول الحرب العالمية الثانيـــة (مترجم) ، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب ، القـــاهرة ، ١٩٧١
ـــ أ . ج جرانت وتمبرلى :
أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ ـــ ١٩٥٠) ، جـ ٢ (مترجم) القـــاهرة ، ١٩٦٧ .
ـــ اجيـــه يونان جرجس (دكتورة) :
البحر الأحمر ومضايقه بين الحق العربى والصراع العالمى ، مكتبة غريب ، القـــاهره ، ١٩٧٧ .

— أحمد حسين شرف الدين :

اليمن عبر التاريخ ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

— احمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور) :

مشكلة قناة السويس (١٨٥٤ — ١٩٥٨) — معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

— احمد عطية المصرى (دكتور) :

الحركة الوطنية فى اليمن الجنوبية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

— احمد فضل العبدلى :

هدية الزمن فى اخبار ملوك لحج وعدن ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ .

— أحمد يوسف احمد (دكتور) :

الدور المصرى فى اليمن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١ .

— السيد رجب حراز (دكتور)

التوسع الايطالى فى شرق افريقيا وتأسيس مستعمرتى ارتريا والصومال ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٠ .

بريطانيا وشرق افريقيا من الاستعمار الى الاستقلال ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ .

— الندوة الدولية لحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، المجلد الاول ، القاهرة ، (٢٧ — ٣١) أكتوبر ١٩٧٥ .

— أمين الريحانى :

ملوك العرب ، جـ ١ ، المطبعة العلميه ، بيروت ، ١٩٢٥ .

— امين سعيد :

اليمن ، تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجرى ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

— أنتونى سلرى :

الجغرافيا الاجتماعية لافريقيا (مترجم) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

— انور عبد الحليم (دكتور) :

البحار والمحيطات ، القـــاهرة ، ١٩٧٤ .

— اهرون كوهين :

اسرائيل والعالم العربى ، ج ٣ ، مترجم ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

— بطرس بطرس غالى (دكتور) :

الاستراتيجيـــة والسيـــاســة الدوليـــة ، مكتبـــة الأنجلو المصرية ، القـــاهرة ، ١٩٦٧ .

الجامعة العربية وتسوية المنازعات المحلية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القـــاهرة ، ١٩٧٧ .

— بيربى ، جان جاك :

جزيرة العرب (مترجم) ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٦٠ .

— تيودور دراير :

اسرائيل والسياســة العالمية (مترجم) ، القـــاهرة ، ١٩٧٧ .

— جاد طـــه (دكتور) :

سياســة بريطانيا فى جنوب اليمن ، دار الفكر العربى ، القـــاهرة ، ١٩٦٩ .

— جامعة الاسكندرية :

تاريخ البحرية المصرية ، الاسكندرية ، ١٩٧٥ .

— جامعة عين شمس :

ندوة البحر الأحمر فى التاريخ والسياســة الدولية المعاصرة ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

— جـــلال يحيى (دكتور) :

التنافس الدولى فى بلاد الصومال ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

التنافس الدولى فى شرق افريقيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ .

— جمال حمـــدان (دكتور) :
أفريقيا الجديدة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
جغرافية المدن ، دار النهضـة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
العالم الاسلامى المعاصر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧١ .
قناة السويس ، نبض مصر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

— حامد سلطان (دكتور) :
المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

— حافظ وهبـــة :
جزيرة العرب في القرن العشرين ، ج ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القـــاهرة ، ١٩٤٦ .

— حسن البـــدرى :
الحرب في أرض السلام ، دار الوطن العربى ـ القاهرة — بيروت ، ١٩٦٧ .
حرب رمضان ، الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة ، أكتوبر ١٩٧٣ ، ط ٢ ، القـــاهرة ، ١٩٧٤ .

— حسين فوزى النجار (دكتور) :
بريطانيا والجنوب العربى ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القـــاهرة ، ١٩٦٧ .

— راشـــد البراوى (دكتور) :
الحبشـة بين الاقطـــاع والعصر الحـديث ، مكتبة النهضة المصرية ، القـــاهرة ، ١٩٦١ .

— رونوفن ، بيير :
تاريخ القرن العشرين (مترجم) ، دمشق ، ١٩٦١ .

— زاهر رياض (دكتور) :
الاستعمار الأوربى لأفريقيا في العصر الحديث ، مكتبة الجامعات للنشر القـــاهرة ، ١٩٦٠ .

— سلطان أحمـــد دعمر :
نظرة تطور المجتمع اليمنى ـ دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

— سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :
العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

— شوقى عطا الله الجمل (دكتور) :
قصة الاستعمار فى افريقيا ، مكتبة الاهرام ، القاهرة ، ١٩٦١ .

— صفى الدين أبو العز (دكتور) :
افريقيا بين الدول الأفريقية ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

— صلاح الدين احمد العقاد (دكتور) :
جزيرة العرب فى العصر الحديث ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
العرب والحرب العالمية الثانية ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
المشرق العربى المعاصر ، ط ١ . ط ٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ١٩٧٩ .
تطور النزاع العربى الاسرائيلى (١٩٥٦ — ١٩٦٧) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

— صلاح الدين على الشامى (دكتور) وآخر :
جغرافيا العالم الاسلامى ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٤ .

— عبد الرحمن زكى (دكتور) :
الشرق الأوسط ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

— عبد الغنى عبد الله خلف الله (دكتور) :
مستقبل افريقيا السياسى ، ط ١ ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

— عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) :
الدولة العثمانية ، دولة اسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

— عبد الواسع يحيى :
تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، ط ٢ ، مطبعة حجازى ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

— علی ابراهیم عبده (دکتور) :
المنافسة الدولية فى أعالى النيل (١٨٨٠ — ١٩٠٦) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القــاهرة ، ١٩٥٨ .

— فاروق عثمان أباظة (دكتور) :
عــدن والسياســة البريطانية فى البحر الأحمر (١٨٣٩ — ١٩١٨) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القــاهرة ، ١٩٧٦ .

— قحطان الشـــعبى :
الاستعمار البريطانى ومعركتنا العربية فى جنوب اليمن ، دار النصر ، القــاهرة ، ١٩٦٢ .

— محمد انيس (دكتور) :
الدولة العثمانية والشرق العربى (١٥١٤ — ١٩١٤) الأنجلو المصرية القــاهرة ، ١٩٦٣ .

— محمد بن احمد عيسى العقيلى :
تاريخ المخلاف السليمانى او الجنوب اليمنى فى التاريخ . جزآن ، الجزء الأول طبع بمطابع الرياض سنة ١٩٥٨ ، الجزء الثانى طبع بمطابع دار الكتاب العربى بالقــاهرة ، سنة ١٩٦١ .

— محمد صبحى عبد الحكيم (دكتور) :
محاضرات فى جغرافية العالم الاسلامى ، معهد الدراسات الاسلامية ، القــاهرة ١٩٦٧ .

— محمد طارق الأفريقى :
مذكراتى فى الحرب الحبشية الايطالية (١٩٣٥ — ١٩٣٦) ، دمشق ، ١٩٣٧ .

— محمد طلعت الغنيمى (دكتور) :
الغنيمى فى قانون السلام ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٤ .

— محمد عبد الرحمن برج (دكتور) :
قنــاة الســويس واهميتها السياسية والاستراتيجية وتأثيرها على العلاقات المصرية البريطانية (١٩١٤ — ١٩٥٦) ، دار الكاتب العربى ، القــاهرة ، ١٩٦٨ .

— محمد فيصل عبد المنعم :
قناة السويس شريان الرخاء للعالم ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

— محمد فؤاد شكرى (دكتور) :
مصر والسودان ، تاريخ وحده وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٥٧ .

— محمد كمال الدسوقى (دكتور) :
الحرب العالمية الثانية صراع استعمارى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

— محمد كمال عبد الحميد :
الاستعمار البريطانى فى جنوب الجزيرة العربية ، ط ٢ ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
البحر الأحمر فى الميزان الاستراتيجى ، ط ٤ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

— محمد نصر مهنا (دكتور) :
مشكلة فلسطين والصراع الدولى (١٩٤٥ — ١٩٦٧) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

— محمود توفيق محمود (دكتور) :
الجغرافيا السياسية لاسرائيل ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

— محمد محمود الديب (دكتور) :
الجغرافيا السياسية اسس وتطبيقات ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

— محمود طه ابو العلا (دكتور) :
دراسات فى جغرافية العالم الاسلامى ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

— مصطفى الحفناوى (دكتور) :
قناة السويس ، جـ ٣ ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

— مكى الطيب شبيكة (دكتور) :
العرب والسياسة البريطانية فى الحرب العالمية الأولى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

— معهد البحوث والدراسات العربية :
العلاقات العربية الأفريقية ، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار القاهرة ، ١٩٧٧

— ممتاز العارف :
الأحباش بين مأرب واكسوم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧٥ .

— وزارة الحربية :
العمليات الحربية فى فلسطين ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٥١ .
العمليات الحربية فى شمال أفريقيا ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
التكتلات والأحلاف العسكرية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

— وليمز سيتون (م . ف) :
بريطانيا والدول العربية — عرض للعلاقات الانجليزية العربية (١٩٢٠ — ١٩٤٨) (مترجم) ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٤ — الدوريات العربية :

(أ) جرائد عامة :

— جريدة الاهرام الصادرة فى القاهرة ، الأعداد الصادرة فى الأعوام :
١٩٢٥ — ١٩٣٦ — ١٩٧٣ — ١٩٧٤ — ١٩٧٥ — ١٩٧٦ — ١٩٧٧ — ١٩٧٨ — ١٩٧٩ — ١٩٨٠ — ١٩٨١ .

— الأهرام الاقتصادى عام ١٩٧٥ .

(ب) مجلات عامة :

— السياسة الدولية الصادرة فى القاهرة عن مؤسسة الاهرام :
الأعداد الصادرة فى أعوام : ١٩٧٦ — ١٩٧٧ — ١٩٧٨ — ١٩٧٩ — ١٩٨٠ — ١٩٨١ .

— مجلة الطليعة عدد ابريل سنة ١٩٧٣ .
— مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية عام ١٩٧٦ .
— مجلة الهلال الصادرة عن دار الهلال بالقاهرة اعداد عام ١٩٧٧ .
— المجلة العسكرية للقوات المسلحة الاعداد الصادرة فى عامى ١٩٥٩ ، ١٩٧٤ .
— سجل العالم العربى الصادر عن دار الأبحاث والنشر ببيروت مجلد ابريل — سبتمبر سنة ١٩٧٣ .
— مجلة العربى ، عدد ٢٦١ ، ديسمبر سنة ١٩٨٠ .

(جـ) دوريات علمية :

— نشرات هيئة قناة السويس أعوام ١٩٦٤ — ١٩٦٥ — ١٩٦٦ — ١٩٧٥ — ١٩٧٦ — ١٩٧٧ — ١٩٧٨ — ١٩٧٩ — ١٩٨٠ .
— الكتاب السنوي الاحصائى عام ١٩٧٨ .

ثانيا : المصادر الأجنبية

١ — وثائق لم يسبق نشرها (١) : Documents

اولا — سجلات وزارة الهند البريطانية بلندن :

India office Library and Records :

@ Political and Secret Department — No. C. 83, Policy for his Majesty's ship in the Southern Red patrol, Memorandum by C. H. U. Price, Brigadier — General, political Resident, Aden Residency, 27 th January 1916.

تمثل هذه الوثيقة مذكرة كتبها « البريجادير جنرال برايس » المقيم السياسى البريطانى فى عدن فى ٢٧ يناير سنة ١٩١٦ وتدور حول استراتيجية البريطانيين البحرية لحراسة الجزء الجنوبى من البحر الأحمر أثناء الحرب العالمية الأولى .

---

(١) توجد مجموعة منها فى مكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس وبدار الكتب المصرية وبدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(b) Political and Secret Library :

— B. 222., Secret, Correspondence with the grand Sherif of Mecca from 24 th September 1914 to 10 th March 1916.

تمثل هـذه الوثائق مجموعة من الرسائل السرية الهامة المتبادلة بين ممثلي الحكومة البريطانية والشريف حسين شريف مكة فيما بين سبتمبر سنة ١٩١٤ ومارس سنة ١٩١٦ وتوضح دور البريطانيين في الاعداد لقيام الشريف حسين بالثورة ضد الاتراك .

ثانيا — سجلات وزارة الخارجية البريطانية المحفوظة بدار المحفوظات العامة بلندن :

Great Britain Public Record Office :

— Egypt and Sudan, F.O. 407 (1)

F.O. 407/218, 219, 1935 — 1936

(1) F.O., 407/218, J 5684/G. No, 85, October, 5, 1935

وهي برقية مرسلة من السير صمويل هور وزير خارجية بريطانيا الى المندوب السامي البريطاني في مصر السير مايلز لامبسون في ١٩٣٥/١٠/٥ يخطره فيهـا بموافقة حكومة الهند على ارسال قوات الى مصر — عند الضرورة — والوقت المحتمل لوصول هذه القوات .

(2) F.O., 407/218, J 5673, G.No. 91, October, 14, 1935.

برقيـة ارسلها السير صموئيل هور الى السير مايلز لامبسون في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٥ يبلغه فيها بأن ممثل بريطانيا بحث مع الحكومة المصرية مسألة الدفاع عن مصر في الظروف الطارئة والاتفـاق على اتخاذ اجراءات الدفاع بالتعاون الوثيق بين الحكومتين المصرية والبريطانية .

(3) F.O., 407/218, J 5983/16, No, 92, October, 14, 1935.

برقية من السير صمويل هور الى السير لامبسون في ١٩٣٥/١٠/١٤

---

(١) موجودة في مركز دراسات الشرق الأوسط بكلية الآداب — جامعة عين شمس .

يخطره فيها بقيام حالة الحرب بين ايطاليا والحبشة وبالاجراءات الوقائية التى يتعين عليه اتخاذها فى مصر .

(٤) F.O., 407/218, J. 5798/25/16, No, 93, October, 15, 1935.

وهى برقية أرسلها السير صمويل هور الى السير لامبسون يحبذ فيها عدم اصدار مصر بيانا باعلان حيادها وطلب منه اسداء النصح الى الحكومة المصرية لكى تمنع الضباط والجنود الايطاليين من عبور الاراضى المصرية الى السلوم والا تسمح للطائرات الحربية الايطالية بالتحليق فوق الإراضى المصرية .

(5) F.O., 407/219, J 4478/16, No. 157, May, 29, 1936.

برقية مرسلة من السير انتونى ايدن وزير الخارجية البريطانية الى السير لامبسون بشأن اتخاذ الاستعدادات الكافية للدفاع ضد اى تهديد محتمل للسودان والعمل على زيادة قوة دفاع السودان .

(٦) F.O., 407/219, J 4933/72/16, No. 158, May, 30, 1936.

برقية من السير لامبسون الى السير انتونى ايدن يبدى فيها انزعاجه من تطويق ايطاليا لكل من ليبيا وارتريا والحبشة والصومال واليمن بدرجة لا يمكن معها تفادى تصادم المصالح البريطانية ـــ الايطالية . وذكر أن بريطانيا لن تسمح بتعرض سيطرتها على البحر الاحمر ومواصلاتها مع الهند للخطر كما لن تسمح بأن يحيق الخطر بمصر والسودان .

المراجـــع :

REFERENCES :

— Antonious, George. The Arab awakening, London, 1938.

— Ben Gurion, Israel, Years of Challenge, N.Y. Holt Reinhart, Winston 1963.

— Bernard Lewis, The Middle East and West, London, 1964.

— Conitel John, The most important Country, The true Story of Suez Crisis, London, 1957.

— Donald Maclean, British Foreign Policy Since Suez (1956 — 1968), London, 1970.

— D.A. Farnie, East and West of Suez Canal in history (1954 — 1956), Oxford, 1969.

— E. W. P. Newman, Italy's Conquest of Abyssinia, Butter Worth, 1937.

— Fred Halliday, Arabia without Sultans, London, 1975.

— Geoffry, Brunn, The World in Twentieth Century, 3rd, edition, 1961.

— George Kirk, The Middle East in the War, Survey of International affairs (1939—1946), Oxford, 1953.

— Hal Ford, L. Hoskins, The Middle East Problem Area in World politics, N. Y., 1957.

— Hasluk, The Second World War, London. 1947.

— Henri Michel, The War in East Africa, The Second World War, London, 1975.

— HuGh, J. Schon Field, The Suez Canal in Peace and War, (1869—1969), London, 1969.

— Julian Paget, Last Post: Aden (1964—1967), London, 1971

— Kimohe (John) : Seven Fallenpillars. The Middle East (1945 —1952), London, 1953.

— L.A. Fabunmi, The Sudan in Anglo — Egyptain relations (1800—1956), London, 1960.

— MarLow (John) : Anglo—Egyptian relations, London, 1954.

— O'Ballance, Edgar, War in Yemen, London, 1971.

— Play Fair, Captain Robert Lambert : A history of Arabia Felix or Yemen "form the commencement of the Christian Era ti the present time", Bombay, Government Ceneral press, 1859.

— Reader Bullard, Britain and the Middle East from the Earliest times to 1963, London, 1964.

— Roder Williams, Dictionary of European history, New York, 1954.

Periodicals : **الدوريات**

— C. Grove Haines :
The Problem of Italian Colonies, the Middle East Journal, 1947.

— U.S. Navy Department: Red Sea and Gulf of Aden, No. 197, 1921.

Encyclopaedias :

Encyclopaedia Britannica, Vol, 19, 1972.

المحتـــويات

الموضــــــوع	الصفحة

رقم الايداع ٨٢/٢٢٠٢

دار عطـــوه للطبـــاعة

الثمن قرشاً